تفسير الإمام المهدي العياني

المسمى تفسير غريب القرآن للإمام الحسين بن القاسم العياني

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير الإمام المهدي العياني

المسمى (تفسير غريب القرآن)

(الجزء الثاني)

تأليف

الإمام المهدي لدين الله، الشهيد السعيد، الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني عليهم السلام

مولده (٣٧٦)هـ، ودعوته (٣٩٣)هـ، واستشهاده (٤٠٤)هـ.

تحقيق

إبراهيم يحيى عبد الله الدرسي الحمزي وفقه الله

منشورات مركز الإمام المنصور بالله عليه السلام

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م

تم الصف والتحقيق والإخراج بمركز الإمام المنصور بالله عبد الله
بن حمزة عليه السلام للدراسات الإسلامية

الجزء الثاني

من الغريب في تفسير القرآن

تفسير غريب سورة الكهف مأخوذ من المصابيح[1]

قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)}:

معنى بعثناهم: أخرجناهم من نومهم، والبعث: هو الإخراج، قال الشاعر:

هوت أمه ما يبعث الصبح وماذا يواري الليل حين يؤوب

أي ما يخرج الصبح.

والحزبين هنا: الجماعتان، جماعة أهل الكهف، **والجماعة الثانية:** هم أهل قريتهم الذين بعثهم الله في زمانهم.

{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ (١٧)}: معنى تزاور: أي تميل عن كهفهم، وتميل من الدخول عليهم، لما أراد الله عز وجل من سترهم، قال الشاعر:

وَازْوَرَّ مِن وَقعِ القَنَا بلبانه وشكى إليّ بعبرةٍ وتَحَمْحُمِ

يريد بقوله أزور: أي مال من وقع الرماح بلبانه وصدره وانحرف.

ثم قال سبحانه: **{وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ (١٧)}:**

أي تقطعهم فلا تقربهم، وتجاوز عنهم ناحية شماله، قيل: كان كهفهم نحو بنات نعش من أرض الروم مستقبلاً لها، تميل عنه الشمس طالعة وغاربة، لئلا تؤذيهم بحرها وتغير أبدانهم وتبلي ثيابهم.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ (١٩)}:

معناه ليتحدثوا بينهم، ويجابروا عن طول رقدتهم أو قليلها، إذ لا علم لهم ولا خبر منها، إلا بالظن والاختراص والتوهم لها.

قوله تعالى: {فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١)}: معنى بنياناً: أي علماً على موضعهم، أي باب كهفهم، ظِنّاً بتربتهم

---

[1] سقط تفسير سورة الكهف من النسخة الكاملة التي عثرنا عليه في الجامع الكبير، فأبقينا ما نقلناه من تفسير المصابيح كما نقلناه في الطبعة الأولى، ونسأل الله أن يمنَّ بها، ويسهل العثور عليها، كما قد مَنَّ وسهل ببقية التفسير، فهو القادر على لك، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وحفظاً لها، كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبناء حتى يعرف موضعهم ويشتهر، فيعجب له من رآه وتذكر.

ومعنى: **{قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ}** أي من وجوه الناس وأكابرهم، **{لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١)}**، أي: على باب كهفهم يكون علامة وبركة منهم.

قوله تعالى: {وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)}: ومعنى يغاثوا في هذا الموضع: مجاز معروف عند العرب، وليس بغياث على الحقيقة، والعرب تقول ذلك على سبيل الذم والوعيد، والتهديد والمجاز.

قوله تعالى: {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨)}: معناه ظهروا له صفوفاً، ترى جماعتهم كما يرى كل واحد منهم، لا يحجب أحدٌ أحداً، شبهوا بالجند المعروضين على السلطان.

قوله تعالى: {وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا {٦٣}:

هذا منه على عادة الناس وقولهم الشيطان ينسي الناس، ولعلهم لم ينسوا إلا من قبيل النفس في أكثر الأوقات.

والصخرة التي أويا إليها هي الحجر الكبيرة التي سكنا إليها، وجلسا تحتها.

قوله تعالى: {فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤)}: معنى قوله: غلاماً: أي شاباً من الرجال بالغاً، ولم يكن رسول الله عليه السلام ليقتل طفلاً، والعرب تسمي الرجل الكامل غلاماً، كقول الأخيلية في الحجاج:

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة سقاها

وقال صفوان لحسان:

تَلَقَّ ذُبَابَ السيف مني فإنني ... غلام إذا هوجنت لست بشاعر

وأحسن من هذا قول الهادي عليه السلام:

أنا الغلام الفاطمي الأحمدي ... وابن أمير المؤمنين المهتدي

قوله تعالى: {قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤)}:

معنى زاكية أي طاهرة لم ير منها سوء، ولم يدر موسى عليه السلام أنها نفس كافرة فاجرة تستوجب القتل من الرحمن، على اتباعها لطاعة الشيطان.

قوله تعالى: {فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)}:

وروي في ذلك أن موسى عليه السلام توهم أن الخضر عليه السلام إنما هدم الجدار ليأتجر في هدمه حتى لا يسقط على بعض الناس، فقال لو شئت لاتخذت عند الله أجراً بهدمه، ولم يكن لك حاجة بعد ذلك ببنائه ورفعه، ولم يعلم موسى عليه السلام بأن ذلك من ربه.

وأما قوله: {وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (٧٩)}: فمعناه: قدامهم وتجاههم وأمامهم، وهذا جائز في اللغة؛ لأن وراء يقوم مقام قدام؛ لأنهما من حروف الصفات، قال الشاعر:

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

فقال: ورائي، وإنما أراد قدامي لزوم العصا في آخر عمري.

قوله تعالى: **{وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْراً (٨٠)}**: هذا قول نبي الله، وهو الذي خشي أن يلزمهما ولدهما هذا طغياناً وكفراً، وخاف أن يجبرهما على ذلك، ولم يقتله حتى استأذن الله في قتله، فلما أذن الله عز وجل في ذلك وأمره بقتله أنفذ عليه السلام أمر خالقه.

قوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣)}:

قيل: هو رجل من الروم فيما ذكر كان حكيماً، ومكنه الله في بلاده وعباده، كما مكن أنبياءه، وصفوته من الأئمة وأولياءه.

قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ (٩٣)}: ويمكن أن الله تعالى سماهما سدين: لتسددهما وملوستهما، حين لا مرتقى لأحد فيهما.

قوله تعالى: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)}:

وإنما أراد عليه السلام أن الذي آتاه الله من التدبير والحكمة، ولطف الحيلة، ومعرفة البناء والصناعة، خير من المال وأنفع، وأقطع لكيد العدو وأدفع.

قوله تعالى **{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)}:**

روي أن وعد الله هاهنا هو وعده بهدم السد، بعد وفاة المهدي، ولست أدري ما حق هذا من باطله، ويمكن أن يكون وعد الله يوم القيامة.

قوله تعالى **{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)}**:

معناه تركنا ياجوج وماجوج وغيرهم من جميع الناس يموجون في الفتن والمصائب، والمحن والجور، وسفك الدماء، وذلك عند اقتراب النفخة الأولى.

وقيل: النفختان في يوم واحد نفخة الهلاك، ونفخة البعث، وذلك يوم القيامة، كما روي.

وإلا يكن ذلك فالتفسير: أنه يفتح عليهم السد يوم القيامة حتى يختلط الناس ويموج بعضهم في بعض.

قوله تعالى: {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)}:

معنى في غطاء عن ذكري: أي كانت أعيان قلوبهم في جهل وعمى عن ذكري؛ لأنهم أعموا قلوبهم وأصدوها بالإعراض عن الحق، والميل إلى الكفر والفجور والفسق.

والغطاء: فهو الغفلة التي كانوا عليها، فلم يكونوا ينتفعون بما رأوا من الآيات، ويعاينون من الأمور الباهرات، وقد شغلهم الهوى والميل إلى الدنيا، حتى كانوا من مشهد القيامة في غطاء، والغطاء فهو ما كان عليه من الغفلة والبعد.

قوله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(١٠٣)الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(١٠٤)}: يعني المشركين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وبطل عند الله عملهم، وهم يحسبون أنهم محسنون في صنعهم، ويتوهمون أنهم مصيبون في عملهم، فذمهم الله تعالى على حسبانهم وظنهم؛ لأن الله لم يجعل دينه بالظن والحسبان، وإنما جعله بالدلائل والبيان، والشواهد الواضحة والإتقان.

قوله تعالى: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا(١٠٥)}**: **معنى وزناً**: أي لا نثبت لهم في الحساب فعلاً حسناً، والوزن مثل مضروب، قال الشاعر:

لا تأخذ القوم عن طول ولا قصر وزن حصاهم فليس القوم بالخور

وإنما اختار للعباد من حكمته ما يفهم ويحاط بظاهره من القرآن ويعلمه.

غريب سورة بني إسرائيل (الإسراء)[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً(١)}: روي عن العالم صلوات الله عليه قال: يعني سبحان: هو بعدان، وكذا قالت العامة، واحتجوا بقول الشاعر:

أقول لما جاءنا فخره ... سبحان من علقمه الفاخر

ومعنى {أَسْرَى بِعَبْدِهِ (١)}: السرى: هو السير بالليل خاصة، قال الشاعر:

وفتيان صدق لا ضغائن بينهم ... سريت بهم ليل التمام كرام

سريت بهم حتى كأن رقابهم ... قنى جرعا تعوج ثم تقام

{مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} يعني مسجد الكعبة، {إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ (١)}: يعني مسجد بيت المقدس.

وروي أن الله عز وجل أسرى به ملكاً من الملائكة الكرام، فأوصله إلى بيت المقدس في ليلة واحدة، وهذا عجب عجيب لمن عقله.

وروي أنه أتى أهل مكة بأخبار من سافر منهم إلى الشام، فلما حمل أصحابهم سألوا عن ذلك فوجدوه حقاً، وكان ذلك من الله عز وجل حجة عليهم، ومعجزة عظيمة أتى بها لهم.

ومعنى قوله: {بَارَكْنَا حَوْلَهُ}: أي جعلنا عنده البركة والخير الكثير، وآثار الأنبياء الطاهرين، والوسيلة والتقرب إلى رب العالمين.

ومعنى قوله {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)}: الخبير، وهو الله الواحد الحكيم القدير البصير.

ومعنى {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ (٣)}: أي نسلهم وبقيتهم، وخلفهم وذريتهم، وهو قوله: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ(٤)}: أي أخبرناهم في الكتاب عن إفسادهم في الأرض مرتين، وعلوهم واستكبارهم وتجبرهم، وهذا قضاء أخبر أخبرهم به، وليس بقضاء جبر ولا

---

[1] من هذه السورة الكريمة إلى آخر التفسير موجود في النسخة (أ).

قسر، لأن الله حكيم لا يقضي بالفساد، لأنه بريء من العبث واللعب لا يرضى به من العباد، فكيف يفعله فيصير بمنزلة الأوغاد، أهل السفه والخنا والخساسة والعناد؟!، وهذا ما لا يقول به إلا أحمق سفيه من الجهال، متعلق بالكفر والجهل والضلال، غير موحد لله الكبير المتعال، ولا يحسن أن يقال بذلك في بعض خيار الآدميين، فكيف يقال به على رب العالمين، وسيد السادة وأحكم الحاكمين؟!.

ومعنى قوله: **{فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا}**: أي وقت الأولة منهما، وهي العدة الأولة، **{بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ}** يعني الملك وأصحابه الذين قتلوا اليهود بقتلهم يحيى بن زكريا عليه السلام.

ومعنى بعثِ الله لهم على اليهود: هو الترك والتخلية من الله بينهم وبين اليهود.

{فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ} أي جاسوها وملكوها، وقهروها غصباً وأخذوها.

ومعنى خلال الديار: أي ساروا وقهروا ما بين الديار، وتوسطوا فيها بالمِلْك والاقتهار.

{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ (٦)**}**: أي رددنا لكم الدولة عليهم بما أعطيناكم من المادة والزيادة في الأموال والأنفس.

{وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا}: **النفير**: هم الجماعة، قال الشاعر:

بنو عامر فهم الأكرمون والأكثرون حصى ونفيرا

{فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ}: أي وقت الآخرة من المرتين اللتين أفسدوا فيهما، وعلوا وجاروا على الحق واستكبروا، يريد أنكم يا معشر اليهود إذ كان ذلك منكم، وجاء أعداؤكم الذين كانوا دخلوا المسجد في المرة الأولة، **{لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ}** يعني مسجد بيت المقدس.

ومعنى **{وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا** (٧)**}**: أي ليهدموا ما ملكوا من بلدكم ومنكم، والتتبير هو: الهدم والهلاك قال الشاعر:

وما الناس إلا عاملان فعامل يتبر ما يبني واحد عامر

أي يهدم ما يبني وآخر يرفع بناه ويصلح ولا يهدم، وهو مثَل مضروب لمن يفسد عمله، ومن لا يفسد فعله.

{ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ}: يريد إن تبتم إلى الله من سوء فعلكم، وقيل: إن الله عزوجل أراد يعني في كل ما ذكر من الرحمة والمغفرة أن يطمع ويذهب، فجعلنا بها كلمةً يرجون معها ويخافون، لأن لا يتكلمون على قليل العمل.

{وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}: أي إن رجعتم إلى الفساد رجعنا إلى العقاب، **{وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا** (٨)} أي حبساً يحصرون فيه حصراً، ويحيسون حبساً.

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ(٩)}: أي يدل إلى التي هي أثبت من الطريق التي يصاب فيها الحق، والمغفرة من الله والصدق.

{وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ(١١)}: هذا موجود في جهال الناس، إذا غضب أحدهم دعا بالشر والقبيح، كما يدعو في رضاه بالرحمة والخير، فمقت الله عز وجل ذلك، ونهى عنه من كان كذلك، وأراد من عباده أن تكون عقولهم في حال غضبهم كمثلها سواء في حال رضاهم؛ لأن من دعا بالشر لنفسه في حال غضبه، فقد صار بمنزلة من لا يعي ولا يعقل لسوء أدبه، والله الحكيم لا يرضى سوء الأدب، لما في ذلك من التبار والتفالة وتغير الألباب، ولما في ذلك أيضاً من سخط رب الأرباب، وسيد السادة وأحب الأحباب، الذي لا يرضى من العباد بغير الصواب، ولا يحب أيضاً ما يقبح من الإنسان.

ومعنى قوله {وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ(١١)}: **يُخَرَّج على وجه آخر**: وهو أن الإنسان ربما تمنى الشيء ودعى به ودعى إلى الله أن يرزقه إياه، ولعله ربما كان شراً لم يدر به، وقد رأينا ذلك في بعض الأوقات، وكم من فقر كان سبباً للسلامة، وغنىً كان سبباً للحسرة والندامة، فمن دعا إلى الله فليدع بالخيرة والتوفيق والتسديد، ثم لا يبالي بعد ذلك أن يهب نفسه في طاعة الواحد المجيد، فذلك أقرب لمن عقل إلى العون والتأييد، والرحمة والمغفرة من الله الرحيم الحميد، وينبغي لمن عقل أن يحكم هوى نفسه وشهواتها، على خيرة الله وحسن عاقبتها.

ومعنى قوله **{فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ}**: أي طمسنا علامة الليل وبهاء الظلمة، **{وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً}** أي جعلنا علامة النهار مُبَصِّرَة للناس تبصيراً، والمعنى بالتثقيل، والتلاوة بالتخفيف لقوله مبصرة، والعرب تخفف المثقل.

وقيل في بعض التفسير: إن آية الليل القمر، وآية النهار الشمس.

وأما عندي فآية الليل هي الظلمة، وآية النهار هي النور، ولو كان القمر يمحو لكان مظلماً، وهذا فاسد لا يلتفت إليه.

والمحو عند العرب: هو الطمس للشيء حتى لا يبين.

{وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً (١٢)}: أي فصلنا كل شيء وحده فصلاً، وجعلنا كل سبب عزلاً، وبيناه تبييناً.

{وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ}: أي ألزمناه عمله في عنقه، والطائر هاهنا: هو العمل من الخير والشر، روي ذلك عن العالم صلوات الله عليه، **{وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣)}**: يمكن يكون الكتاب هاهنا هو الحساب.

ويمكن أن يكون كتاباً منشوراً فيه جميع الأسباب.

قوله تعالى: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (١٥)}: أي لا تحمل نفس من الأعمال عمل نفس أخرى، قال العالم صلوات الله عليه:

ولا يعذب طفلاً غير مجترم ... بكفر آبائه في النار يشقيه

ولا يكلف نفساً فوق طاقتها ... ولا يعذب إلا بعد تنبيه

وصدق العالم صلوات الله عليه وعلى آبائه الكرام، فيما قال به من العدل ونفي الجور عن ذي الجلال والإكرام، وكذب أعداء الله أشباه الأنعام، فيما قالوا به على الله من الجور على الأنام، وشبهوه لعنهم الله بالكفرة الطغام، وخرجوا بذلك من الدين والإسلام.

ومعنى قوله: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ}: وهذا من الاختصار، وإنما المعنى: وإذا أردنا أن نهلك أهل قرية أمرناهم بالطاعة ففسقول ولم يطيعوا.

ومعنى قوله: {فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)}: أي أهلكناها هلاكاً.

ومعنى قوله: **{مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨)}**: مُعَنَّفاً مبعداً.

ومعنى: {وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا}: أي عمل لها عملها، والسع هو العمل والاجتهاد في لغة العرب.

ومعنى قوله: {كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)}: أي كلاً نمد ونزيد من عطايانا، أهل طاعتنا وأهل معصيتنا، فأما أولياء الله فأَمَدَّهُم بما يستعينون به طاعته، وأما أعداؤه فأمدهم على كمال حجته.

{وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)}: أي ما كان ممنوعاً، ولا عن الكفرة الفجرة مقطوعاً، لأنه عز وجل أكرم وأعز من أن يبخل على أعدائه بالحطام، أو يحرمهم في هذا الدنيا ما هو حقير عند فضلاء الأنام، فكيف بالسيد ذي الجلال والإكرام، الذي أملى لأعدائه الكفرة الطغام، وجعلهم في أرزاقه بمنزلة الأنعام، ليكون ذلك أوكد لحجته فيما تناولوا من الحرام، وقد أغناهم عنه بالحلال، وأباح لهم اكتساب الأموال، ثم عذبهم على صرفها في معاصيه، وأمرهم أن يستعينوا بها على ما يرضيه، فلما خالفوا أمره عزوجل، فيما أباح لهم من أرزاقه وأحل، وجبت عليهم اللعنة والعذاب، والخزي في الدنيا والآخرة والعقاب.

ومعنى قوله: {فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً (٢٢)}: والمخذول: هو المتروك من التوفيق والتسديد، والغوث والنصير والتأييد.

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ} أي أمر ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وهو قضاء أمر من الله، ولو كان الله قضى ذلك عليهم قضاء وجب وحتم، وأجبر وقسر، لكان الناس كلهم مطيعين، ولما كانوا لله معاندين، ولا بشيء من دينه كافرين، وهذا دليل على إحالة التشبيه، وكفرهم وكذبهم على الله وضلالهم وجهلهم.

ومعنى قوله: **{إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا}**: هذا تأديب من الله عزوجل لعباده، والمخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله والمراد سواه، لأن النبي عليه السلام، لم يبلغ الكبر عنده أبواه ولا أحدهما، بل ماتا وهو صبي عليه السلام.

{وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣)}: أي قولاً حسناً ليناً، وأصل الكرم: هو السماحة واللين.

{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}: أي تواضع لها واخفض الجناح، مثل مضروب، قال الكميت بن زيد:

خفضت لهم مني جناح مودةٍ إلى كنف عطفاه أهل ومرحبُ

ومعنى قوله: {كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)}: أي كما غذواني طفلاً، **والتربية**: هي الغذاء والكفالة والحضانة في لغة أهل الحجاز، وهي البزاية في لغة أهل اليمن.

ومعنى قوله: {فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥)}: أي هو غفور للتائبين الراجعين.

ومعنى {وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)}: أي لا ترم بمال الله رمياً في غير وجهه، بل اصرفه في مواضعه، ولا تطع من أمر بصرفه إلى غير أهله.

{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا (٢٨)}: يريد عز وجل إن أعرضت عن إخوانك المسلمين لسبب من أسباب مشاغل الدنيا فقل لهم قولاً حسناً ميسوراً: أي عذراً سهيلاً يسيراً مباركاً نبيلاً مقبولاً.

ومعنى **{وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ}**: أي لا تلزم يدك عن الإعطاء والإنفاق، ولا تبسط العطاء بسطاً مسرفاً، ولا تنفق نفاقاً مفقراً لك مجحفاً، **{مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩)}**: أي فتقعد ملوماً عند الناس إذا لم تجد لهم شيئاً، وتصير محسوراً منقطعاً.

والمحسور: هو المنقطع المبهور، وإنما أفقر الله أولياءه وامتحنهم بالفقر، ليعيظهم على صبرهم عطاء جزيلاً، ويثيبهم على ذلك ثواباً جليلاً، أجل من الغنى وأنبل، وأحسن في العاقبة من المال وأجمل.

ومعنى قوله **{خَشْيَةَ إِمْلاقٍ(٣١)}**: أي خوفاً من الفقر، **والإملاق**: هو الفقر والإقلال، قال الشاعر:

وإني على الإملاق يا قوم ماجد أعد لأضيافي الشواء المصهبا

ومعنى قوله **{وَسَاء سَبِيلاً (٣٢)}**: أي قبح فعلاً.

ومعنى قوله: **{فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا}** أي حكماً على القاتل وسلطاناً بأمرنا، ونصرناه بحكمنا، **{فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ}**: أي لا يفرط في القتل فيخرج فيقتل من لم يحكم له بقتله.

ومعنى قوله: {حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ}: أي حتى يبلغ قوته على أمره، والطاقة للقيام بماله.

{وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً (٣٤)}: أي كان مطلوباً يوم الحساب، والعهد: هو اللازم من جميع الأسباب.

{وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ}: أي بالعدل، وروي عن الإمام صلوات الله عليه قال: القسطاس: ميزان بالشام وكان من أعدل الميازين، فأمرهم الله عز وجل أن يكون وزنهم كوزن ذلك في المقدار، والله أعلم، وأعز وأحكم.

ومعنى قوله: {ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥)}: أي خير وأحسن بياناً وتفصيلاً.

{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}: أي لا تعمله بالتقفي والأوهام والخرص، فأصل التقفي: التتبع للأثر، فنهى الله عزوجل عن الوهم.

قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

يهدي على الدين يقفو فعل محمد المصطفى في خير آساس

يريد عليه السلام يقفو فعل والدنا: أي يتتبع فعله، ويحتذي بحذوه.

ومعنى قوله عزوجل: {وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا (٣٧)}: أي لا تمش قفراً وتخبطاً، وامش لله خاشعاً متواضعاً.

{قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (٤٢)}: أي لو كان معه آلهة وأرباب من المخلوقين، إذاً لكانوا لله مطيعين، ولطلبوا إلى رحمته السبيل كما تطلبون، ولكن الحجارة لا تعقل الطلب من رب العالمين، فلمَ يعبدون ويُجِلُّون ما لا يعقل جلال خالق المخلوقين.

ومعنى {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ}: أي تسبح له السموات وتنزهه، **ومعنى قوله تسبحه**: أي تبعده من صفات المخلوقين، بما يرى فيها من أثر التدبير والآيات، **وتسبيح من فيهن**: هو تنزيه أهلها وإجلالُهم، وتسبيحُهم المعروف وكلامُهم، {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (٤٤)}: أي لاتفقهون ولا تستخرجون تبعيدهم

لله بشبه خلقهم، ولا تدرك عقولكم عجائب صنعته، وكذلك أمركم بسؤال أهل بيت نبيه، معدن عجائب آياته وحكمته.

{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥)}: أي جعلنا بينكم وبينهم حجة تسترك من كيدهم، حتى لا يقدروا على إدحاض حجتك بجهدهم.

ومعنى قوله **{نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ}**: أي نحن أعلم بما يستمعون له، فقامت الباء مقام اللام، وهما من زوائد الكلام، لأنهم يسمعونه للتمني والتكذيب.

ومعنى قوله **{وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩)}**: أي كنا عظاماً بالية ورفاتاً، **والرفات**: هو الفتات، وهو التراب والرماد، قال الشاعر:

وكأن فارة تاجر وضعت ... بين التجار رفاتها عبق

وقال آخر:

تركناهم غداة الخيل ... هشيماً بالأسنة أو رفاتا

{قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ}: أي فلن يعجزنا بعثكم وحياتكم، إذا كنا نحن المبتدئين لنشأتكم.

{فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ}: أي سيحركون إليك رؤوسهم، وهو شيء يفعله المؤشر، قال الشاعر:

أنغضت رأسك مؤيساً من نصرنا ... فأتاك مثل الأسد للميعادِ

{إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ}: ويوسوس لهم قال الشاعر:

فمن لي بنفس لا تزال غوية ... ونزغة شيطان يريد ضلالها

ومعنى قوله **{يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ}**، قيل: الحاجة، واحتجوا بقول الشاعر:

إن الرجال لهم إليك وسيلة

وقيل: إن الوسيلة هي القربة والشفاعة، وهذا أحبهما عندي، لأنه موافق لقول الهادي إلى الحق عليه السلام:

وترعوا حقوقي في بني وحرمتي وتبغوا بهم عندي الوسيلة في

ومعنى قوله: {كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨)}: أي في الوعد الذي كتبه الله عزوجل، والكتاب أيضاً فقد يكون مثلاً مضروباً لإحاطة علم الله عزوجل.

{وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا}: لهم تبصيراً، أي تذكرهم من الغفلة والسهو تذكيراً، فظلموا أنفسهم بعقرها، {وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا (٥٩)} يريد تخويفاً لهم ليحذروا العذاب، وينجوا من السخط والعقاب.

{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ (٦٠)}: أي محنة واختباراً للناس.

وروي -والله أعلم- أن الله أخبرهم برؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي وعد فيها بدخول المسجد الحرام، فلما دخل الحديبية ولم يدخل المسجد الحرام اتهمه المشركون، وأحسن به الظن المؤمنون، ثم صدق الله رسوله الرؤيا ودخل بعد ذلك المسجد الحرام هو وأصحابه كم قال عز وجل {آمِنِيْنَ مُحَلِّقِيْنَ رُؤُوْسَكُمْ وَمُقَصِّرِيْنَ}، وإنما كان وعد الله بدخول مكة وعداً مرسلاً، ولم يكن عندما أخبرهم به وعداً محدداً مؤقتاً، ثم بين الله ذلك، وأخبرهم أنه يكون فكان كذلك.

ورو في ذلك رواية أخرى: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين رأى في المنام جماعة يطلعون منبره واحداً بعد واحد وينزلون عنه، فقال: ((يا رب هل يكون في حياتي أو بعد وفاتي))، فقيل له: ((لا، إلا بعد وفاتك))، وكان ذلك يدل على ولاية من ولي بعده من قريش مقامه ظلماً وعدواناً.

ثم قال سبحانه: {وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} عطفاً على قوله في جعل الرؤيا ونصب، واسم الشجرة الملعونة التي جعلها الله عزوجل بينة للناس هي الزقوم التي فتن الله بها الفاسقين، وعذبهم بها وبشرب الحميم.

وقيل: إن الشجرة الملعونة التي هي بنو أمية علهم لعنة الله، امتحن الله بهم العباد، إذا لم يكف أيديهم بالجبر، ولم ينف جورهم باللزم والقسر.

{وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)}: أي ما يزيدهم التخويف إلا محكاً وضعفاً، وهو لم يزدهم على الحقيقة، ولكنهم لما زادوا أنفسهم من أجله صار هو الذي زادهم على المجاز، والعرب تجيز ذلك، قال الشاعر يصف بئراً غزيرة الماء:

ويزيـــدها مَـــجُّ الـــدلاء جُمومَـــا

والدلاء على الحقيقة تنقص الماء، ولكن جاز ذلك لما زاد الماء ولم ينقص، وإنما زاد من قبل غزر البحر لا من قبل الدلاء.

ومعنى: {هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} أي فضلته عليّ، **{لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٦٢)}**: أي لأحوزنهم ولأملكنهم، **والاحتناك**: هو اللزوم، قال الشاعر:

ثقفتهـــا فأبـــت نـــزوق ذاتهـــا تثقيـــف محتنـــك لـــذات كعـــوب

{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ (٦٤)}: يمكن أن يكون هذا على سبيل التحدي والتهدد له، وليس يأمره بذلك، والعرب تقول لمن يعاديها: لا تبق غاية ولا جهداً، ولا تترك إلا ما عليك، يريدون التحدي له والتهدد والوعيد.

معنى واستفزز: أي وأفزع وأنفر، ويقال: فزت قلوب الناس: أي فزعت قلوبهم ونفرت، قالت الخنساء:

وأفنـــى رجـــالي فنـــادوا معـــاً فأصـــبح قلبـــي لهـــم مســـتفزا

ومعنى وأجلب عليهم أي أغر، والإجلاب: هو الغارة، قال الشاعر:

وإن أجمعـــوا طـــراً علـــيّ وأجلبـــوا

وقيل: إن الإجلاب هو رفع الصوت والإجماع، والله أعلم.

وخيل إبليس اللعين: هي خيل أصحابه وجنوده الفاسقين.

والرجل: هي الرجالة الأوباش، الذين لا يعقلون، ولا يميزون في طاعة الله ولا يصلحون.

ومعنى قوله عزوجل: **{وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ}**، على سبيل الوعيد والزجر، لا ما يتوهم أهل التشبيه من القضاء والجبر، والحتم اللازم والأمر والقسر، وإنما يريد سأعذبك على

مشاركتهم في أموالهم وأولادهم، ولم يأمره الله عزوجل بمشاركتهم، ولكنه أوعده وحذره، وتهدده ونهاه عن ذلك وزجره.

ومعنى مشاركة إبليس لهم في أموالهم وأولادهم: أن أموالهم تنفق فيما يرضيه، فصار بذلك شريكاً، وإن لم يكن لشي من الأموال مليكاً، وكذلك الأولاد يخدمون آباؤهم مرة، ويطيعون إبليس مرة أخرى، فبذلك صار في الأولاد شريكاً.

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (٦٥)}: أي ليس لك عليهم قوة تقهرهم، وإنما يطيعك بالإحسان من شاء منهم.

ومعنى قوله: **{رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ (٦٦)}** أي يسوق لكم السفن في البحر.

ومعنى قوله: **{أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا (٦٨)}**: أي حجارة تحصبون به.

أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا {٦٩}: أي كاسراً من الريح، والقصف: هو الكسر والعصف، قال المرتضى لدين الله عليه السلام:

وقد رجا مني الخضوع ابن خلف ... ورام إلياني بتحويل العنف

وذاده ذو نبعة لم تنقصف ... عن مجد آباء عن الضيم أُنُف

والنبعة: شجرة معروفة تضرب بصلابتها وقوتها الأمثال.

ومعنى قوله: لم تنقصف: لم تنكسر.

[كلام للإمام في الحث على أشعار الأئمة، والتحذير من أشعار غيرهم]

وليس يريد صلوات الله عليه الفخر ولا اللعب، ولكن أراد ما أمر الله به من المنابذة عن دين الله والغضب، وترك الضعف والوهن والخوف من العطب، ولئلا يستكين ويذل عند العطب، لأنه أراد العز والشدة على الكافرين، والذل والرحمة والشفقة على المؤمنين، فصلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

وأنا أحب لجميع المسلمين أن يدرسوا أشعار الهادي إلى الحق، وأشعار المرتضى لدين الله صلوات الله عليهما، ويحفظوا ما أطاقوا منها، فإنها أشعار تسر الملائكة المقربون، ويرضى بروايتها ونشيدها رب العالمين، لأنها أشعار لم توضع للكفر والطرب، ولم تجعل للهو والركاكة واللعب، ولكنها نور وبركة للمتقين، وسخط وهلك وخزي للفاسقين، وعقوبة ونقمة لأعداء الله المنافقين، وعلم جليل وفوائد للمؤمنين، وعون ونشاط وقوة للمسلمين، وكذلك أشعار الأئمة الطاهرين صلوات الله ورحمته وبركاته عليهم أجمعين، وعلى من اتبعهم واقتدى بهم من الصالحين، فأما غير ذلك من الأشعار، وقول الشعراء الفسقة الفجار، الكفرة العصاة للواحد الجبار، فلا يرويها إلا كل ضال عن الحق، معرض عن اليقين بالله والصدق، لأنهم لم يريدوا بذلك ثواب الرحمن، ولم بذلك غير اللعب والهذيان، وأتباع سخط الله ومرضاة الشيطان، وما هي عندي إلا بمنزلة المعازف والطنابير، والملاهي والملاعب والمزامير، فنستغفر الله لنا ولجميع المسلمين من رواياتها، ونعوذ بالله من قربها وسماعها وتلاوتها، لكن ذلك مشغلة عن طاعة رب العالمين، وتحريض وحض على اتباع الفاسقين.

ومعنى: **{ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩)}**: أي لا تجدون من يتبعنا بثأركم، ولا من يمنعنا وينتصر لكم منا عند عذابكم وتدميركم، ونقمتكم وهلاككم، قال الشاعر:

ونحن المدركون لكل وتر إذا ضل القتيل عن التبيع

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}: أي فضلناهم وأنعمنا عليهم وأكرمناهم.

ومعنى: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ (٧١)}: أي مع إمامهم، فمن كان مع إمام جائر حشر معه إلى العذاب، ومن كان مع إمام عادل حشر معه إلى الثواب، وحضر معه في موقف الأمان عند الحساب، ثم جعل كل في منزله، وراح إلى موضعه ومحله، وداره ومسكنه وأهله، فنسأل الله خير ما نقدم عليه، ونرد بعد مناقشة الحساب إليه، ونستغفر الله الغفور الرحيم، ونعوذ بالله من العذاب الأليم.

ومعنى قوله: **{وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً}** أي لا يظلمون شيئاً قليلاً.

وقيل: إن الفتيل هو ما يكون في بطن العَجَمَة، وهي النواة.

وقيل: إن الفتيل هو الخيط، وهو إذا كان كذلك حقير قليل.

وقيل: إن الفتيل هو ما يفتله الإنسان بين أصابعه من الوسخ.

وكل ذلك مثل مضروب، والأصل في ذلك فإن الفتيل: هو الشيء الحقير القليل، سواء كان في النواة أو في غيرها، ولا يلتفت إلى قول الحشوية وتأويلها، قال الشاعر:

فخاللته ثم أكرمته فلم أستفد من لديه فتيلا

قوله تعالى **{وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً(٧٢)}**: أي من كان في هذه الدنيا أعمى عن الحق فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلاً، ولهذا الوجه أكرم الله الجنة عن الفاسقين، وطهرها عن السفل الظالمين، ولو أدخلهم الجنة لما ازدادوا إلا بطراً، ولكن الله أحسن تدبيراً ونظراً.

قوله تعالى: **{وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً(٧٣)}**: أي وقد أرادوا أن يفتنوك ويضلوك، والكيد هاهنا: هو الإرادة، قال الشاعر:

كادت وكدت وتلك خير إرادة لولا الوشاة بأن نكون جميعا

ومعنى الفتنة هاهنا: هو الضلال، قال الشاعر:

يا عمرو إنك في الضلالة فاتني

أي مُضِلُّه.

والخليل: هو العالي والصاحب، قال الشاعر:

خليل لي أبحت إليه سري

وإنما قال الله عز وجل لهم أنهم كادوا وأرادوا، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسل لم يَكَد، ولم يحب ولم يضل ولم يرد.

وأما قوله عز وجل: {وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤)}: أي لولا أن ثبتناك عن التعلم لدينهم، لقد قاربت أن تعلم منهم دينهم وكتبهم، لولا أن لزمناك عن الدخول في دينهم لركنت إليهم، وإنما ثبته الله عن التعلم لمذهبهم؛ لأنه لو فعل ذلك لارتاب

المبطلون، وإذاً لجعلوا ذلك حجة على رب العالمين، وإذاً لادعى ذلك كثير منهم أنه كسب ذلك من الكتابيين، ومن علماء اليهود والنصارى الكافرين، ولكن الله منعه من التعلم؛ ليقطع قولهم، ويبطل دعاويهم على رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- وعللهم، وأي دليل أدل على نبوته من حفظه لجميع هذا القرآن، واشتغاله عن اللذات بمعلنات الفرقان، هيهات هيهات إن هذا من عجز المتوهمين، وغلبة أنفسهم وميلها إلى ما يحبون، ويأكلون من الحرام ويشربون، ويميلون ويلعبون، فصلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، ولعنة الله على من جحدهم فضلهم من الكافرين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ومعنى قوله عز وجل: **{إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)}**: أي لو عصيتنا وتعلمت منهم ولم تقبل خيرتنا، لعذبناك ضعفاً من العذاب في الحياة، وضعفاً عند الممات، **والضعف**: هو الزيادة على العذاب، ولكنك أطعت، ولم تعصنا فيما به أُمرت، فرشدت إلى النجاة من العذاب وسلمت.

{وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا} ويهربوك عنها ويذعروك، **{وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً (٧٦)}**، أي إذاً لا يقيموا بعد خروجك إلا قليلاً، حتى نعذبهم، ونعاقبهم أشد العقوبة ونهلكهم، وقد قيل غير ذلك، والله أعلم بصحته.

ومعنى قوله: **{سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً (٧٧)}**: أي سيرتنا وفعلنا فيمن مضى قبلك من رسلنا.

ومعنى: **{أَقِمِ الصَّلاَةَ}** أي أثبت الصلاة المفروضة، **{لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}** أي عند دلوك الشمس وهو الزوال بعد نصف النهار لوقت يسير، قال الشاعر:

أنخت فكانت نومتي حشو وهجّرتُ لما كانت الشمس دالكا

أي قِلْتُ من حرّ الشمس عند الهاجرة وقت الزوال، وجزأ النهار.

ومعنى {إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} أي حتى تغيب الشمس، فدل بذلك على أن صلاة الظهر والعصر لا تبطلان إلا عند مغيب الشمس، فإذا غابت الشمس فقد ذهب وقتها، وجاء

وقرب وقت غيرها عند الغسق، وغسق الليل: ظلمته وسواده، وذلك وقت صلاة المغرب والعشاء الآخرة، وهي العتمة.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)}**: أي كان الله له شاهداً، وكذلك ملائكة الله تشهد أعمال البر المفروضة وغيرها؛ والله أمرهم بشهادة أعمال العباد، وحضور كل ما يأتون من البر والرشاد، وغير ذلك من الكفر والعنود والفساد، فالله وملائكته لذلك شاهدون، وله بما أمر الله عز وجل حافظون، حتى يُوقِفَ جل وعلا بما فُعل يوم الحساب، ويكافي على ما فعل من جميع الأسباب، فنستغفر الله على ما شهدوا عليه من تقصيرنا، ونستعين بالله على جميع أمورنا.

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ} أي تنبه من نومك، فإذا انتبه النائم من هجوده قيل تهجد، قال الحسين بن علي صلوات الله عليه:

وطـول تهجـدي لطـلاب عفـو بليـــل مـــدلهم الســـتر داجـــي

وإنما يريد الله عز وجل يتنبه بالقرآن.

{نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩)}: وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (يقوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة فيمدح الله والملائكة والنبيين والمؤمنين ويثني عليهم ثناء ما سمع قط مثله، ولا يأتي من بعد أحد بمثله).

والمقام المحمود عندي: فقد يكون قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يحمده الله عليه؛ لأن قيامه في الدنيا ومدحه لله أنفع للناس من مقامه في ذلك اليوم الذي يستغني فيه جميع الخلق عن الخطب والكلام والمدح؛ لأنهم في هذه الدنيا أحوج منهم إلى الصفة لحكمه في ذلك اليوم، ولست أدري ما صحة هذا عن أمير المؤمنين، وكل ذلك جائز ممكن لا يستحيل، ولا تنكره في رسول الله العقول.

{وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ (٨٠)}: أمره الله أن يدعوه، ويطلب منه ويسأله، أن يدخله دين صدق، ويخرجه من الدنيا إلى دار صدق، إذ لا يصح دخول

الدين الكاذب، ولا يخرج إلى دار الثواب إلا صادق، لأن الله طهر الدين والجنة عن الكاذبين، ولم يجعلها ويحكم بها إلا للصادقين.

{وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (٨٠)} أي حجة من عندك ونصراً.

{وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)} أي خرج وسقط ولم يثبت ولم يستقم.

{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ (٨٢)}: أي ما هو دواء من الجهل.

ومعنى الإعراض بالجانب: هو ميلان الإنسان بشقه وجنبه عن الحق.

ومعنى قوله **{ونأى}**: أي بعد من الحق بعداً، قال الحسين بن علي صلوات الله عليه:

إلى قبر يغادر فيه فرداً نأى منه الأقارب والموالي

{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ} أي على مذهبه وطريقه.

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} هذا جواب لله عزوجل عن الروح الذي في الأبدان، وفيه كفاية لكل سائل سأل عن البيان، والروح فهو لا بد جسم من الأجسام، ولكن الله علم أنه لا حاجة لأحد إلى ذلك من الأنام، إذا علموا أنه من صنع ذي الجلال والإكرام.

{وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥)}: يريد أن عنده عزوجل من العلم أكثر مما يدعي المشركون، وأنه قد آتى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر مما يعلمون، وعند الله عز وجل أكثر مما آتى جميع المرسلين، وإنما أعطاهم قدر ما يحتملون، ويدينون الله به ويعرفون.

{وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠)} أي لن نصدقك حتى تفجر لنا من الأرض **{ينبوعاً}** عيناً من الماء.

{أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً (٩٢)}: أي مقابلة وعياناً ومواجهة.

والقبيل أيضاً: هو الجماعة والعشيرة.

{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ}، **الزخرف**: الزينة، وقيل: إن أصل الزخرف هو ماء الذهب، ويمكن ذلك لأنه من أحسن الزينة، قال الشاعر:

رسومه والذهب المزخرفا

أي كلما طفيت جلودهم زدناهم سعيراً، قال الشاعر:

وباتوا بشعب لهم سامراً إذا ما خبت نارهم أوقدوا

أي طفيت، فكذلك جلودهم تصير ناراً توقد، إذا نضجت وصارت رماداً خبت وطفيت، ثم شبت بعد احتراقها وجددت، فهم كما قال الله عزوجل **{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا}**[النساء/٥٦]، ليذيقهم الله عزوجل عذاب النار، ويوصل إلهم أعظم الهلاك والبوار، فتباً وبُعداً للظلمة الفجار، العصاة للواحد القهار، والحمدلله ما أحكمه وأصوبه في عذاب الأشرار، وما أحكمه سبحانه فيما أنعم به على الأخيار، والحمد لله على مفترق الأنوار، وتمييزه بين الخيرات والشرور.

ومعنى قوله: **{كُلَّمَا خَبَتْ}**: هو على ما ذكرنا، لأن النار لا يجوز أن تخبو، وإنما يخبو ويضعف ويطفا من النيران ما كان منها ضعيفاً قليلاً، وإنما تطفا جلودهم إذا نضجت، وتوقد إذا بدلت وجددت.

ومعنى **{فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا (٩٩)}**: أي جحداً بنعمة الله وكفراً.

{وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا (١٠٠)} أي كان الإنسان مقلاً فقيراً.

ويمكن أن يكون القتور: هو المقتر الذي لا يعطي خيراً لبخله ولؤمه، ومكره وخساسته وشؤمه، وحرصه على جمع الأموال، واتباعه لأفعال الظلمة الأنذال، فهو إذا أعطى ووهب لأحد لم يهب خيراً، ولم يعط إلا قليلاً تافهاً يسيراً حقيراً، لشدة ما أوزع لنفسه من البخل والتقصير، واليأس من رحمة الله العليم الخبير، قال الشاعر:

وقد علمت هند بأني ماجد وإن قل أضيافي فلست بمقتر

ومعنى قول الله عز وجل **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (١٠١)}**: أي تسع دلائل معجزات، وقيل: إن هذه العجزات التسع هي: العصا والبحر والحجر واليد والدم والضفادع والجراد والقمل ونتق الجبل ظلة على بني إسرائيل، ورفعه فوقهم حتى ظنوا أنه واقع بهم.

ومعنى قوله **{بَصَآئِرَ (١٠٢)}**: أي دلائل.

ومعنى قوله: {وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا (١٠٢)}: أي وإني لأوقن أنك مثبور، والظن في بعض القرآن معناه اليقين، والمثبور: هو المخذول الملعون، قال الشاعر:

فمـــن يعادينـــا فبـــالثبور

أي بالخذلان والويل، وقال آخر:

أنـت مثبـور غـوي مسـرف أفـك القيـل ومـزور بطـر

وقال آخر:

إذا أتاني الشيطان في سنة النو م ومـن مـال قبلـه مثبـوراً

أي مخذولاً ملعوناً.

ومعنى قوله {جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)}: أي جميعاً معاً.

ومعنى قوله {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ}: أي قطعناه ونزلناه شيئاً بعد شيء وفصلناه.

{لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ (١٠٦)} أي على مقام ومهل، ولم ننزله على سرعة وعجل.

{قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ} على سبيل التهدد والوعيد.

ومعنى قوله: {يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)} أي يخرون على الأذقان، والأذقان هي مواضع اللحى من الوجوه، قال الشاعر:

وخـرت تميمـاً لأذقانهـا سجوداً لـذي التـاج فـي الغمغمـة

أي سقوطاً على وجوهها.

ومعنى قوله {إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨)}: هو إن وعد ربنا لمفعولاً.

ومعنى قول سيدنا عز وجل: {أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى}: أي ادعوه بأي أسمائه الحسنى شئتم، فأيها ما دعوتم به فهو حسن جميل، ودعاؤكم إن شاء الله مقبول.

ومعنى قوله: {وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا} أي لا ترفع صوتك، ولا تسر إسراراً، والمخافتة هي الإسرار، والمعنى في ذلك: لا ترفع صوتك في النهار بالصلاة، ولا تخافت بالليل،

{وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠)}، أي توسط فيما بين الجهر والإسرار وجهاً حسناً، لأن رفع الصوت حد اللبس من أفعال الحكماء، وكذلك شدة المخافتة حتى لا يتبين الكلام.

{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} أي لم يفعل ولم يطلب ولداً، {وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} أي لم يكن له مشارك في الملك، {وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ} أي لم يكن له ناصر، [بياض قدر ثلث سطر] والصم، فلا يحتاج إلى ذلك العزيز الكريم.

ومعنى قوله {وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)} فهذا أمر من الله بالتكبير بعد الافتتاح، وهو واجب في الصلاة فرض من الله ذي الجلال والإكرام، ولي الخيرات ولي الرشد والصلاح، والجود والإنعام والطول والفلاح، والبيان والهداية والإيضاح.

تفسير غريب سورة النحل

معنى قول مولانا تبارك وتعالى {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ (١)}: أي سيأتي أمره عز وجل، وهذا جائز، والعرب تعبر عن المستقبل بعبارة الماضي، وتعبر عن الماضي بعبارة المستقبل، وهذا مثل قول سيدنا عز وجل: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا}[الزمر/٧٣]، ولم يساقوا بعد ولكن سيكون ذلك.

ومعنى قوله: {يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ (٢)}: أي ينزل بالقرآن من أمره، فسمى القرآن روحاً، لأنه حياة للقلوب.

ومعنى قوله: {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)}: أي فيها دفء من الأصواف والأوبار والشعر، يدفأ به الناس من البرد، ولولا ذلك لهلك أكثرهم، قال الشاعر:

جزاك الله خيراً يا كساء ... فأنت الصوف تغزلك االنساءُ

تجملني إذا زرت الغواني ... وتدفيني إذا دخل الشتاءُ[1]

{وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ(٦)}: فالجمال: هو الحسن والزينة التي يتجملها الناس.

ومعنى {حِينَ تُرِيحُوْنَ}: أي حين تريحون الأنعام إلى مرابضها، وتستريح في أماكنها، وتسكن في مراحها، وتبيت عند منازل أهلها.

ومعنى قوله: {تَسْرَحُوْنَ}: أي حين تسيرون في أول النهار إلى المراتع والقفار وتمشون، إلى الرعي والأشجار وتمضون، قال الشاعر[2]:

بكرت تعرض في مراتعها ... فوق الهضاب كأنها الوبرِ

---

[1] هذان البيتان غير واضحين في الأصل، وقد أصلحناهما من المصابيح.

[2] القائل المسيب بن علس يصف النحل، وقد ورد البيتان هكذا:

بكرت تعرض في مراتعها ... فوق الهضاب بمعقل الوبرِ

وغدت لمسرحها وخالفها ... متسربل أدمى على الصدرِ

وتهتـــدي لمســـرحها وخالفهـــا متســـربل أدهـــى علـــى الصـــدرِ

ومعنى: {إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ (٧)} أي بتعب الأنفس ومشاقها.

قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)}: والقصد: هو الثبات، قال:

يـا نـاق مـا يغنيـك جـورا فاقصـد

أي فاثبتي.

ومعنى قوله {عَلَى اللَّهِ}: أي عند الله لعباده أن يهديهم، وهو سبحانه الضامن لذلك لهم، وعليه أيضاً البيان لقصد الطريق، قال الشاعر:

علـيّ إن خنـت بنهـب مثلـه

أي عند الضمان بطرده.

ومعنى قوله عزوجل: {وَمِنْهَا جَائِرٌ} أي من السبل جائر، ولكنه اختصر عن ذكر سبيل الناس وبدعهم، التي جارت بهم عن سبيل الله، والجور: هو الميل عن القصد، قال الشاعر:

يجـور أحيانـاً وحينـاً يهتـدي

ومعنى قوله: {وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ}، أي ترعون فيه أنعامكم، قال الكميت بن زيد رحمة الله عليه:

ردافـاً علينـا لـم يسـيموا رعيَّـة وهمهـم أن يمتروهـا فيحلبـوا[1]

ومعنى قوله: لم يسيموا: أي لم يرعوا ولم يشبعوا رعيّة.

{وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ} الذر هو الخلق والنشر والتكييف.

ومعنى قوله {لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا}: أي رطباً جديداً، قال الشاعر:

إن لـم يكـن لحـم فحيتـان طـري

---

[1] في المخطوطة (ا): وهمتهم ان استدروا فيحلبوا، والتصحيح من القصائد العلويات للكميت بن زيد رحمه الله، وهذا البيت من القصيدة البائية.

{وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ (١٤)}: أي فوارغ في البحر، فهي تجري فارغة مواخراً، كجريها مملوءة شواحن، قال: وهذا التفسير يروى عن العالم صلوات الله عليه.

ومعنى قوله {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ}: أي لأن تميد بكم.

ومعنى تميد: تسير وتجري، قال الشاعر:

كمتخذ البناء على كثيب يميد به إذا هطل السحاب

أي تسير به.

{وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا}: أي عيوناً من المياه الجارية وطرقاً.

{وَعَلَامَاتٍ}: أي دلائل على سبب من الأسباب كل ذلك منافع من رب الأرباب.

ومعنى قوله: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}: يريد أن أصنامهم لا يعلمون متى يبعث المشركون، ولا في أي حين يحشرون، ومن كان ميتاً لا يدري بالحشر والحساب، فكيف يكون أحدَّ من ذوي الألباب.

ومعنى قوله {قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ}: أي جاهلة غير عارفة.

{لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٢٣)}: معنى لا جرم: أي لا شيء ألزم من الله تعالى بعلم ما يسرون في أنفسهم، وبعلم ما يظهرون بألسنتهم، أي ليس ألزم ولا أوضح من علم الله بما يعملون.

وجرم في اللغة: هو ألزم، قال الشاعر:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة كلها أن تغضبا

أي ألزمت فزارة أن تغضب، وحملتهم على التكلف والغضب، وفزارة عشيرة من العرب، وكذلك قوله تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوْا}، أي لا يلزمنكم شنآنهم وبغضهم ومقتهم على ألا تعدلوا في الحكم فيهم، ثم قال {اعدلوا هو أقرب للتقوى} وصدق في ذلك مولانا تبارك وتعالى، أن العدل عند الغضب والرضا، لأقرب إلى الحق والصدق والهدى، والخوف لله العلي الأعلى.

ومعنى قوله تعالى: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ (٢٦)}: معنى فأتى الله بنيانهم من القواعد، أي أتى الله بأمره إلى الموثر والأساس والأصل، فهدم بنيانهم عليهم، [وأهلكهم] بذلك ودمرهم، والقواعد هن الأساس والموثر بلغة اليمن.

وهذا مثل مضروب لعملهم الذي رجع وباله ونكاله عليهم، وحل بهم وأهلكهم.

ومعنى قوله {الَّذِيْ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ}: أي تقاطعوني فيهم، وتأبوني في عبادتهم.

{قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ (٢٧)}: يعني الملائكة والنبيين، والأئمة والأخيار الطاهرين.

ومعنى قوله {فَأَلْقَوُا السَّلَمَ} أي طرحوا الذل وسلموا صاغرين.

{وَحَاقَ بِهِمْ} أي حاط بهم ووقع ونزل.

{وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ (٣٦)}: روي عن العالم عليه السلام أنه قال الطاغوت كلما أطغى وأضل عن الحق.

[قوله تعالى: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٤٣)}: فاسألوا أهل الذكر، والذكر على وجوه شتى:

أحدها: الرسول، وذلك قول الله عز وجل: {قَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ذِكْرَاً رَسُولاً}، فسمى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ذكراً رسولاً، ثم أمر بسؤال أهله وذريته فقال: {فَاسْأَلُوا أَهلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ}، ومعنى إن كنتم: فهو إذ كنتم، فقامت إن مقام إذ] [1].

ومعنى قوله: {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ}: فالبينات هي الدلائل النيرات الواضحات، والزبر: هي الكتب قال الشاعر:

وغـــادرةٍ كَكُتَّـــابِ اليهـــود ... بـــه خـــط أقـــلام وحـــي الزبـــر

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ} أي القرآن.

---

[1] ما بين القوسين زيادة من المصابيح، عن الإمام الحسين بن القاسم، وقد تقدم مثله في تفسير سورة الأنبياء.

ومعنى قوله {يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ}: معنى يتفيؤ ظلاله أي يرجع يميناً وشمالاً، {سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} أي مطيعون لله مستذلون وهم صاغرون.

ومعنى قوله عز وجل { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ} السجود: هو الذل والاستعباد، والخشوع [والإمكان] لله والإنقياد، {وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} أي يخافون قوة الله الذي هو أعلى في القدرة والقوة منهم.

{وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا} أي مُتعِباً مُنصِباً، وقيل: دائماً، والله أعلم، قال الشاعر:

هام بها قلبي وقلبي لم يثب ... منها قتيلاً غير أعراض الوصب

أي أعراض التعب، وقال آخر:

إن تسلم العرجا من الأوصابي ... فلا أبالي جفوة الأصحابي

والأوصاب: جماعة الوصب.

{ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)} أي تضجون وتصيحون، قال الشاعر:

فلما أن أراد الله أمراً ... مضى والمشركون لهم جُؤار

أي لهم ضبح وصياح وعويل وتعب ونوايح، حين لا ينفعهم الضجيج، ولا يدفع نقم الله عنهم العجيج، وإنما أراد الشاعر بهذا البيت قوم نوح عليه السلام.

{تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ (٥٦)}: قسماً بالله عز وجل.

ومعنى قوله عز وجل {أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ}: أي على ذل وهوان، قال الشاعر:

إنا وجدنا بلاد الله واسعة ... تنجي من الذل والمخزاة والهون

ومعنى قوله {أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ} أي يدفنه في التراب، والدس: هو الدفن، معروف ذلك.

ومعنى قوله تعالى {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} أي لهم صفة السوء، ولله الصفة العليا، والأسماء الكريمة الحسنى.

{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ}: أي من الصدقات ما لا يحبون، ويخرجون من أموالهم ما لا يشتهون.

ويمكن أن يكون جعلهم لله ما يكرهون هو تسميتهم لله بالبنات التي لا يريدون.

قوله تعالى: {لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (٦٢)}: أي لا شيء ألزم من أن لهم النار وأنهم مسرفون، **والإفراط**: هو السرف والمجاوزة للحد، والترفع على سبيل القصد.

والتفريط في اللغة: هو معنى ثان غير الإفراط وهو التواني، فافهم الفرق بينهما وبين معانيهما، وقال المرتضى لدين الله عليه السلام يمدح أمير المؤمنين الهادي إلى الحق صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين:

قد جربوا طعن الإمام وضربه ... بعد الخواصر في حشا الآباط

ما الفاطمي يهوله حرُّ القنا ... لا لا وليس بذم بالإفراط

قوله تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦)}: **الفرث**: هو غذاء الأنعام إذا حصل في بطونها سمي فرثاً، وهو خَبَثٌ لا منفعة فيه، إذا خرج عند ذبح الأنعام، فأراد الله عز وجل أن يعجب خلقه من خروج اللبن السائغ الطيب من بين الدم والفرث الخبيثين، الذين لا منفعة فيهما لأحد من الناس أجمعين، لما في ذلك من حكمته عند المتوسمين، الحكماء أهل التمييز المفكرين، والفرث هو غذاء الأنعام كما ذكرنا، قال الشاعر في مثل ذلك:

تركت حوارها يعوي عليها ... لدى فرث وضو الجازرينا

واللبن السائغ: هو الطيب اللذيذ.

ومعنى قوله **{تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا}** هو ذم لهم على اتخاذهم للسكر، وهو المسكر، وتذكير لمن عقل منهم بالرزق الحسن، وهو الحلال، ليشكورا على ذلك المنعم ذا الجلال، الله الرب الأعظم الكبير المتعال، حتى يزيدهم على الشكر من الإفضال، فأما هو فغني عن شكرهم في جميع الأحوال، غير محتاج إلى فعل من الأفعال، ولا مفتقر إلى شيء من الفعل والمقال، قال الهادي إلى الحق عليه السلام:

إياكم وذا الخبيثَ المسكرَا ... فإن من يشربه قد كفرا

قوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨)}: معناه ألهم النحل وأمرها ودلها، والنحل: فهي النوب في لغة اليمن، وهي دواب تنشي العسل من بطونها.

ومعنى {مِمَّا يَعْرِشُونَ}: أي مما يثبتون ويعمدون، من المساكن والأشجار التي يعمرون، والعروش قد تكون من البيوت، وقد تكون من الأعناب والأشجار، قال الشاعر:

كما سد من تحت العروش الدعائم

{فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا}: أي فادخلي طرق ربك ذللاً، أي منقادة غير عاصية له فيما أراد الله عز وجل، فالعرب تقول: للنفير ذلول إذا أسعد وانقاد، قال الشاعر:

ذلولاً ولم يركبه أدبر غازيه

{يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ}: أي تشربه من كل الثمرات، ويكون مختلفاً في الألوان والحالات، **{فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ}** أي دواء للناس من الجوع والبرد والبلغم، وغير ذلك من الأدواء التي تعلم أو لا تعلم، فأما من الحرارة فروي أنه لا يشفي ولا ينفع في الحمى، وإنما هو شافي في بعض الأسباب، وذلك من لطف الله رب الأرباب، والشفاء في اللغة هو النفع والدواء.

ومعنى قوله: **{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا}**: أي يدخل إلى المشيخ الذي هو أرذل عمر الإنسان، وأنقص وأخس ما يكون عليه في الزمان، **{لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا}** أي لا يعلم بعد علمه شيئاً عند الهرم، لأن الله عز وجل أهرمه وأذهب بالكبر والهرم عقله وعمله.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ (٧١)}: **معنى فضلوا في الرزق**: يعني في المواريث والأمطار وأسباب سهلها بالمقادير، وكذلك فضل عزوجل المالكين على مماليكهم، فأما رزق الاكتساب فذلك من تصرف العباد، واحتيالهم وضربهم في البلاد.

{فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء} يريد عز وجل أن المفضلين المالكين لا يردون برزقهم على المملوكين إلا من رزق الله رب العالمين، إذ لا يقدرون على اختراع الرزق وخلقه لمن يرزقون، ثم قال عز وجل: {فَهُمْ فِيهِ سَوَآء}، وهم في رزقه وكرمه عليهم أكفاء، وليس يريد أنهم في التصرف سواء، وإنما هم سواء في الفقر والفاقة إلى رزق الله لهم، فافهم ما قلنا بقلبك من أمرهم.

قوله تعالى: {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً (٧٢)}: أي من بعضكم، وهذا مثل قوله {رَسُوْلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ}، أي مثل قوله: {فَسَلِّمُوْا عَلَى أَنْفُسِكُمْ} أي على بعضكم، ومعنى قوله: {فَاقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ} أي بقتل بعضكم بعضاً، في الجهاد غضباً لربكم على من عصاه وعطل دينه منكم.

وقوله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِيْنَ وَحَفَدَةً}: أي بنين وبنات، **والحفدة**: اللواتي يحفدن البيوت ويصلحن أمور المنازل، قال الشاعر:

حَفَدَ الوَلَائِدَ حَولَهُنَّ وأَسْلَمَتْ ... لِأكفهنّ أزمةُ الأحمالِ

{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ}: أي لا تجعلوا لله الأشباه، لأنه عز وجل ليس له شبه ولا مثيل، ولا نظير يساويه ولا عديل، وهو الله الواحد العظيم الجليل.

قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه يمدح الله عز وجل في كتاب الأحكام: الذي ليس له حد ينال، ولا شبه تضرب له المثال، وهو ذو القوة والقدرة والمحال.

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ} يقول الله عز وجل هل يستوي منهم مملوكاً لا يقدر على شيء ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي رزقناه رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً، هل يستوي هو ومن ذكرنا من الأصنام، إلا عند من لا يعقل ولا يميز من الأنعام، والكفرة الفجرة المشركين الطغام، وهذا مثل لما ذكرنا ضربه ذو الجلال والإكرام، لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولمن عبد الأصنام.

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}:

يريد عز وجل بضربه المثل بالرجلين الذين أحدهما أبكم لا ينفع وهو محنة ومؤونة، وأحدهما فصيح لبيب، عاقل قوي أديب، أن هذه الأصنام بُكْمٌ لا تأمر بخير، ولا تنهى عن منكر ولا ضير، وهي كَلٌّ ومحنة وشغب ومؤنة، والحبلا الحمل والرفع والوضع، ومحمد يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وسبيل معتدل، لا يميل عن الحق والصواب، ولا يخالف ما ينزل عليه من رب الأرباب، يُحتاج [في] جمع الخيرات إليه، ويعتمد في كل المهمات عليه، قال الشاعر:

أصبح صوت عامر خفيا أبكم لا يكلم المطيا

وأما الكَلُّ: فهو المؤنة والشغب والبعد والمحنة.

ومعنى قوله تعالى: **{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)}**: أي وعنده علم ما غاب في السموات والأرض، **{وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ}** يعني بذلك المثل بلمح العين، ويريد تعالى أن سهولة قيام الساعة عنده كسهولة النظر بالعين عند المخلوقين، ثم قال: **{أَوْ هُوَ أَقْرَبُ}**: يريد أمر الساعة عنده أقرب من نظرة أحدكم بعينه، فقام أو مقام الواو، قال الشاعر:

بنو عامر فهم الأكرمون والأكثرون حصى أو نفيرا

يريد ونفيراً ولكن أو قامت مقام الواو.

ومعنى قوله: **{الْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ}** يعني بالأفئدة القلوب.

ومعنى قوله: **{مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ}** أي مسهلات في هوى السماء، قد يسهلن الله عز وجل في [بياض في الأصل قدر نصف سطر].

وأمسكهن في جو السماء **{مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ}** أي ما يلزمهن إلا الله عز وجل، بما يسهل لهن من الأجنحة [بياض هنا في الأصل]، وفعل.

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} أي مسكناً ومنزلاً.

ومعنى قوله **{بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ}**: أي جعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً خفافاً تخف عليكم عند مسيركم وسفركم، وعند إقامتكم وحضركم، **والظعن**: هو السفر والمسير، قال الشاعر:

علـى محمـد سـيد الإسـلام إن ظعـن النـاس وإن أقـاموا

{وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠)}: **الصوف**: هو شعر الضان، **والوبر**: هو شعر الإبل، **والشعر**: هو شعر المعز، وهذا عبارة مني وبيان، فأما العرب فلا تجيز أن تسمي الوبر والصوف شعراً، إلا أن الوبر والصوف إنما سميا بذلك للفرق بين الأسماء، قال الشاعر في الصوف:

[أقـول وقـد تسـدل جانبـاه جـزاك الله خيـراً يـا كسـاء

فأمـك نعجـة وأبـوك كـبش وأنـت الصـوف تغزلـك النسـاء

وقال آخر في الوبر: ما يدل على أنه للجِمال خاصة:

[ولـم يـرع علـى رعـي منيـف ولـم يعقـد بمحتضـر حرامـا

ولـم يتبـع ضـعائن منجـدات ولـم يجـزِ لـذى وبـر حطامـا

وأما الشعر: فهو للمعز أو الناس، وأسباب أخرى، مشهور ذلك عند الناس].

وأما الأثاث: فهو متاع البيت مثل الأكسية والبسط، والحبال والخيوط.

ومعنى قوله **{متاعاً إلى حين}**: أي بُلغة ومتعة إلى حين الموت، يمتعون بذلك ويتقوون على طاعة الله تعالى؛ لأنه لم يوجد شيئاً من الأشياء إلا للعون على طاعته، ويكون أيضاً حجة على أهل معصيته.

{مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا} أي جرافاً وغيراناً، **{وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ}** أي دروعاً من الحديد تقيكم شركم وقتالكم، وتدفع حدكم ونصالكم.

ومعنى قوله: **{لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}** أي تسلموا وتشكروا الله وتؤمنوا وتهتدوا.

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا} أي شاهداً عليهم من الرسل التي أرسلنا إليهم.

{وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} أي بعد إثباتها ولوزمها، {وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} أي ضامناً وكيلاً، وأشهدتموه على الوفاء بعهوده.

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا}: أي لا تنقضوا أيمانكم وعهودكم، كنقض المرأة للخيط من الشعر بعد قوته فصار نكثاً، وجماعة النكث: أنكاث، ونساء العرب ينكثن المسوح، أو يرجع شعراً يحتاج إلى الغزل ويصير ضعيفاً متفرقاً لا قوة فيه ولا نفع ولا خير بعد أن كان قوياً نافعاً، فضرب الله ذلك مثلاً دل به على الرشاد، تبارك وتعالى فلقد نصح لو قبلت نصايحه، وتُرك الباطل وقبايحه، وخُلِّي واعتزلت فضايحه، ولكن هذه البرية لقد لهجت باللعب والمحال، ولم ترحم أنفسها من العذاب والضلال، ولم يقبل نصائح الله ذي الجلال والإكرام، فنسال الله أن يعجل نصر دينهم عليهم، ويعجل هلاكهم، ويُقَبِّح وجوههم، وينتقم منهم، ويعيذنا من قربهم وحوارهم، ويخلصنا من عشرتهم وديارهم، فليس أنكى لقلب عاقل من صحبة من لا يعقل، ولا يدعو إلى الحق أبداً ولا يقبل.

ومعنى قوله **{تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ}**: يريد أنكم تجعلون أيمانكم مدخلة لبعضكم مع بعض في الإخاء والمودة لأن لا تكون أمة هي أكثر من أمة، يريد عز وجل أنكم تحالفون وتعاقدون للمكاثرة في الدنيا لئلا تكون أمة من الأمم أكثر من أمتكم، ولا أزيد من جماعتكم، وكان ينبغي لكم أن تكون أيمانكم على طاعة ربكم لو غفلتم، ولكن همتكم غير ما أمركم به خالقكم.

ومعنى قوله عز وجل **{إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ}** أي يمتحنكم بالأمر ويختبركم.

ومعنى قوله **{فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا}**: هذا مثل مضروب بزلة القدم، وإنما المعنى بذلك زللهم في الدين وميلهم بعد ثباتهم عليه واعتدالهم، قال الشاعر:

وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل

ومعنى قوله: **{فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}**: يعني حياة الآخرة.

قوله تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ(١٠١)}: **التبديل**: هو النسخ للأحكام والتحويل، وإنما يبدل الحكم بالنقل إلى غيره،

أو بالزيادة في الفرض، أو بالتخفيف منه، فأما التلاوة فلا تبدل ولا تترك أبداً، ولا تنقل ولا تمحى الآية ولا تبطل، ولكن لا يحكم بها ولا يعمل.

قوله تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)}: **روح القدس**: هو جبريل عليه السلام، **والقدس**: العلو والنزاهة، فكذلك جبريل قد نزهه الله ورفع قدره، وبارك فيه وطهره، فصلوات الله عليه وعلى إخوانه الطاهرين والصفوة من عباده المقربين.

ومعنى قوله عزوجل: **{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣)}**: أي لسان الذي يلحدون إليه ويضيفون القرآن ويتهمون أنه علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أعجمي، **{وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}** أي هذا قول بين وكلام عربي، قال الله عز وجل: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ}**، أي بكلامهم وقولهم، فسمى القول والكلام لساناً، والأصل في تفسير هذا أن المشركين قالوا: لعل محمداً تعلم من يهودي أو نصراني، فرد الله عليهم في قولهم؛ لأن هذا القرآن عربي فيه من الغريب ما لا تحصى، ومن العجائب والحكمة ما لا يستقصى، وإنما ذكرنا في كتابنا هذا من تأويل القرآن غريب ما حكاه الله تعالى في الفرقان، فأما أعاجيب القرآن وأسراره، وآدابه وتوحيده وأخباره، فسنذكر منها إن بلغنا الله – ما نؤمل من هداية العباد– ما يتبين للخلق، ويقتدى به في جميع البلاد، ويكون سلماً لمن عقل إلى الرشاد، ودامغة للمكذبين ذوي الفساد، ومعجزة ودلالة على صحة ما ادعينا من الهدى، ونجاة وسلامة لمن عقل من الكفر والضلالة والردى، ولكن كلامنا لا يتدبره إلا كل رصين العقل، بعيد من غمرة الضلة والحيرة والجهل، فإذا اوعى عليكم شيئاً فتدبروه، وتصبروا على تأمله ولا تتركوه، فربما كان ذلك أعظم في الدلالة مما قد بان لكم فأوضح في معرفة الله ومعرفة دينكم.

ومعنى قوله عزوجل **{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا}**: قيل إنهم رجال من المسلمين فتنهم المشركون، وعذبهم في طاعة الله الكافرون، والفتنة ها هنا: هي العذاب منهم، قال الله عز وجل **{الَّذِينَ فَتَنُواْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}**، أي عذبوا المؤمنين والمؤمنات.

ومعنى قوله **{يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا}** أي جماً كثيراً، قال الشاعر:

إلا إن بغـــدداً بـــلاد مقيتـــة إلـيّ وإن كـان المعـاش بهـا رغـدا

أي بغيضة إلي وإن كان المعاش بها كثيراً.

ومعنى قوله **{فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ}** يعني كفر أهلها بأنعم الله عز وجل، **{فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}**، واللباس هو مثل مضروب وهو جائز، قال العالم صلوات الله عليه:

تـدرعت درعـاً للقنـوع حصـينة أصـون بهـا عرضـي واجعلهـا ذخـرا
ولا أرهـب الـدهر الخـؤون لأنـه قصاراه أن يرمي بي الموت والفقرا
فأعـددت للمـوت الإلـه وعفـوه وأعـددت للفقـر القناعـة والصـبرا

وقد علم الناس أن القنوع والصبر والرضى بالقليل من القوت ما يحتاج إلى درع تلبس له، وإنما هذا مثل مضروب، وإنما ضرب الله المثل باللباس لما كان اللباس يغطي ويغمر ويقع ويوجد مَسُّه، وكذلك ضرب العالم صلوات الله عليه المثل بالدرع لما كان الصبر يدفع ما يهمه، ويتقي عنه بمشيئة الله ما يغمه، صار بمنزلة الدرع الحصينة.

وقيل: من لم يضرب الأمثال فليس بحكيم، والأصل في ضرب الأمثال التوصل إلى الصفة للموصوفات، والمعرفة بجميع المعروفات، وإنما ضرب الله عز وجل هذا المثل بالقرية تنبيهاً لأهل مكة وغيرهم، ليرهبوا مثل ذلك قبل أن ينزل بهم.

ومعنى قوله تعالى: **{وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ (١١٥)}** وذكر عليها غير اسمه فهي حرام، **والإهلال**: هو الذكر والكلام، فكل ذبيحة أُهِلّ بها لغير الله، ، **والإهلال**: هو الصوت والكلام، قال الشاعر:

أهلـوا بـذكر الله وامضـوا فـإنني مهـــل بـــذكر الغانيـــات وراجـــع

أي تعلموا بذكر الله وأنه زعم مهل متكلم بذكر العانيات.

{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ}: أي فمن ألتجأ إلى شيء من الميت والدم ولحم الخنزير وذبيحة المشركين، **{غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ}** أي غير ظالم لنفسه ولا عاد عليها بالظلم، **{فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** به لا يعذبه على ذلك، وأصل العدوان والتعدي هو تعدي الحدود ومجاوزته لها إلى غيرها مما لا يحل له.

ومعنى قوله عز وجل **{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ}** أي

تقولوا للذي وصفوه بالتحليل والتحريم بالكذب أنه حلال وحرام بالجهل والعما منكم ولكن أحلوا وحرموا بالقرآن ولا تحلوا وتحرموا بالكفر والعدوان.

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ} أي إماماً داعياً إلى الله، وكل شيء كان قدوة يسمى أمة، لأنه مؤتم وقدوة ومقصد.

ومعنى قوله **{اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ}** أي رفعه وتولاه، وأرشده إلى الحق وأدناه.

قوله تعالى: {وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢)}: أي يقينا بالله؛ لأن أحسن ما آتاه الله عباده اليقين، ومن أراد أن يوقن بالله حق اليقين، فيقف على ما وضعنا من التوحيد، ومعرفة الله الواحد المجيد، ثم ليحكم نفسه على جهله، ولا يحكم لنفسه على عقله، فإنها كتب لم توضع للفخر والرياء، ولا لشيء من زينة الدنيا.

قوله تعالى: {إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤)}: يريد جعل السبت على اليهود الذين اختلفوا في إبراهيم، أخبرنا الله عز وجل أنهم تكلموا فيه بغير الصواب، واختلفوا فيه بكلام لم يأمرهم به رب الأرباب، ولم يتعبدنا بمعرفة اختلافهم فيه، ولم يخبرنا عن قولهم، ولم يطلعنا عليه، فأبهمنا من ذلك ما أبهم، وفهمنا من قوله ما بين وأفهم، ولم نكلف أنفسنا غير ما به تكلم، ولم نتوهم بغير الحق ما كتم، ولم نستعمل في ذلك الظن والوهم.

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ} أي إلى دين ربك، **{بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ (١٢٥)}**: معناه ادع إلى الله بالكلام الجميل، والقول الحسن اللين النبيل، وتلطف بالجهال، واستعطف قلوبهم بلين المقال، والرفق بهم والتقدير في الإجلال، والمناظرة لهم بالنصفة وحسن الجدال، حتى تستميل قلوبهم بحسن الفعال.

{إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)}: أي هو معهم معين وناصر لهم، يغضب لهم، ويحب من أحبهم، ويبغض من أبغضهم، ويعذب من عذبهم، ويرفق بمن رفق بهم، ويصل من وصلهم، ويقطع من قطعهم، وكفى بذلك فضلاً ورحمة من الله، وفعلاً لعباده أهل اللطف والبر والإحسان، وأهل الرحمة والخوف لله والإيمان.

غريب سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ (١)}: أي هذه آيات الكتاب.

ومعنى قوله عزوجل: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ (٣)}: هو توبيخ لهم بضعف همتهم، وأن همتهم المأكل الدني؛ لأن العرب تعيب من لا همة له ولا خير فيه، إذا كان مثل البهيمة مشبهاً في المأكل فقط، ويستثقلونه إذا كان كذلك، ويهجونه في أشعارهم، ويطعنون عليه ويوبخونه بكلامهم، قال الشاعر يوبخ قوماً ويستخف بهم [وهو حاتم الطائي]:

لحا الله صعلوكاً مُنَاهُ وهَمُّه ... من الدهر أن يلقى لباساً ومطعما

يرى الخِمص تعذيباً وإن يلق ... يَبِتْ قلبُه من قلة الهمّ مُبهَمَا

وأحسن من هذا قول سيدنا الإمام المرتضى لدين الله صلوات الله عليه:

ليس همي همة الوغد الذي ... أينما اخضر له العيش ربض

لا كهمي تحت أطراف القنا ... أفتل القرن إذا القرن اعترض

وقوله أيضاً:

ليس همي صياح صنج ودف ... لا ولا شرب خندريس مدام

إلى آخر الشعر.

ومعنى قوله **{وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ (٣)}**: أي يشغلهم الرجا والطمع بالحياة الدنيا، وهذا كله على سبيل التهدد والتقرع لهم، بميلهم إلى حطام الدنيا وطول أملهم.

{وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦)}: لن يوقنوا أنه أنزل عليه الذكر، وشهدوا له بذلك لما سموه مجنوناً، وإنما أرادوا لعنهم الله التهزي به واللعب، فحكى الله عزوجل عنهم ذلك وأخزاهم، إذ لا خزي في الدنيا أخزى من كفرهم وعماهم، ثم إهلاك الله لهم على طغيانهم وعتاهم.

ومعنى قوله **{لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ (٧)}** أي لو تأتينا، وما زيادة في الكلام.

{مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ(٨)}: أي بالموت.

ومعنى قوله {فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ (١٠)}: أي فرق الأولين، والأمم الخالين.

{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢)} يعني القرآن أنه يدخل في قلوبهم ليكون حجة الله عليهم، ثم قال: {لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ (١٣)} أي وقد مضت سنة الأولين أنهم إذا لم يؤمنوا كان حجة عليهم وكانوا معذبين.

ومعنى {فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤)}: أي يطلعون.

{لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥)}: يريد عز وجل بهذا القول أنهم كابروا عقولهم فهم لا يوقنون، حتى لو أطلعهم السماء، لقالوا ما أطلعنا ولكن سكرنا حتى عميت من السكر أبصارنا، ولكن نحن قد خدعنا وسحرنا، حتى أُعمينا وسكرنا.

قوله تعالى: {وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩)}: لا يجاوز حده، ولا يتعدى ما فعله فيه خالقه، فهو في مقداره عند الله كالموزون الذي لا يزيد ولا ينقص من وزنه.

{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١)}: أي كل شيء عندنا وفي ملكنا، تحويه قدرتنا، كما تحوي الخزائن ما فيها، وليس ثم خزائن على الحقيقة، لأنه لا يحتاج إلى الخزائن ولا حفظها، وإنما هذا مثل من الأمثال، يستدل به على قدرة الله ذ البقاء والجلال، والقدرة والقوة والسلطان والمحال.

ومعنى قوله {وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١)}: أي بقدر من الكفاية محدود، وعدد من ذلك معدود.

{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}: أي منفذات لأمرنا، وكل أمر [نافذ] عند العرب فهو لاقح، من ذلك قولهم: لقحنا الحرب أي أنفذنا الحرب وأنشأناها وأوقدناها، ومثل قولهم: لقح البيع والشراء، أي لزم وتم ونفذ، فهذا ومثله كثير موجود في كلام العرب.

ومعنى قوله {فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢١)}: أي لستم له بحافظين، ولا تقدرون على حفظه في الأرض ولزمه للشاربين.

{وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)}: أي علمنا من تقدم من الأولين الماضين، وعلمنا المستأخرين من الأمم الباقين.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦)}: قيل إن الصلصال هو الذي يتصلصل مثل الحديد إذا حرك وتقلقل من اليبس، ويمكن أن يلين بالماء بعد يبسه وتصلصله، قال الشاعر:

وأهيم صَادٍ قد تصلصل جوفه طوى الصيف خمساً فهو للماء

أي يبس جوفه حتى تقلقل من العطش، والله أعلم وأحكم.

وقيل: إن الصلصال يخرج على معنى آخر وهو الخالص من الأشياء، تقول العرب: هذا رجل مصلصل، أي [إذا] كان خالص النسب، وهذا أحب الوجهين إلي؛ والله أعلم وأحكم، لأن الحمأ هو من خالص الطين وأخف الترب ولينه.

والمسنون: فيما روي عن السلف عليهم السلام هو المتغير الرائحة، يدل على صحة ذلك قوله تعالى: **{فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ}**، أي لم يتغير.

والمسنون أيضاً على وجه آخر فيما روي: وهو المصور، قال حمزة بن عبد المطلب صلوات الله عليه يصف النبي صلى الله عليه وعلى أهله:

أغرٌّ كأن البدر سنة وجهه

أي صورة وجهه.

ومعنى قوله عزوجل **{مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧)}**: أي من لهب الحرِّ، والسموم: هو الحر في لغة العرب، ويسمون الرياح إذا هبت في الصيف سموماً، لأنها تهب بالحر.

ومعنى قول إبليس اللعين: {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي (٣٩)}: أي كم فقامت الباء مقام الكاف، فهما من حروف الصفات.

ويمكن أن يكون هذا قَسَماً من الملعون اللعين بقدرة الله التي أغوته وعذبته، والغي هاهنا هو العذاب.

ويمكن أن يكون الله أغواه، ومعنى قوله: أغواه: أي حكم عليه باسم الغواية وسماه، وليس كما يتوهم الجهال من أن الله أضله وأعماه، وكيف ذلك وهو الذي دعاه، وبصره وبين له

هداه، وأوعده على المعصية ونحّاه، وأبعده من أجلها وأقصاه، وكيف يلزمه عن الطاعة، ثم يلزمه عن التوبة ويدعوه، هذا مما لا يجوز على الله الجليل، ولا تقبله في الله العقول.

{قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١)}: أي هذا دين عندي وسبيل مستقيم.

ومعنى قوله في جهنم **{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)}**: قال بعض من لا معرفة له بالتفسير: إن السبعة الأبواب ليست بأبواب، وإنما هي سبعة علماء من علماء السوء، فهم أئمة الضلال، وسبيل إلى النار ومرتبك الجهال، غير أن هذا قول بين لا يحتاج إلى تفسير.

ومعنى قوله **{ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ (٤٦)}**: أي بسلام منه من الآفات والأسقام، والموت والمصائب والآلآم، قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

يريد عليه السلام: الأخيار من همدان، ولم يرد من كان منهم على طاعة الشيطان، وكل مدحة ذكر الله في همدان على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإنما المراد منهم ذو العقول.

ومعنى قوله عزوجل: **{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ}**: أي نزعنا كل داء ومحنة، وغيظ وحزن وغم.

ومعنى قوله: **{إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧)}** ليس يتقابلون الدهر جميعاً، وإنما هذا عند زيارتهم إخوانهم ومجالستهم لأصحابهم، نسأل الله أن لا يحرمنا ذلك، وأن يجعلنا بفضله وبرحمته كذلك.

والسرر: هي معروفة يضطجع عليها الملوك، والواحد منها سرير.

{لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ} أي لا ينالهم فيها تعب.

ومعنى قوله عزوجل: **{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩)}**: أي خبرهم برحمتي ومغفرتي لهم، **{وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ (٥٠)}**: أي ليخشوا سخطي، ويحذروا عقوبتي، فلم أوعدهم بذلك إلا ليدخلوا في رحمتي، فنسأل الله بادع السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أن يرحمنا ويغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر ويتم نعمته علينا، ويبلغنا السبب الذي له خلقنا، والرحمة التي لها أوجدنا.

ومعنى قوله {قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ}: أي لا تخف.

ومعنى قوله: {إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ(٦٠)}: أي قدرنا هلاكها تقديراً، إنها لمن الماضين الذاهبين في لعنة الله السالفين.

ويمكن أن يكون أراد أنها لمن الباقين المخلدين في لعنة الله المعذبين.

والغابر في اللغة يخرج على وجهين: أحدهما: الماضي. وأحدهما الباقي، وهما من الأضداد.

{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ (٦٥)}: أي في جانب من الليل، قال الشاعر:

افتحي الباب فانظري في ... كم علينا من قطع ليل بهيم

{وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ} أي آثارهم وسر وراءهم.

{وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ (٦٥)}: أي لا يبال منكم أحد بهلاكهم، ولا يقف أحد منكم معهم، ولا يلتفت إلى شيء من أمورهم، والعرب تقول: لا تبال بفلان، ولا تلتفت إليه، أي لا تحفل به، وليس يريدون الالتفات المعروف.

{وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦)}: أي آخرهم وعقبهم مقطوع لا ينمو لهم نسب، ولا يبقى لهم عقب، عند صباحهم وفي أول نهارهم.

{وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧)}: أي يسرون ويفرحون عند دخول الملائكة عليهم السلام في صورة الآدميين فرأوا وجوههم تنير، أحسن صور تكون من المخلوقين، قد هَمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يشعر بخبرهم، ولقي الفاسقين يدافعهم على الباب ويخاصمهم، وكان من قوله ما ذكره الله عنه وعنهم.

{قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٧١)}: عرض عليهم أن يتولّوا ويزوجهم ويعفهم ويدفعهم بذلك عن ضيفه، إذ جهلهم وقدر أنهم من الآدميين وحسبهم.

وقيل: إنه أراد أن [يتحشمهم] بذكر بناته ويقول: إنكم لا تنالون ضيفي حتى تنالوا بناتي، ولا تقدرون على ذلك إلا بعد هلاكي، فعند ذلك ناداه الملائكة صلوات الله عليهم وقالوا له: ذرهم يدخلوا فنحن ملائكة ربك، فتركهم عند ذلك فلم يجدوا أحداً.

وقيل: إن جبريل عليه السلام لطمهم لطمة واحدة فأعماهم كلهم، والله أعلم بذلك من أمرهم.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)}: أي إن في ذلك لآيات لأهل النظر المتقربين، أهل التمييز والعقول المستبينين، قال الشاعر:

وفيهن ملهى للضيف ومنظر أبين لعين الناظر المتوسم

أي المتقربين.

{وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦)}: أي لعلى طريق مستقيم، وهي على طريق من الطرق ينظرها من سلك تلك الطريق من المسافرين، كما ينظرون غيرها من آثار مدائن الأولين.

{وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩)}: أما الأيكة: فهي قرية أهل مدين، ويمكن أن تكون شجرة يعبدونها، فأخبر الله عز وجل أنها هي وقرية لوط أي على طريق بينة، وهما جميعاً في طريق الشام.

{وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠)}: وأصحاب الحجر فيما روي والله أعلم هم قوم لوط وهم ثمود، والحجر موضع بالشام في وادي القرى، روي أن آثارهم فيه وبيوتهم.

ومعنى: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥)}: أي اعفُ عن المجرمين عفواً جميلاً حسناً، والصفح هو العفو، قال الشاعر:

صفوح عن الإجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس

{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)}: قيل: السبع من المثاني هي سورة الحمد، بأنها سبع آيات.

ومعنى قوله: من المثاني: أي هي من القرآن المثنى المردد المكرر.

{لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)}: هذا تأديب للناس، والمخاطَبُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمعنيُّ سواه، وإنما هذا نهي من الله للعباد أن يمدوا أعناقهم طول الدهر وأنفسهم، إلى متاع الناس وحطامهم، ويكثروا

التمني لمثلها حتى يسرفوا، ويشتغلوا بالتمني عن ذكر الله وسؤاله، ولعل الله لو رزقهم مثل ذلك أن يكون سبب هلاكهم، وسلماً إلى ذهابهم، والله أبصر بعباده وبما ينفعهم وهو أولى بالخير لهم.

ومعنى: أزواجاً منهم: أي أصنافاً من الناس.

ومعنى قوله: {كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠)}: أي من النعمة فلم يشكروها، ومتعناهم بالنعم فلم يحمدوها، **والمقتسمون**: هم الذي تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله، فكذلك نِعَم هؤلاء تزول كما زال ما أنزلنا على أولئك.

ثم قال عزوجل: **{الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)}**: روي عن السلف عليهم السلام أنهم كانوا يفسرون هذه الآية ويقولون: إن قريشاً كانت تقول إذا وعظهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم – هزؤاً ولعباً– يعضنا، ويقلبون الظاء ضاداً، ويلون لحنهم، بمعنى هو أعضه، بغضاً لله ورسوله.

ويمكن أن يكون معنى عضين: أي جعلوا القرآن عضيهة وشتماً، وإن كان عضين مستثنى من العظيهة وجماعتها، وهي النسمة، قال الشاعر:

عظهـــاً لجـــارة بيتـــه لا لا ولا مســـــتعيباً بـــــالزام

والقول الأول أحسنهما عندي وأقواهما، والله أعلم وأحكم.

ومعنى **{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ}**: أي اقطع بما تؤمر، والصدع هو القطع، قال الهادي عليه السلام:

فيا قوم فُوا لي بعهدي عندكم فـإني بـأمر الله والحـق صـادع

{وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)}: أي خلهم واجتنب مخالطتهم ومجالستهم، بعد مكابرتهم، وكمال الحجة عليهم.

{إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)}: أي كفيناك عقوبتهم وقتلهم، حتى نخفف عنك مؤونة حربهم، فروي أن الله عزوجل قتلهم، وأمر جبريل فعذبهم وأتلفهم.

{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)}: أي حتى يأتيك الموت الذي لا شك فيه.

تفسير غريب سورة إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

{لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ(١)}: أي من الجهل والعمى إلى العلم والهدى.

{بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} أي بأمر ربهم.

ومعنى قوله {وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا(٣)}: أي يعرضون عن طريق الله.

{وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً} أي يطلبون الطريق عوجاً وميلاً منهم عن الهدى.

ومعنى: {يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ (٦)}: أي يعرضون عليكم أشد العذاب، قال الشاعر:

فسامه خطتي خسف وقال له اختر وما فيهما حظ لمختار

أي عرض عليه خطتين من الذل.

ومعنى {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ (٥)}: أي نبههم عن غفلتهم وسفههم بأيام الله التي أحلها من كان مثلهم، وأهلك بها من كفر قبلهم.

قوله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ (٧)}: أي تضمن ربكم، وحكم بوعده ووعيده عليكم، وأعلمكم بذلك وبينه لكم، وأذن لكم به ولم يخفه عنكم.

ومعنى قوله {جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} أي ردوا أيديهم في أفواههم ليعضوا أيديهم وأصابعهم من الغيظ والحنق على رسلهم، والحسد لأنبيائهم.

{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} يريدون ليس فيه شك بعد ما أريناكم من عجائب صنعه، فأما أعداء الله فهم شاكون، وبالله عزوجل مشركون، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده.

ومعنى قوله {وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥)}: أي طلبوا من الله أن يفتح بينهم وبين قومهم بالحق.

{وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}: أي خسر كل متكبر، فلم يظفر، والعنيد: هو الذي يعند عن الحق، وينصرف مدبراً عن الصواب والصدق.

ومعنى قوله {وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ (١٦)}: أي من ماء متغير قبيح، والعرب تسمي الدم المتغير الفاسد في الجرح صديداً.

ومعنى: { يَتَجَرَّعُهُ} أي يشربه جرعة على تعب، {وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ (١٧)}: معناه: لا يقارب ولا يداني أن يستلذه ولا يجده [طيباً] ولا يوده.

{مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ}: المعنى في ذلك: مثل أعمال الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد، ولكنه اختصر.

{وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا} أي خرجوا لله جميعاً، {فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ } أما الضعفاء: فهم الذين لا جند لهم ولا سلطان، وهم السفل الأتباع، الفساق الهمج الرعاع.

{مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١)} أي من مهرب.

{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ} أي سيقول الشيطان، وهذا مثل قوله {وانشق القمر} أي سينشق القمر.

ومعنى قول إبليس اللعين {وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ}: الخلف هو الكذب، قال الشاعر:

لعمرك ما يوافقني خليل إذا ما كان ذا خلف كفورا

ومعنى قول إبليس اللعين {مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ} أي ما أنا بمجيبكم، والتصريخ هو النداء والضجيج، قال الشاعر:

ولأنت أشجع من أسامة إذ وقع الصريخ ولج في الذعر

ومعنى قوله {إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ} أي جحدت شرككم، وهذا قول إبليس اللعين.

ومعنى {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ (٢٣)}: أي دعاء بعضهم لبعض بالسلام، والتحية: هي السلام، وهي قول القائل: حيّ الله فلاناً وسلم عليه، وأصل الدعاء بالتحية: هو مأخوذ من الحياة، والسلامة من المصائب والآفات.

وقوله تعالى: { اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ(٢٦)} أي قلعت وقطعت فلا ثبات لها، هذا مثل ضربه الله تعالى للكلمة الخبيثة، الفاحشة القبيحة، أنها لا تثبت لصاحبها ولا تنفع،

ولكنها تفسد وتخبث وتقطع، ليزدجروا عن الكلام القبيح، وكذلك ضرب الله المثل للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة التي يثبت أصلها، ويرتفع في الهواء فرعها، وتؤتي أكلها كل حين، وذلك أن الكلمة الطيبة يثبتها الله لصاحبها ويجعل له ثواباً جزيلاً، ونعمة عليها، فتكون له بمنزلة الشجرة التي يعيش بثمرها، وينتفع بأكلها، وتكون الكلمة الخبيثة بمنزلة الشجرة الخبيثة التي لا ينتفع بها، وتكون ضرراً وشراً حتى تقطع وتجتث، **والاجتثاث**: هو القطع للشيء، قال الهادي للحق صلوات الله عليه: ويجتث الله أصل أئمة الجور الضالين، أي يقلعهم ويستأصل عزهم.

{يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} أي يثبتهم على الحق بالقرآن الثابت على الصدق.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا} أي بدلوا الشكر على نعمه كفراً وجحداً، **{وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨)}** أي دار الهلاك.

ومعنى قوله **{لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ (٣١)}** أي ولا مخالَّة فيه بين الأصحاب.

{وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ} أي مسرعين مستمرين، غير واقفين ولا فاترين.

ومعنى قول إبراهيم صلى الله عليه **{وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥)}** **{فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي }** أي فإنه معي ومن حزبي، **{وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)}** أي لا تعذب أحداً برحمتك إلا بذنب عظيم، ومن عصاني فلست أسألك فيه، ولا أطلب منك له، لأنك أرحم بعبادك، وأبصر بمن يستحق العقاب، ولم يقل اغفر لهم، ولا سأله فيهم، لأنه عزوجل قد نهى أولياءه عن السؤال لمن كفر من قومهم، من ذلك نهيه لنوح صلى الله عليه، ولمحمد عليه السلام.

ومعنى قول سيدنا خليل الله إبراهيم صلى الله عليه **{رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ}** يعني مكة، **{فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ}** أي اجعل قلوب الناس تهوي إليهم، وتسارع إلى الحج وتهوى ذلك.

وقال أيضاً في الأفئدة: إنها جماعة الوفد، وهي الأفئدة والوفود والوافدون.

{وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ} هذا بيِّنٌ.

ومعنى: **{مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ }**: أي خاضعين مرخين لرؤوسهم.

وقد قيل: إن المهطع هو الرافع، وهذا خلاف قول السلف صلوات الله عليهم، قال الشاعر:

نمير بن سعد لي مطيع ومهطع

والاقناع مأخوذ من القناع، وتقنيع الرأس إنما يراد به ستره لا رفعه، وإنما يقنع رأسه من يريد التغطي والتذلل، وكذلك اقناعهم رؤوسهم هو تغطية وجوههم بنكس رؤوسهم إلى الأرض، **{لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ}** أي لا يرجع إليهم نظرهم، من شدة انقلاب أبصارهم، وشخوص أعيانهم، فهم لا يطرفون، ولا ترجع إليهم أجفان العيون، **{وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء (٤٣)}** أي خلاء فارغة من الأحلام، قد خلت من العقول والأوهام، وسكروا حينئذ من الهول في المقام، وطاشت أفئدتهم وخفت حتى صارت مثل الهواء، لشدة الخفقان.

{وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ} وقد كان ينبغي لكم أن توقنوا بالزوال كما زالوا، وتعلموا أنكم منتقلون عن الدنيا كما انتقلوا.

{وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦)}: ليس يريد سبحانه أن الجبال تزول من جودة رأيهم، ولكن لعظيم جرأتهم على الله وكفرهم، مثل قوله تعالى **{لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠)}**[مريم]، ولولا لطف الله وحلمه عنهم لهدم الجبال عليهم في مكرهم.

{فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧)}: المخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنيُّ سواه، لأن رسول الله لا يحب ذلك ولا يراه، ولا يقول به في الله سيده ومولاه.

ومعنى قوله **{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ}** هذا تبديل صفاتهم، وهن غير مبدلات بأعيانهن، والعرب تقول: بدل الصايغ السوار خواتيم، وإنما بدل صورة السوار، والفضة قائمة بعينها.

ومعنى **{سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ}** أي لباسهم من قطران.

{هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ} أي هذا بلاغ إليهم، ليوصلهم ويبلغهم، حتى ينتهوا عن معاصي ربهم، أو يكابروا أمره ونهيه لهم فيحل عذابه عليهم، وينزل بهم.

تفسير غريب سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

{يُدَبِّرُ الأَمْرَ} أي يحكمه ويقدره.

ومعنى قوله **{مَدَّ الأَرْضَ}** أي وسعها.

قوله تعالى: **{وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ (٤)}**: أي بعضهن في بعض، وهي مختلفات، والقِطَع: مثل قطع التراب الذي بعضه لا يشبه بعضاً، مثل التراب الأسود والأحمر والأخضر والأصفر، وغير ذلك مما لا يحصى من ألوان الشجر، وذلك دليل على المخالف بينها، والمدبر المصنف لها.

{صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ} أي مجتمعة الأصول وغير مجتمعة، والصنو هو الأخ، والصنوان: الأخوان المقترنان.

قوله تعالى: **{وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ (٦)}** معناه مضت وقعات المثل بأشكالهم، واحد المثلات مُثْلَة: وهي الوقعة التي مثل فيها بالمعذبين، **والمثل**: هو التعذيب في الضرب والقتل، **{وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ}**: أي مع ظلمهم يغفر ويتجاوز في هذه الدنيا عنهم، ويملي بفضله ورحمته لهم، ولكن قامت على مقام مع، قال الشاعر:

سوف أرويها على أني كسل ... وشارب من مائها ومغتسل

يريد أنه يروي أنعامه مع أنه كسل، فقامت على مقام مع.

أي أنت منذر يا محمد، ولكل قوم هاد يهديهم إلى الحق، وفي كل أمة إمام يهديهم ويدلهم إلى الصدق.

ثم ابتدأ فقال: **{اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ (٨)}**: أي أنه عز وجل يعلم كل حمل حملته الإناث، ويعلم ما تغيض أرحامهن، وما ينقص من الأولاد.

ومعنى تغيض: تنقص.

ومعنى تغيض الأرحام: هو خروج الأولاد، وإذا خرجت الأولاد تغيضت الأرحام وفرغت، بعد أن زادت بالولد وكثرت، قال الله عز وجل {وغيض الماء}: أي نقص الماء.

ومعنى وما تزداد الأرحام: فزيادة الأرحام هي زيادتها بالأولاد وكبرها وكثرتها.

{سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠)}: سواء ذلك في علمه لا يخفى عليه من أسرَّ ولا من جهر، من خير ولا شر، ولا يغيب عنه مستخف ولا سارب، **والمستخفي**: هو الكامن في الليل المختبي، **والسارب بالنهار**: هو الذي يمشي ويدب، قال الشاعر [الأخنس بن شهاب التغلبي]:

وكُلُّ أناسٍ قاربوا قيدَ فَحلِهِم ونحن حللنا قيده وهو سَارِبُ

ومعنى: **{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ}**: أي لكل إنسان حفظة معقبات، يتعقبون فعله ويدرون به، مرة من بين يديه، ومرة من خلفه يتعقبون فعله، **والتعقب**: هو التتبع للشي، فهم صلوات الله عليهم يتعقبون أفعالنا، ويتتبعون أعمالنا، ويكتبون كلامنا، فنستغفر الله مما كتبوه علينا، ونسأل الله أن يمحو ما كتبوا علينا من قبيح أفعالنا، فكم زلة مهلكة لنا، وخطيئة رأوا منا، إلا أن يرحمنا سيدنا، ويتجاوز بفضله عن سيئاتنا.

ومعنى **{يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ}**: أي بأمر الله، فقامت من مقام الباء الزائدة.

{وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١)}: أي ليس لهم وال يلي أمورهم غير الله عزوجل، فهو الذ يلي عقابهم ويجازيهم، ويتولى عذابهم.

ومعنى: **{ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا (١٢)}**: أي ليخافوا عذابه؛ لأن البرق طرف من العذاب، وجانب هائل من العقاب، وليطمعوا في رحمته عند الأمطار ورؤية البرق والسحاب.

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} أي ينزه الله ويبعده من شبه خلقه، لأنه لو يشبه الخلق لما قدر على فعله، ولا تهيأ له أقل قليله.

ومعنى بحمده: أي يحمده ويشكره، فعل ذلك لعباده ليشكروه على فضله، وبيان حكمته لهم وعدله.

{وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء (١٣)}: أي يرسل ناراً من السماء، وهي البروق التي تصعق الناس، **ومعنى تصعق**: أي تقتل وتميت، بإذن الله الحي الذي لا يموت، **وإنما**

سميت بالصواعق: لصعقها وإماتتها، قال الله تعالى: **{فَصَعِقَ مَنْ فِيْ الْسَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ}**: أي ماتوا.

ومعنى قوله **{فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء}**: أي يقتل منها من يشاء قتله وإصابته من عباده وبهائمه، وهي نقمة للفاسقين، وهي منية من المنايا وعبرة لمن اعتبر وكان حياً.

{وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ} أي يخاصمون ويحاجون في الله وفي عبادته، ويكرهون القول بوحدانيته، **{وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)}**: أي شديد القوة، والمِحال –بكسر الميم-: هو القوة لله ذي الجلال، وذلك معروف من اللفظ والمقال، قال الشاعر[1]: [هو الأعشى]

فرع نبع يهتز في غصن المجد غزيـــر الثـــرى شـــديد المحـــال

ومعنى **{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ}** أي إليه دعوة الحق، فقام اللام مقام إلى، ويمكن أن يكون معنى له دعوة الحق: أي له دعوة الحق الصحيحة إلى الحق، التي دعا بها عباده إلى الصدق.

{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ (١٤)}، أي دعاؤهم إلى الحجارة لتنفعهم كدعاء من يبسط يده إلى الماء ليدخل فاه، وهما سواء عند من يعقل، لا فرق بين من قال للحجر: أيتها الحجر اشفعي لي عند الله، وانفعيني في الدنيا، وبين من قال: أيتها الماء ادخلي فاي، واسقني من الظماء، فهذان ف الحق واللقب سواء، وإنما تبسط الأيدي إلى الله تعالى العلي الأعلى، السامع لكل دعاء ونداء.

قيل بغير ذلك في التفسير، وزعموا – وهو قول حسن-: أن الله ضرب المثل لمن يقبض على الماء قبضاً ليوصله ويبلغه فاه، وهو مثل لا بأس به، لأن من يلزم الماء بأصابعه لا يحصل معه، لأن القابض له لا يناله، ولا يصح له قبضه بالكف وإيصاله، والعرب تضرب الأمثال لمن كان في الحمق يفعل ذلك، قال الشاعر[2]: [ضابيء]

---

[1] البيت للأعشى، وفيه عظيم المحال، بدلاً من: شديد المحال.

[2] البيت لضابئ إلا أنه هكذا: وإني من ليلى على مثل قابض. إلى آخره.

وإني وإياها على مثل قابض على الماء لم ترجع بشيء أنامله

{وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ(١٥)}: أي لله يخشع ويذل من في السماوات والأرض، **فأما الذين يخشعون طوعاً**: فهم المتعبدون الذين يشهدون بالطاعة لله ويخشعون.

وأما الذين يسجدون كرهاً: فهم الأموات الجامدون، الذين هم لله وبقدرته هامدون، ساكنون بتدبيره ساجدون، وإنما سجودهم وسجود ظلالهم - بالغدو عند الصباح، وبالآصال عند العشاء والرواح- سجود الطباع، وسجود المتعبدين سجود الانطباع.

وأصل السجود: هو السكون والخشوع، والذل والهدو والخضوع، قال الشاعر:

أناخوا ليغفوا تحت أعجاز بأيدي المهاري والجفون سواجد

أي أناخوا تحت أعجاز سدفة الفجر وضوؤه ليرقدوا، والجفون سواجد: أي جفون أعيانهم سواكن من النوم والسهر وطول السرى، والمسير والسفر، وقال آخر[1]: [هو ذو الرمة]

أقامت لهم صدر المطي ورأسه لميد الكرى من آخر الليل ساجد

أي ساقط من النوم ساكن، وهذا كثير غير قليل، وقول الله أصدق الأقاويل، إذ يقول: **{اُدْخُلُوا البَابَ سُجَّدَاً}** أي خشعاً، عليكم السكينة والوقار.

ومعنى قوله: **{أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا}** أي بملئها، وعلى قدر سعتها، **{فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا}** أي حمل زبداً مرتفعاً عالياً فوق الماء، مشرفاً طامياً، **{وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ}**: في هذه الآية تقديم وتأخير، والمعنى في ذلك

---

[1] هذا البيت لذي الرمة إلا أن صدره لبيت وعجزه لآخر، وهما من قصيدة واحدة:

سقاه السرى كأس النعاس فرأسه لدين الكرى من آخر الليل ساجد

أقامت لهم صدر المطي وما درى أجائرة أعناقها أم قواصد

كله: وزبد مما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع، فكأنه قال: احتمل السيل زبداً رابياً، وزبداً مثله من الحلية والمتاع.

وذلك أن السيل إذا اضطربت أمواجه داخله الهواء، وثار منه الخبث والقذى، حتى يصير ذلك زبداً رابياً أبيض، رابياً عالياً فوق الماء، مشرفاً طامياً، وكذلك الحلية إذا أوقد عليها أو على غيرها من متاع الدنيا ومآكلها، صار عليه زبد مشرف منيف، مثل زبد السيل طايش خفيف، لا خير فيه عند اختباره، ولا بقاء له عند قراراه، فضرب الله سبحانه المثل للفرق بين الحق والباطل، فجعل الحق مثل الماء الذي هو حياة للمخلوقين، وجعل فيه أرزاق المرزوقين، وجعل الباطل مثل الزبد الذي لا خير فيه ولا بقاء له، ولا معتمد عليه، وكذلك زبد الحلية وخبثها، وهو مثل مضروب للباطل الذي جعله الله كزبد الماء السائل.

والحلية: التي هي منافع العباد، [مثل مضروب للحق النافع في جميع البلاد]، الناهي عن الغي والجور والفساد، وكذلك زبد المتاع إذا غلا في القدور، فهو كغيره من الزبد المذكور.

ثم قال عز وجل: **{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء }**: **والجفاء**: فهو الجافي المتفرق الأجزاء.

ومعنى قوله: فيذهب جفاء: أي يذهب ويفترق عن الماء وغيره قطعاً متجافية غير لطيفة، والمتجافي هو المائل عن السواء، الملتوي عن اللطف والبهاء، قال الشاعر:

فهم جفاة عليها غير فرسان

أي ملتوون عليها غير معتدلين.

ومعنى قوله **{وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ}** أي يقيم في الأرض، **{ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ** (١٧)**}** أي يجعل الله الأمثال، والضرب للمثل: هو الفعل له من المثل، وجعل القول [من] القائل، **وأصل الضرب**: هو الفعل، والاختراع للشيء والجعل، قال الشاعر:

ضربن ميعاداً ليوم مرتقب

أي جعلن ميعاد ليوم منتظر معروف.

ومعنى قوله {وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)}: أي بئس الفراش، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه: ولم أبت فيمن قد مهد.

{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ} بمعنى أنهم يصلون أرحامهم والأقربين، ويصلون إخوانهم المؤمنين.

{وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} أي يدفعون السيئة بالإحسان، وذلك من خلائق أهل الفضل والإيمان.

ومعنى قوله {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)}: عوضاً من الدنيا، وهي الآخرة، والعقبى: هي العوض من كل فائت، قال الشاعر:

دعت الرحمن أن يعقبها ... منهم نسل غلام ففعل

أي دعت إلى الله عزوجل أن يعوضها بدل من ذهب من أولادها، وقال آخر:

قد أعقب ربي بعد شقراء قاعد ... بمهر طموح مثل قدح المناضد

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ(٢٦)}: أي ما هي [مع] الآخرة إلا متاع إذا ذكرت معها، فقامت في مقام مع.

ومعنى متاع: أي بلغة ومتعة إلى حين الموت، ولا سلامة لأحد فيها من الفوت، وكل شيء بلغ المحل قيل متع صاحبه إلى موضع كذا وكذا.

ومعنى {طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)}: أي سرور لهم، والطوبى: هي السرور، وطيب الحياة والحبور، قال الشاعر:

فيا طوبى لمن قتلت يداك

يريد يا سرور من قتله هواك.

وقد حملنا تبيين كتاب الله والذب عن دينه على ذكر الشعر، وما تكلموا به من الهذيان والهذر، وما كنا لنذكره في غير التفسير، لأنه لهو باطل من الأمور، ولكنا قصدنا في ذلك بيان الغريب.

وحسن المآب: هو حسن المرجع والمصير.

ومعنى {وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠)} أي إليه مرجعي ومآبي، قال الشاعر:

إن لله دره حين تابا

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى } هذا من الاختصار، وما تستعمله العرب بينها من الإضمار، والمعنى في ذلك: أنه أراد لو أن قرآناً كانت تسير به الجبال، أو تقطع به الأرض، أو تكلم الموتى لكان هذا القرآن، لأنه أعظم ما نزل الرحمن.

وتحتمل وجهاً آخر: وهو ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى، لما انتفع به المشركون، ولما قبله أعداء الله الكافرون، العماة عن الله المكابرون.

ثم ابتدأ فقال: **{بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا}** يريد تعالى التقرير لهم لمن يؤمن، ألم يؤمن الذين آمنوا، **واليأس**: هاهنا هو اليقين، قال الشاعر:

ألم ييئس الأقوام أني أنا ابنه وإن كنت عن دار العشيرة نائيا

أي لم يوقنوا، وقال آخر:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تيأسوا أني حريث بن جابر

وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(٣١)}: أي لايزالون تصيبهم مصيبة، والقوارع: هي المصائب، قال الإمام صلوات الله عليه:

ستأتيه القوارع عن قليل ورب العرش مشتار بديني

ومعنى تحل قريباً من دارهم: أي تنزل قريباً من بلدهم، وتحل على بعض إخوانهم، وأشباههم من الفاسقين وأمثالهم، والحلول: هو الدخول على الشيء والنزول، قال الشاعر:

نحل بلاداً كلها حل قبلنا ونرجو فلاحاً بعد عاد وحمير

أي ننزل بها.

{فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} أي أمهلتهم، وأطلت حياتهم، قال الهادي إلى الحق عليه السلام:

وأملي لأهل الكفر في ثأر أحمد لنأخذهم يوم القيامة بالوتر

{ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢)} أي فكيف رأيتم عقابي كان، وهذا هو التوقيف لهم، قال الشاعر:

كيف رأيت في الحروب محضري

{أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} هذا فيه تقرير، وفيه اختصار وإضمار، وفيه زيادة ألف، فأما قوله أفمن: فالألف زيادة تشبه الاستفهام، وهي صلة وزينة للكلام، والمعنى: فمن قائم على كل نفس بما كسبت، يريد من هو غير الله، على سبيل الإفهام والتوقيف، والتقرير لهم بذلك والتعريف.

{وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ} أي اذكروا أسمائهم وبينوها في وحي الله، وأظهروا أسمائهم في كتب أنبيائه، وإلا فهو كذب منكم، وجرأة على الله ربكم، {أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ} يريد: أن يخبرون الله ويعلمونه بما لا يعلم في الأرض، هذا توقيف لهم على كفرهم بالله وشركهم معه، لأن قولهم نزل إلى تجهيلهم لله أن يكون رضي بشيء لم يندب إليه أحداً ولم ينزل به كتاباً ولا رسولاً، {أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ} أي هل وجدتم ذلك بظاهر من قوله، ومشهور من تنزيله، {بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ} أي زينه لهم شياطينهم، وكبراؤهم من الكفار وإخوانهم، {وَصَدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ} أي أعرضوا وأدبروا عن الطريق، قال الهادي إلى الحق عليه السلام:

وذابلة الرماح تعلّ فيهم إذا صد الحميم عن الحميم

أي إذا أدبر وأعرض الحميم عن حميمه وصاحبه.

{لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}: يريد بالموت والسقم والمصائب وزوال النعم، وحلول المصائب والنقم.

{وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ}: أي أتعب وأحق، وهذا مأخوذ من المشقة.

{وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ (٣٤)}: أي ليس واق يقيهم من الله، ولا يدفع عنهم عذاب الله، قال المرتضى لدين الله صلوات الله عليه:

وأقيك يا ابن محمد سمر القنا بالنحر مني غير ذي إنكار

يريد فأدفع عنك القنا بنحري، وألقاهم دونك بصدري.

{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)}: يريد مثل الجنة، أي صفة الجنة، أن فيها الأنهار والأكل الدائم والظل، وإنما الأصل في الأمثال أنها صفات في المقال، قال الله عز وجل: **{وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى}** وليس لله مثل، وإنما أراد وله الصفة العلياء، فافهم أصل ضرب الأمثال، والتوصل إلى الصفات بالمقال.

{وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ} أي من جموع المشركين من ينكر بعضه،، أي يجحد بعضه، وذلك أنهم لم ينظروا بعلم الله وإجلاله، ولم ينكروا ولم يجحدوا رسله، فليس تراهم أقروا ببعضه، وإنما أنكروا نبوة محمد وأنكروا إخلاص العبادة لله وحده، وأنكروا أشياء من القرآن عتواً عن إلههم، وتكبراً عن طلب البيان، وبغضاً وحسداً لنبيهم، واتباعاً لأهوائهم وغيهم. ومعنى قوله **{وَإِلَيْهِ مَآبِ** (٣٦)}: أي مرجعي، قال الشاعر:

وغائب الموت لا يؤوب

أي لا يرجع.

{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ (٣٧)}: هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد سواه من الأنام، فقس على هذا ما أشبهه من الكلام، مما لا يليق برسول ذي الجلال والإكرام.

هذا رد من الله على سفل وأوباش من المشركين، وأراذل وسفل من الكافرين، قالوا: كيف يكون محمد نبياً وهو يأكل ويشرب، ويفعل كمثل ما نفعل، فرد الله عليهم في ذلك، والله أعلم.

وما في ذلك من عيب على الرسول، بل هو فخر له عند أهل العقول، لما كان في ذلك من ولادة البتول، وغيرها من أولاد الرسول، بركة عظمى من بركات خاتم النبيين، وذريته الطاهرين الطيبين، والأخيار الأبرار المنتجبين، وأي حكمة في ذلك النكاح، الذي هو عيب عند الكافرين، وأي بركة وعطية من رب العالمين، فالحمد لله الذي اختصنا بولادته، وجعلنا من أهل ولايته، ونسأل الله تمام نعمته، بجوار خاتم النبيين وذريته، وقد كان عند رسول الله نسوة من المسلمات،

فما اشتغل بهن ولا بغيرهن من اللذات عن تلاوة كتاب الله وحفظ ما فيه من الآيات، وهذا من فضله عند من عقل أخذ البينات، لأنه لو كان على ما قال اجاهلون من التوهم، لاشتغل بذلك عن الحفظ والتعليم، لا سيما إذا كان أمياً لا يقف على الكتاب ولا يحفظ منه شيئاً، وقد على الناس أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يحفظ الكتاب والسنة جميعاً، وكان لذلك فهماً مستطيعاً، لا يجهل عليه السلام منهما حرفاً واحداً، ولا يستزيد ولا يستفهم أحداً.

{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ }: أي لم يكن ليقدر على أن يأتي قومه بآية من نفسه، وإنما هذا القرآن من الله لنبيئه، يوحي الله إليه وينزله، ولو كان ذلك من رسوله، لما قدر صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بأقل قليله، ولا تهيأ له ولا حصل من قوله.

{لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)**}** أي لكل وقت كتاب، والأجل: هو الوقت، والفترة من الفترات فيما بين الأفاضل من الرسل، يريد أن لكل وقت من أوقات الرسل كتاباً، وكلاماً من عند الله وخطاباً، فكان في وقت موسى عليه السلام التوراة، وفي وقت داود الزبور، وفي وقت عيسى الإنجيل، وفي وقت محمد هذا الكتاب، فكل هؤلاء الرسل صلوات الله عليهم قد أنزل الله كتبه في الأوقات إليهم.

ثم قال: {يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)**}**: **المحو**: هو محمو الذنوب عن التائبين، **والتثبيت**: وهو ثبات ذنوب الكافرين، وحفظه لما كان من المذنبين.

وعنده أم الكتاب: أي عنده أصل الكتاب، وفي علمه أصل ما نزل من الخطاب، **وأم الشيء**: هي أصله وأواه، **والأمهات**: هي الأصول المحكمات، **والبنات**: هي الفروع اللاحقات.

ومعنى قوله عزوجل **{فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ** (٤٠)**}**: أي عليك الإيصال لهم، والاحتجاج بالقرآن عليهم.

{أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} أطراف الأرض هاهنا: أهلها، وقيل: طرفا الرجل في اللغة هما الوالد والولد، والله عزوجل ينقص الولد مرة، والوالد أخرى، حتى ينقرض الجميع بالفناء، قال الشاعر:

فكيف بأطرافي إذا ما شتمتني ... وما بعد شتم الوالدين صلاح

فسميا الوالدين أطرافاً لما ذكرنا.

{وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)}: أي لا متَّبع لحكمه يحاسبه عليه، ولا يكتب ما فعل عنده ولديه.

{فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا}: أي عنده مكرهم جميعاً، فقامت اللام الزائدة مقام عند.

{وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢)}: أي سيعلم جميع الكافرين لمن عوض الدار، وهذا مثل قوله {قتل الإنسان ما أكفره} يعني الكفار، ومثل قوله {أحلت لكم بهيمة الأنعام} أي جميع بهائم الأنعام، وهذا جائز عند العرب، قال الشاعر:

تمنيت والإنسان لا يترك المنى

أي والناس لا يتركون المنى.

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً}: أي لست برسول، والعرب تنفي بهذه الكلمة ويجعلونها بمنزلة ليس، وينفون عن الغائب بليس، ويخاطبون الحاضر: لست يا هذا كا زعمت، إذا نفوا زعمه، وإذا نفى الرجل عن نفسه قال: لستُ كما ذكرتم، -برفع التاء-.

{قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)}: أي كفى به شهيداً، لأنه كاف عز وجل، لا يحتاج رسوله إلى غير شهادته.

وشهادة الله عزوجل: هي بيان ما أحكم له من قوله، فكان ذلك القول الباهر لجميع الأمم شهادة من الله صادقة كافية، ودلالة على صدقه منيرة شافية.

{وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}: من الملائكة المقربين، والأنبياء الصادقين، وأمير المؤمنين، وجميع الأئمة الطاهرين، وجميع أتباعهم من المؤمنين، فهم على صدق رسول الله شاهدون، ولما أتى به من الحق المبين، وما دله على الله من اليقين.

وشهادة الأنبياء على نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي بشارتهم به قبل أن يخلق وقبل أن يوحى إليه، وكان ذلك مشهوراً عند الخلائق كلها، وكانت الأمم جميعاً تروي ذلك عن رسلها، لا يختلف في ذلك اثنان، ولا يتناظر فيه متناظران.

غريب سورة يوسف صلى الله عليه

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ}: أي نتلو عليك ونخبرك بالقصة، وهي الخبر.

وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)}: أي من الجاهلين، ولم يكن جهله إلا بالشريعة التي شرعها له رب العالمين، فأما غير ذلك من أصول التوحيد والعدل، وما يستنبط ويدرك بالعقل فلم يكن يجهل ذلك، وحاش له أن يكون كذلك

ومعنى: **{إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(٤)}**: المعنى في ذلك أن الكواكب هي الأشراف من الرجال، وهم إخوة يوسف، والشمس هي أمه، والقمر أبوه، وذلك أنهم سجدوا لله من أجله.

{قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا (٥)}: أي فيحتالوا لك حيلة.

{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ}: أي يرفعك ويتولاك.

{وَنَحْنُ عُصْبَةٌ}: أي جماعة.

ومعنى قوله **{يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ}**: أي يفرغ لكم وجهه، ويقبل عليكم بخطابه، كل ذلك حسد منهم لأخيهم، وقلة حمة لأبيهم.

{وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩)}: أي تائبين، ويمكن أن يكونوا تمنوا الصلاح عند ودهم، إذا عدم من هو خير منهم.

{قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ} أي اطرحوه في أسفل طبقات البير اللاتي يغيبن وجهه، **والجب**: هي البئر البعيدة فيما قيل –والله أعلم–، قال الشاعر يصف الأنعام وشربها:

فصبّحت بين الملا وثيره ... جُبّاً ترى جمامه مخضرّه

فبردت منه لهاب الحرّه

يريد أن الماشية صحبت البئر بين موضعين، ومعنى جمامه مخضرة، أي ترى ما نجم وتغزر من الماء، مخضرة من الكثرة، فبردت منها لهاب الحرة أي بردت حر العطش بذلك الماء.

معنى {نَرْتَعِ وَنَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢)}:

معنى نرتع: أي نفتعل في وزن الكلمة ومقدارها، وهو نرعى الماشية ونلعب.

وأما قولهم: إنهم له ناصحون: فالناصح في اللغة: هو الذي لا يكذب ولا يغش ولا يميل عن الصحة، فهذا معنى النصيحة، قال الشاعر:

لله در الشيب من واعظ وناصح لو قُبل الناصحُ

{وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ}: هذا من شفقته صلى الله عليه.

وقد روي أنه كان رأى في منامه أن الذئاب أغارت عليه لتأكله فوقع في أفواهها قميصه وسلم من شرها، فكان يخاف عليه منهم؛ لأن الذئاب في التعبير تدل على رجال ذوي حيل ودهاء، وشجاعة ومكر، وغيلة وخديعة.

وكذلك جميع الدواب في المنام إذا رأيتها فهي ربما تدل على أشكالها من الناس وأمثالها، مثل الأسود تدل على شجعان الرجال وملوكها، ومثل الحيات تدل على أبطال الرجال ودهاتها، ومثل العقارب تدل على سفل البرية وضعفائها، وكذلك الجمال تدل على قدر ما يراها النائم عليه من النقص والكمال، وعلى قدر شرفها في الهيئات والأفعال، وكذلك الذكر من الدواب يدل على الذكور، والإناث تدل على الإناث.

ومعنى قوله عزوجل {وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ}: الإجماع: قد يكون الإجماع الذي هو ضد الاختلاف، وهو التواطي على الشيء والائتلاف،، وقد كون الإجماع: هو العزيمة على الشيء والإزماع.

{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٥)}: يريد عزوجل أوحى إليه في المنام، ويمكن أن يكون الوحي بالخطاب والكلام.

لتنبئنهم: أي لتخبرنهم بأمرهم هذا، وكان لعمري كذلك، وصدق وعد الله له بذلك، وذلك عند قوله لهم بعد مدة من الزمان {هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩)}.

ومعنى قولهم لأبيهم، وما اعتذروا به في أمر أخيهم {وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا}: أي وما أنت بمصدق لنا، قال الشاعر:

ولست بمؤمن لك يا ابن زيد ولو أقسمت بالبيت الحرام

{بِدَمٍ كَذِبٍ}: أي بدم وكذب، فحذف الواو.

{قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا}: أي منتكم أنفسكم حالاً وزينته لكم، والتسويل: هو التزيين والمنى، قال الله عزوجل {الشيطان سول لهم} أي زين لهم ومناهم.

ومعنى قوله {فَأَدْلَى دَلْوَهُ}: قال الشاعر:

ولكن أدل دلوي في الدلاء

{وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً (١٩)}: أي أخفوه، وجعلوه تجارة.

{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ}: أي باعوه من الملك، والبيع في اللغة يسمى شراء.

ومعنى بخس: أي غبن ونقص.

{وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)}: لما أراد الله عز وجل مصيره إلى الملك، وخروجه من أيديهم إلى الخلافة والملك.

{أَكْرِمِي مَثْوَاهُ}: أي مقامه، قال الشاعر:

رب ثاو يمل منه الثواء

أي رب مقيم يمل منه المقام.

ومعنى قوله عزوجل {مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ}: أي مكناه وأعطيناه، ومكنا له في الأرض.

ومعنى قوله عزوجل: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)}: معناه بلغ قوته واشتد لكبره، وقوي واستطلع بكل أموره، بعد ضعفه وصغره.

ومعنى {آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)}: أي كأفأه الله على إحسانه وعفته بوحي الكتاب، وعلمه وحكمته.

{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ}: أي سألته عن نفسه وطالبته، **{وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ}** أي هلم لك، وأقبل إلى ما لا يحسن ذكره، وهيت في العربية: هلم وأقبل، قال الشاعر:

أبلغ أمير المؤمنين ... عن أخا العراق إذا أتيتا

أن العراق وأهله ... عتق إليك فهيت هيتا

أي فهلم هلم.

فقال صلوات الله عليه **{مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي}**: إني عذت بالله من ذلك.

ومعنى قوله **{أَحْسَنَ مَثْوَايَ}**: أي أحسن مقامي، وطهر موضعي.

{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)}: أي أرادته وأرادها، وكانت إرادته صلى الله عليه إرادت منازعة الطباع، ولم يزمع كما أزمعت هي على الجماع، وإنما خطر على باله الشهوة والهوى، ولم يطع هواه إلى الدنو منها.

وقيل: إنه هم بدفعها والتغيير للمنكر الذي أتت به ورآه منها.

ثم **{رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ}**: أي حجة ربه قائمة عليه في ترك الأدب لها، إذ لا يأمن عقوبة وليها.

وقد زعمت الحشوية: أنه أزمع بالقبيح، لولا أن الله صور له أباه فزجره عن جماعها، ورد عليه حياءه، فقذفوا رسول الله واتهموه، وطعنوا لعنهم الله عليه، ثم لم يرضوا حتى جهلوه، وصيروا والده أجلّ عنده من رب العالمين، وأنه تركها حياء من المخلوقين، ولو كان الأمر على ما ذكر، لما تعوذ بالله منها، ولما ذهب إلى الباب هارباً عنها، حتى لحقته ولزمت قميصه، وسابقته وقدت القميص من ورآءه وخرقته، وقول الله عزوجل أصدق من قولهم، وخبره الصادق أولى من كفرهم، إذ يقول عز من قائل فيما حكى عن يوسف صلى الله عليه حين قال **{رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}**.

{وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ (٢٥)}: أي وجداه وواجهاه عند الباب وألفياه، قال الشاعر:

إذا وردت ثم لم تلفني

أي لم تجدني.

وقالت كذباً عليه: {مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)}، فقال صلوات الله عليه مبيناً للملك ومعتذراً إليه: {هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي}، فقال بعض من حضر وشهد المكان من أهلها: أيها الملك: {إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ} فهي صادقة في قولها، لأنه يمكن أن تكون دافعهت عند مقابلته لها، وإن كان الأمر كذلك فهو {مِنَ الكَاذِبِينَ (٢٦)}، عليها، {وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ}، فهي كاذبة عليه، لأنها لحقته وهو مدبر وأقبلت إليه حتى قدت قميصه وخرقته عليه، وهو إذ كان الأمر كذلك صادق في قوله، مصح فيما ادعا من أمره وفعله.

فلما رأى الملك قميصه قد من دبر صح عنده كذبها، وصح أنه صادق في إدباره عنها، وكان صلوات الله عليه أحق بالصدق منها، فقال الملك حينئذ {إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)}، يريد أن فعالك هذا هو من احتيال النساء، إن احتيالكن عظيم.

{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} أي انصرف واترك هذا الفعال.

{وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)}: هذا قول الله عز وجل لنبيه يوسف صلى الله عليه، والآمر بذلك الله لرسوله، والمبلغ إليه بالأمر والاستغفار هو النبي، قال لها عند ذلك استغفري لذنبك إنك كنت من الخطائين.

{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٣٠)}: أي وصل حبها له إلى شغافها، وذكر أن الشغاف هو عرق القلب، قال الشاعر[1]:

وقد حال حب دون ذلك داخل ... دخول شغاف غيبته الأصابع

{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ} أي باحتيالهن في غيبتها، في هتك سترها وفضحنها، {أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً} قربت لهن وأحضرت فرشاً ومتكأً، ليتكين على الفراش والمهاد والوساد،

---

[1] هذا البيت عن النابغة الذبياني قريب منه، وهو قوله:

وقد حال هم دون ذلك شاغل ... مكان شغاف تبتغيه الأصابع

وروي: والج، بدل: شاغل.

وحرصهن في إسقاط منزلتها، ويضطجعن على الحشايا والوساد، {وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا} ليقطعن به الأترج وما أشبهه، {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ} وأجللنه، واستحيين منه وعظمنه، وهوينه حينئذ وأحببنه، {وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ (٣١)}: فروي أنهن قطعن أيديهن لما داخل من الهوى قلوبهن، وذلك معروف من طباع الآدميين إذا اشتغلت قلوبهم، وضلت من الهموم عقولهم، عبثت حينئذ وتحركت جوارحهم، وقلقت أيديهم عند قلق أنفسهم، فمنهم من يخط في الأرض، ومنهم من يعبث بيده ولحمه، لما داخله من همه، وزوال عقله.

{وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ} أي معاذ الله، وهي كلمة تنزيه لله، {مَا هَذَا بَشَرًا} ما حرف نفي، وقيل: إن ما في هذا الموضع هي مشبهة بليس، ومن هذا الوجه زعموا صار خبرها نصباً، وهو البشر انتصب بخبر ما، قال الشاعر:

يملأ الدلو قبل دلو فتى اليمـ ـن وما حوض جارهم مهدوما

ويمكن -والله أعلم- أن يكون نصب بشراً [على ما يعرفون من الضمير، وهو ما نراه بشراً]، وليس هذا بواجب علينا، ولا يأثم أحد من المسلمين لو جهل هذا.

ومعنى {إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ }: هذا غلو منهن حتى جاوزن به حد الآدميين، وذهبن به إلى الملائكة المقربين، وهذا جهل منهن، وغلط وغلو في قولهن.

{فَاسْتَعْصَمَ}: أي امتنع، قال الشاعر:

فاستعصم الشيخ عما جئت أطلبه ورد قولي لأسباب الحميات

ولم يعلم رسول الله صلى الله عليه أن ثم نسوة ينظرنه، ولا يتعمدن محاسنه ويقصدنه[1]، ولو علم بذلك لما رضي به، ولغطى وجهه حياء من ربه، وإنما حكى الله عز وجل ما أرادت بخروجه وقصدت، وما أضمرت من القبيح وتعمدت، وهو لم يتعمد ذلك ولم يقصد إليه، ولولا ذلك لما أثنى الله عليه.

---

[1] في الأصل هكذا: أن ثم نسوة ينظرونه، ولا يتعمدون محاسنه ويقصدونه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

{لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا (٣٢)}: يقرأ بالتشديد، و{ليكوناً} يقرأ بالتخفيف، والأصل فيه التثقيل، ولكن قرآءة أهل البيت فيما روي بالتخفيف، والعرب ربما خففت المثقل.

ومعنى قول يوسف صلى الله عليه {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}: أي الحبس والتعذيب أهون عنده من الدخول ف معاصي الله عز وجل، فاختار صلى الله عليه عذاب المخلوقين، على الدخول في سخط رب العالمين، فانظروا رحمكم الله أي ورع حكى عنه أصدق الصادقين، حتى أنه اختار السجن والعذاب مع المذنبين، لمضادة رب العالمين، فصلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

ومعنى قوله صلى الله عليه: {أَصْبُ إِلَيْهِنَّ}: **الصبو**: هو الرجوع إلى الشيء، قال الشاعر:

صبوت إلى اللهو بعد المشيب وقد كنت للهو قدماً تروكا

{ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥)}: أي لما بدا لهم فضله حسدوه، وجعلوه من المسجونين وحبسوه.

ومعنى قوله: {أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا} أي يسقي سيده خمراً، والسيد عند العرب هو الرب، قال الشاعر:

ورثتنا الملك والإنجيل نقرؤه ولم تذر لذوي أحلامنا علا

من غير ما حاجة إلا ليجعلنا على البرية أرباباً فقد فعلا

أي سادة على البرية.

{وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ}: هذا بين، غير أن رسول الله صلى الله عليه أدخل عليه الغم وفجعه بنفسه، وما كان ليفعل ذلك مع بره ورحمته، لولا أنه كان مشركاً، فطمع بتوبته ليقبل على رضوان الله وطاعته؛ لأن البرية ضعاف لا يحتملون ولا يضطلعون بما يضطلع به النبيون والأوصياء، والأئمة الصادقون، من ذلك ما أطلع الله عليه أمير المؤمنين، على لسان رسول رب العالمين من قتله وقتل أولاده الطاهرين، ليطلعوا بذلك إلى الشهادة، وأنهم عند الله من أهل السعادة، [فلما سمع الهالك منها تأويل رؤياه، قال: إنما كنا نلعب].

ومعنى {قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)}، أي قضى الملك [الأمر] الذي عنه تسألان.

قال مولانا يوسف صلى الله عليه {لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا}: أي الذي أيقن أنه ناج من الرجلين، ولكن اليقين ربما سمي في اللغة ظناً، {اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ(٤٢)}: أي عند سيدك وأعلمه وأخبره بمعرفتي بالتعبير، وإحاطتي بصدق عجائب التفسير، لينجو صلى الله عليه من الضيق بذلك والتعسير.

قال الله عزوجل: {فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ (٤٢)} أي فأنساه الشيطان ذكر سيده، لما اشتغل بطاعة الشيطان، وطاعة الملك البعيد من الرحمن، فلم يذكر وصية النبي صلى الله عليه إلى سيده هذا، لكثرة ما دخل فيه من اللعب والأذى.

ومعنى {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} أي أقام النبي عليه صلوات رب العالمين، في سجن هذا الطاغوت اللعين، إن لم يكن تاب ورجع إلى عبادة رب العالمين، فادكر وحكى من بضع السنين، فهو جانب من السنين، وقطع مقطوع من عدد العادين، والعرب تسمي القطعة من الشيء بضعة، ويسمون اللحم المقطوع [بضعاً]، معروف ذلك مشهور في لغة العرب، وقد قيل بغير ذلك، وهذا أحب الأقاويل إلينا، والله أعلم وأحكم.

ومعنى قوله: { يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ (٤٣)}: العجاف الهزال الرقاق الضعاف، قال الشاعر:

نفس الجواد الكريم باقية يوماً وإن مس جلده العَجَفُ

وقال آخر:

ركبت مهراً نزقاً مترفا لم ير في جنب الزمان أعجفا
ولم يزل معرباً معلفا

{إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} أي إن كنتم للرؤيا تفسرون، قال الشاعر:

فقالت لأتراب لها قطف الخُطا تعالين أو تعبرن لي حلم نائم

{قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ}، هذا جهل منهم، وقد أقروا بالجهل على أنفسهم فقالوا: {وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ (٤٤)}: والحلم في لغة العرب: هو المنام، والأحلام: هي المنامات عندهم، قال الشاعر:

أنـا والله يفـرح بـي صـديقي ويحلـم بـي عـدوي فـي المنـام

والأضغاث: هي الأحلام المشتبهة، والملتبسة المختلطة، قال الإمام صلوات الله عليه:

فلقد كفيت ولا افتخاراً معضلاً ينفي الكرى عن حلم ذي أضغاث

{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ}: أي ذكر بعد مدة من الزمان، وادَّكر هو افتعل، وسواء فعل وافتعل في المعنى، والمعنى في ذلك واذدكر، ولكن أدغمت الذال في الدال وأسقطت، وأثبتت الدال على حالها وشددت، وإنما التشديد في قولهم أينما كان، بمنزلة حرف حذف من الكلمة.

والأمة هاهنا: هي المدة من الزمان، قال الشاعر:

أتـذكر بعـد أمتـك البـوارا وقـد قنعـت مـن شـيب عـذارا

أي بعد مدتك وزمانك.

ومعنى قوله **{أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ}**: أي أخبركم بتفسيره، **{فَأَرْسِلُونِ (٤٥)}**.

{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ}: هو الفعيل، وهو الفاعل، والصدِّيق: هو الصادق الذي لا يكذب، ولا يشتهر بالمحال ولا يزيغ ولا يتلعب.

ومعنى قوله **{سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا}**: أي زرعاً متتابعاً سبع سنين، **والدأب**: هو المتصل الذي لا ينقطع ولا يفتر، قال الكميت بن زيد رحمه الله:

هـل تبلغنـيهم المـذكرة الـ ـوجناء والسـير منـي الـدأبُ[1]

{فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ}: أي لا تذوقوه فيوكل ويتغير عليكم ويبطل.

ومعنى قوله: **{إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨)}**: أي مما تحرزون وتمنعون، وتخبؤن في المخازن وتلزمون.

ومعنى قوله: **{عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ}** العام: هو الحول، وهو السنة، قال الشاعر:

لا تحسـب العـام كعـام الأول

وقال آخر:

بـه ثـلاث مـن ثـلاث لام مـن ريـش نسـر قشـم تهـامي

---

[1] المذكرة: الناقة الشديدة، تشبه الفحل في الخلق والعظم، والوجناء: الصلبة، والدأب: السير السريع المتصل.

ينفـي نسـور الحـر كـل عـام

أي يطردونها ويبعدونها كل سنة طول الدهر عاماً بعد عام.

ومعنى **{فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ}**: أي يمطر الناس، ويصيبهم الغيث، فيكون أيضاً من الغوث أو الغياث، وهو الفرج والحياة، والغيث مأخوذ من الغواث، والأصل واحد، قال الإمام المهدي لدين الله صلوات الله عليه:

دون الإمام أخي المكارم والتقى أبغي الرضا من خالقي وغياثي [1]

أي مغيثي ومعيدي والمفرج عني، وفي دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي علمه أمير المؤمنين عليه السلام ((يا غياث من لا غياث له))، يريد يا محيي من لا حياة له، ويا منقذ من لا منقذ له، ويامفرج عن من لا مفرج له، ومن هذا أخذه الإمام.

ومعنى قوله: **{وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)}**: أي يحبسون الحبوب في خزائنهم ويدخرون، والعصر للشيء: هو الحبس واللزم.

وقد يخرج العصر على وجه آخر: وهو الإيباس للحبوب بعد رطوبتها ولينها بحر الشمس، حتى ينعصر ماؤها وتضمر وتيبس.

وقد يكون العصر أيضاً: عصر الأدهان من الثمر، مثل عصر الزيت من الزيتون، ومثل عصر السليط من السمسم، وغير ذلك، والعرب تقول عصرنا الثوب من الماء حتى خرج ماؤه.

وقيل: إن العصر قد يكون الإصابة من الشيء والأخذ منه، والله أعلم وأحكم، غير أنا قد ذكرنا ما يشتمل في مثل ما ذكر الله سبحانه.

{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ}: قال صلوات الله عليه للرسول: **{ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ}**، أي ما حالهن وما شأنهن وما خبرهن، فسألهن الملك، وقال **{مَا خَطْبُكُنَّ}**: أي ما شأنكن، والخطب هو الشأن، **{قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ}**

---

[1] هذا البيت من قصيدة للإمام المرتضى بن الهادي عليهما السلام، وفيه غلط في الأصل وأصلحته من القصيدة، وهي موجودة في سيرة الإمام الهادي للحق عليه السلام.

أي ما علمنا عنده من سوء، ولا راودناه عن نفسه، ولا طلبناه بشيء من أمره، **{قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ}**، **الآن**: هو الوقت والساعة والحين، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

فالآن قد بلغ الكتاب أوانه فأزاح كل جهالة وحرام

ومعنى حصحص الحق: بان الحق ووضح.

{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} هذا قول يوسف صلى الله عليه أنه قال، وفي الكلام الاختصار، والمعنى: قال يوسف، ولكنه اختصر.

ومعنى **{ لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ}**: أي لم أخنه ولم أغشه عند مغيبه، قال الشاعر: [النابغة]

فألفيت الأمانة لم تخُنها كذلك كان نوح لا يخونُ

والغيب: هو المغيب، قال الشاعر:

وليس أخي من كان لي عند ولكن أخي من كنت بالغيب أطلبه

قال سيدنا يوسف صلى الله عليه: **{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ}**: أي إلا من رحمه الله من المؤمنين، فإنه لا يقبل وساوس نفسه، ولا يحكمها أبداً على عقله.

{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} أي أصافيه وأواخيه، حتى يكون لي خالص الإخاء، قال الشاعر:

ليس بنو العلة كالخلصان ولا إذا إنهم إخوان

{قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ {٥٤}: أي عندنا حينئذ أمين، والمكين: هو الحبيب الذي قد تمكنت محبته واستقرت وثبتت في القلب، قال الشاعر:

تمكن الحب في قلبي فبحت له ولو طمعت بكتم الحب ما انكتما

ومعنى **{يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء}**: أي حيث يسكن ويحل وينزل حيث يريد.

{وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ} أي رحّلهم برحالهم، والجهاز: هو الرحل والقماش، قال الشاعر:

أسوق عيراً مائل الجهاز

أي مائل الأداة والرحل.

{قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ}: روي أنه أخوه من أمه وأبيه خاصة، ووكان أولئك الباقون بني علات أو علة، والعلات والضرائر واحدهن ضرة، وبعض أهل اليمن يسمي العلة طبينة.

قوله تعالى: {وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ(٥٨)}: أي جاءوه ممتارين لما أصابهم ما أصاب الناس في سني القحط، {فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ} حين دخلوا عليه، {وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}، لأنهم فارقوه صغيراً فكبر، وفقيراً فاستغنى، وباعوه فصار ملكاً، فلذلك أنكروه، ولم يتعرف إليهم فيعرفوه.

قوله تعالى: {وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩)}: أي أمر لهم ما يصلحهم من الزاد، وزاد في إكرامهم، وذلك أنه كال لهم الطعام وحمل بعد ذلك لكل رجل منهم بعير.

{قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ}: روي أنه أخوه من أبيه وأمه خاصة، وكان أولئك الباقون بني علات، والعلات هن الضرائر، واحدتهن ضرة، وبعض أهل اليمن يسمي العلة طبينة.

{قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ}: أي سنطالبه عنه.

ومعنى قوله: {وَنَمِيرُ أَهْلَنَا(٦٥)}: أي نمير لهم الحب والنفقة: وهو الشراء من بلاد إلى بلاد، قال الشاعر:

لا يُخرِجُ الحبّ من الحفيرة إلا غلام لَيِّنٌ أو مِيرَة

ومن أهل اليمن من يسمي الميرة شياطة، ويقول أحدهم نشتاط لأهلنا أي نمتار.

ومعنى قول سيدنا يعقوب عليه السلام لبنيه {حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللّهِ}: أي عهداً وثيقاً بالله.

{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ}: كانوا فيما روي حسان الخلق والصور، لم ير مثلهم، فخشي عليهم حسد الملوك ومغايرتهم، وخوفهم على سلطان مملكتهم، لأنهم كانوا من معدن الرسالة،، فلم تكن أبناء الدنيا تأمنهم.

معنى قوله عزوجل {آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ}: أي قربه وأحله عنده.

{قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٦٩)}: أي لا توهم ولا يضيق صدرك بما كانوا يعملون.

ومعنى قوله عز وجل {جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠)}، إلى قوله تعالى: {قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ (٧٢)}: يمكن أن يكون الصواع قدحاً من كيزان الجوهر والله أعلم، وهو السقاية التي يسقى بها الملوك من الماء وغيره، قال الشاعر:

شـــرب الإثـــم بالصـــواع جهـــارا

والعير: الرفقة من الإبل، وهي القَلَد عند أهل الحجاز، والمقطر عند أهل اليمن، كل ذلك معنى واحد.

{وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ (٧٢)}: أي متكفل ضامن، قال الإمام صلوات الله عليه:

متحمـــل فـــي الله كـــل عظيمـــة متـــــزعم بكتيبـــــة ألقاهـــــا

أي متكفل ضامن.

{قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم} أي بالله لقد علمتم، {مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣)}: وسواء القسم بالواو والتاء والباء، والله أعلم، وبالله وتالله كل سواء، قال الشاعر:

تـــــالله ترتحـــــل العـــــداة وإن تفعـــل فإنـــك غيـــر ذي قـــدر

{ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ}: يعني السقاية، {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ}: أي كدنا وقاربنا أن نعاقبه لو تعمد المحال، ولكنه تأول أنهم سارقون له أيام سرقوه [أي يوسف نفسه، والله أعلم]، ولم يتعمد أنهم سرقوه في هذا اليوم، وعتب الله على نبيه ذلك الفعل، فاستغفر الله من الاحتيال، ولم كن تعمد صلى الله عليه القول بالمحال، وإنما تأول ما ذكرنا من المقال، وتأول أيضاً أنه سيبين للناس حيلته، وأنه سيبري من الصواع إخوته، ولكن الله لم يرد ذلك، وكره عزوجل حيله، فاعتذر صلى الله عليه إلى ربه، فقُبلَ.

{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ}: أي ما كان ينبغي له أن يأخذ أخاه بدين الملك ومذهبه من الحيل، ولكن الواجب عليه، والذي هو الأولى به، أن يأخذه بالصحة لا بالسقم، وأن يلزمه باليقين لا بالوهم، وقد زعموا في تأويلهم أن [دين] ذلك الملك له تأويل في اللغة غير ما ذكرنا، ولكن هذا أشبه لما قلنا، وأحسن ما سمعنا في ذلك وروينا.

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)}: هذا تقديم وتأخير، والمعنى في ذلك: وعليم فوق كل ذي علم، يريد أنه ليس من عالم إلا وفوق درجته في العلم من هو أعلى منه وأعلم، ولا يوجد حكيم إلا ومن عباد الله من هو أحكم منه، ولا يوجد فَهِمٌ إلا وفيهم من هو أفهم منه، مثل تفاضل الأنبياء في ذات بينهم، وتفاضل الأئمة صلوات الله عليهم، ويستحيل أن يوجد اثنان في العلم والفهم يستويان، وإن كانا عند الجهال يشتبهان.

{قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)}: فانظر إلى هذا الحسد الذي لم يخرج عن قلوبهم، حتى حملهم على أن يسرقوه بكذبهم، ولم يشتفوا بطرحهم له وقطيعتهم، حتى قذفوه بالسرقة وثلبوه، وانتقصوه بالمحال واغتابوه، ما كان أعجب أمرهم، -نسأل الله أن يرحمهم ويغفر لهم، ويتجاوز عنا وعنهم-، أترونهم لم يمقتوا أنفسهم إذ تعلقوا جميعاً بالمحال كلهم، فرحم الله عبداً حذر على نفسه من مثل فعلهم، وخشي ربه أن يكشف أمره كما كشف أمرهم، هذا وإنما أظهره مع توبتهم، فكيف لو أصروا على معصيتهم، إذاً لكان خزياً وفضيحة عليهم، ولكن الله عطف عليهم مع توبتهم، وقَبِلَ [عملهم] عند رجعتهم، وغفر لهم ما مضى من خطيئتهم، وإنما قص الله جميع أمرهم، ليعظ الناس في رغبتهم وميلهم إلى الدينا وشهوتهم، وقلة نظرهم لأنفسهم وغفلتهم، ولينتبهوا من وسنهم ونومتهم، ويعتبروا بمن مضى قبلهم، وكيف أفناهم جميعاً وأعدمهم، وقلع دولتهم وملكهم، فأين ما تنافسوا عليه من الحطام وتحاسدوا؟!، وأين الذين تحايلوا من أجله وتكايدوا، أليس أصبح اليوم كل ذلك عدماً؟، حتى كأنه لم يكن أحد من القدماء، فوشيكاً غير بعيد نكون مثلهم، فنسأل الله أن يغفر لنا كما غفر لهم، وإن كنا -

والحمد الله- لم نفعل قط فعلهم، ولا عملنا من ذلك عملهم، بل الدنيا - والحمد لله- عندنا أقل من النقير، وأحقر من الحقير، وحقيق على من عرف الدار [أن] يحزن على نفسه، وأن يكون يومه خيراً له من أمسه، وأن يكون أكبر همه التضرع إلى ربه، والبكاء والعويل على نفسه.

{قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)}: أي أنتم شر مكاناً عند الله عز وجل.

ثم لحقتهم الشفقة على والدهم، وأدركتهم الرحمة لشيخهم صلوات الله عليه وعليهم فقالوا عند ذلك لأخيهم: **{قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨)}**: وإنما عرفوا إحسانه، وتبينوا وشاهدوا إيمانه، لما رأوا من تواضعه لهم ولغيرهم، ورأوه مفارقاً للملوك وتجبرهم، نأياً بعيداً من جفاتهم وتغيرهم، والإسلام شيء لا ينكتم أهله، ولا يخفى إلا على من زرى بعقله؛ لأن اللسان يؤدي ما في القلب كما تؤدي الأرض نباتها، وكما تظهر الشجرة ثمرها، فيُستدل على قلب المرء بلسانه، وبما يظهر اللسان والجوارح من إتيانه وإحسانه، فرأوه صلوات الله عليه محسناً في كل أفعاله، رحيماً في فعله ومقاله، وهو صلوات الله عليه أرحم بوالده منهم، ولكن الله تعالى كتم خبر يوسف عنه وعنهم، ليظهر عجائب أمره وأمرهم، ويثيبهما على طول محنتهما، بأكثر ما يثيبهما على عملهما، ثم يجمع في الدنيا شملهما، ويبلغهما في الآخرة أملهما.

{فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا}: أي خلصوا وحدهم، وانفردوا من الناس ليتناجوا فيما بينهم، والتناجي والنجى والنجوى الأصل فيه مأخوذ من المناجاة والمخاطبة والمكاتمة، **{قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ}**: أي من قبل ما توانيتم في يوسف، وما هنا صلة للكلام **{فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)}**.

{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا (٨٢)}: أي اسأل أهل القرية وأهل العير، لأن حيطان القرية والإبل لا تسأل، قال الشاعر:

ألمَّـــا بالـــديار فحييـاهـــا

والديار لا تُحَيَّا، وإنما يحيا أهلها، ثم بين ذلك فقال:

لتقـري أهـل سـاحتها السـلاما

ثم بَيَّنَ التحية لمن هي فقال:

نحيـــي كـــل بهكلـــة رداح مـن الجفـرات لـم تـرع البيوتـا

فلما أخبروا والدهم صلوات الله عليه، **{قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** (٨٣) **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ}** أي أعرض عنهم، وصرف وجهه منهم، وأقبل إلى الدعاء إلى الله وتركهم، **{وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ}** أي ياحزناه عليه، والأسف هو الحزن، قال الله عزوجل في موسى عليه السلام **{فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا}** أي غضبان حزيناً.

ومعنى قوله عز وجل **{وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ}**: أي عمي من البكاء، قال الشاعر:

كهمـت عينـاه حتـى ابيضـتا

أي عميا حتى ابيض سوادهما.

ومعنى {فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)**}**: أي مغموم مكظوم البصر، وأصل الكظم: اللزم، فلما ألزم نظ عينيه قيل كظم، قال الشاعر:

ولسـان ذا طلـق وذا مكظـوم

أي وذا ملزوم، وقول الله عزوجل أصدق من قول الشاعر إذ يقول **{والكَاظِمِيْنَ الغَيْظَ}**: أي واللازمين الغيظ.

{قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ}: أي والله لا تفتأ تذكره، **{حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ** (٨٥)**}**: ولكنه حذف لا، وهو جائز، قال الشاعر:

بـــالله ترتحـــل الغـــداة وإن تفعـــل فإنـــك غيـــر ذي قـــدد

أي والله لا ترتحل الغداة، ولكنه حذف لا.

ومعنى **{تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ}**: أي والله لا تزال ولا تبرح تذكره، قال الشاعر:

لعمـرك تفتـأ تـذكر خالـداً وقـد غالـه مـا غـال تبـع مـن قبـل

ومعنى {حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا}: أي ضعيفاً، قال الشاعر:

يـا رب بيضـاء لهـا زوج حـرض حلالـه بـين عريـق وحمـض

{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٨٦)}: البث: هو الهم، والخبر الذي يغم، والشاق الذي يُحزن ويهم، قال الشاعر:

قفـي وقفـة يـا مَـيُّ نخبـرك بثّـا

ومعنى قوله عزوجل فيما حكى عن يعقوب عليه السلام {يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ}: أي توجس بلغة أهل اليمن، واستأنسوا بلغة أهل الحجاز، والتحسس هاهنا بالحاء، وهو مأخوذ من الحس، ودرك الحواس، في سورة يوسف، والتجسس بالجيم في سورة الحجرات، في قوله {وَلاَ تَجَسَّسُوْا}.

ومعنى قوله عزوجل فيما حكى عن يعقوب وقوله {وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ (٨٧)}: أي من فرج الله عزوجل، وهو مأخوذ من الراحة بعد التعب، والنسمة بعد العنا وطول النصب.

ومعنى قول بني يعقوب : أي بضاعة يسيرة، والمزجاة من البضاعة، هي التي لا تكاد تنفق إلا نفاقاً ضعيفاً، ولا تشترى إلا شراء بطياً، والمزجى من الأشياء: هو البطي في السير، والعرب تقول: أعيا البعير حتى زجيناه سوقاً بطياً، قال الشاعر:

سـوق المزجـي طاحـت ركابـه

أي ملت ركابه فهي تساق وتزجى سوقاً بطياً غير سريع، ومن هاهنا أخذت التزجية، وأهل اليمن يقولون: زلجنا الإبل تزليجاً، أي زجيناها تزجية، والتزجية هي التزليج بلغة أهل اليمن.

ومعنى ما حكى الله من بني يعقوب لأخيهم {قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ}: يستفهمونه عن ذلك لما نبههم، وتوهموا عند توقيفه لهم على فعلهم بيوسف وأخيه، فأراد حينئذ أن يسألوه: هو يوسف؟ لما رأوا من محاسنه، أم هو شبيه ونظير له، فقال صلوات الله عليه {أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا}.

{قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)}: هذا هو خطأ التعنيف والعمد، وليس بخطأ النسيان، وإن اشتبها وتقاربا في اللفظ واللسان، فعطف عليهم صلوات الله عليه برحمته، وعاد عليهم بفضله ومروته، وكرم طباعه ولطف عشرته، و{قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ

يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)}: والتثريب في لغة العرب: هو العار والعتب العاتب، يقول صلوات الله عليه لا عتب عليكم بعد توبتكم، ولا تغيير لكم بعد رجعتكم، وعطفكم إلى التوبة وإنابتكم، قال الشاعر:

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته إذا خلوت فإن النتن تثريب

أي فإن الوسخ عيب وعار، وكنا نذكر الخلو عما لا يحسن ذكره من خلو الإنسان في حوائجه، وهكذا يفعل الحكماء وأهل الحياء والفضل من العلماء في الكناية والتعريض والتوبيخ، عن الإفحاش والخنا والقبيح، ثم قال في ذلك:

لو فكر الناس في ما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة وفيه شيء من الأقذار مضروب
أنف تسيل وأذن ريحها سهك والعين مرمضة والثغر ملعوب

وأصاب في ذلك أصاب الله له الرشاد، وكيف يتكبر من هو ممزوج بالأقذار، مخلوط بما لا يحسن ذكره من دنس الآثار، أو يرتفع على المماليك والأحرار، من هو على ما ذكرنا من الوسخ والعار، مع ما هو عليه من الضعف والتقصير، والعجز والتكنة في أكثر الأمور، تؤلمه النملة بدبيبها، ويشابه البهائم في بعض عيوبها.

وسنرجع إن شاء الله إلى تفسير الكتاب، ونسأل الله التوفيق للصواب:

ومعنى قوله **{اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا}**: أي اطرحوه على وجهه، والفعل من الله عزوجل وليس من غيره، ولكن ذلك معجزة من حكمة الله وتدبيره، بيّن الله بها فضل نبيه، وجعلها نعمة على يعقوب وليّه.

قوله تعالى: **{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ}** أي قطعت القرية وانفصلت منها، وخرجت الإبل من المدينة وبانت عنها، أهب الله الرياح برائحة يوسف إلى أبيه، ونقلت أجزاء من قميص ولده إليه، فقال حينئذ صلوات الله عليه لمن حضره ومن كان معه من بنيه: **{أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ** (٩٤)}: أي لولا أن تخطؤوني في ذلك وتجهلوني، **والفند**: هو الخطأ والجهل، قال الشاعر:

إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فاحددها عن الفند

وإن يعقوب صلوات الله عليه لبعيد عن الفند، ولكن استقله الولد وغير الولد، مما لا رغية له في الرحمن، ولا معرفة له بحق الدين والإيمان، وقد ولله الحمد بين الله أمره، وشهر الحكيم عزوجل ذكره، ولم يضره من جهل قدره، لم أذاع الله فضله ونشره، بعد أن بلاه بالمحن واختبره،وأظهر بذلك مناقبه وصبره.

فرد عليه من حضره، لما بشره برائحة يوسف وخبره **{قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ** (٩٥)**}**: أهذا جواب حبيب الله ونبيه ووليه، وخيرته من خلقه وصفيه، سبحان الله ما أحلمه عن العباد، وأعظم تأنيه بعقوبة أهل الفساد، لولا أنهم تابوا رحمة الله عليهم، ورجعوا إلى الله وإلى أبيهم.

{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ} أي على الملك، **{وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا}** أي سقطوا من أجله لله سجداً، **{وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ}** أي تفسير رؤياي، والتأويل في اللغة: هو ما يؤول الكلام إليه من التفسير، قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

قد كنت أضربكم على تنزيله فاليوم أضربكم على تأويله

أي على تفسيره.

ومعنى **{أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ}** أي من الحبس.

{مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} أي من بعد أن أغرى الشيطان بيني وبينهم، قال الشاعر:

فمن لي بنفس لا تزال غوية ونزغة شيطان يريد ضلالها

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)**}**: مع إقرارهم، والإيمان هاهنا: هو الإقرار باللسان، لأن المؤمن من لا يشرك إذا كان مؤمناً، قال عز وجل **{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}**: أي من المقرين المتسمين بالإيمان، وليسوا بؤمنين على الحقيقة، لأن المؤمنين إخوة، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يقتتل مؤمنان، ولا يختلف عالمان)).

وتحمل الآية وجهاً آخر: وهو ما يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون.

ويمكن أن تكون إلا هاهنا صلة، وليست تنبؤ.

ومعنى {أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ (١٠٨)}: أي تبصرة وحكمة، لا عمى فيها ولا شبهة، قال المرتضى عليه السلام:

وبصيرتي في الدين يحجب نورها ولـك الضـياع إذا أردت منايـا

قوله: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ}: أي حتى إذا استيأس الرسل من طاعة قومهم، ويئسوا من رجعة أعداء الله إليهم، أتاهم نصرنا عند ذلك، قال الله عزوجل: {جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)}.

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ}: أي لقد كان في خبرهم بيان وفكرة واعتبار لمن يعقل ويذكر، قال الهادي إلى الحق عليه السلام:

ألا إن في هذا من الأمر معتبر وفيه وفي تصريفه تعمل الفكر

{وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}: أي هذا القرآن هو تصديق لما تقدم بين يديه من الكتب والرسل، لأن الله عز وجل جعله خاتماً للكتب كلها، ومصدقاً لها، ولما اصطفى الله من أهلها.

{وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)}: فنسأل الله أن يرحمنا به وبغيره من التذكير، وأن يوفقنا لطاعة العليم الخبير.

تفسير غريب سورة هود

معنى قوله عزوجل: **{أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ (١)}**: أي قطعت وبينت، **والفصل**: هو القطع.

{وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ}: ويثيب كل فاضل على فضله، ويمكن أن يكون **{ويؤت كل ذي فضل فضله}**: أي يثبت كل فاضل على فضله الذي وعد به أولياءه.

وقوله تعالى: **{أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ (٥)}**: أي يردون صدورهم مدبرين بعد إقبالهم، وراجعين عن القرآن مستخفين منه لئلا يسمعوا.

قال الله عزوجل **{أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}**: يريد عز وجل أنه يعلم نفورهم، وعلانيتهم وسرهم، عند تغطيتهم لرؤوسهم بثيابهم، وإدبارهم عن الحق وفرارهم، والعرب تقول: تغشّى فلان ثوبه واستغشى به، قال الشاعر:

وإني لأستغشي ومابي نعشة ليطرق طيف أو يلم خيال

يريد أنه يلتحف بثوبه.

{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا} المستقر: المقام والمثبت. والمستودع: هو الحفظ الذي يتضمن الشيء ويحوطه، قال الشاعر:

وردت إلى مكروهها فاستقرت

أي فثبتت واطمأنت، وقال في المستودع:

أستودع الله قوماً ما ذكرتهم إلا به فهو دمع العين أو فاضا

يريد أستحفظ الله لهم، وأسأله الحياطة لهم.

ومعنى **{قوله كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦)}**: أي في علم الله العليم، ولكنه ضرب المثل بالكتاب المبين.

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ (٧)}: يريد عز وجل أنه لم يعجز عن خلق السموات في لحظة، وإنما خلقهما في ستة أيام، ليبلوكم بذلك أتصدقون بالخبر عن خلقه في الستة الأيام فيثيبكم، أو لا تصدقون بذلك فيعاقبكم، ويفرق أيضاً بالخبر عن ذلك نبيكم حين يتبين المصدق والمكذب منكم.

ومعنى قوله: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧)}: أي كان ملكه وقدرته وسلطانه على الماء، من بعد خلقه وجعله للهواء، فخلق الرياح وأرسلها على الماء.

ويمكن أن يكون اشتق الرياح من الهواء، لأنه لا فرق بين الرياح والهوء إلا بالحركة، والهواء إذا حرك صار رياحاً سواء، لأنك إذا حركت الهواء ببعض الأجسام الرقاق تحرك وصار نسيماً، مثل اطر الحداد للكير، هو ثملة من الهواء، فيصير الهواء إذا حرك بالكير نسيماً، مثل القدح والأواني إذا كفى وحفى فوق الماء ثم أطر على حاله حتى يغيب ثم تحرك في وسط الماء، فحينئذ يخرج الهواء، ويبين خروجه من الماء، ثم يصير رياحاً، ثم أتى الخبر بأن الرياح ضربت الماء حتى صار زبداً، ثم خلق الله النار فأحرقت الزبد، فصار دخاناً في أعلا الهواء، ونزلت الحراقة منحدرة سفلى، فخلق الله الأرض من الحراقة، وخلق السماء من الدخان، ثم خلق الملائكة عليهم السلام من الهواء والرياح، فأتوا بقدرة الله شداداً خفافاً، وخلق الجان من لهب النار ومارجها، وهو الذي يتقطع في الجو من تأججها، فأتوا خفافاً من جنس النار مشاكلين للهواء، وجعل الله الهواء لهم محلاً، وخلق الناس من الأرض فأتوا ضعافاً ثقالاً، وكذلك البهائم أيضاً، والله أعلم تبارك وتعالى.

{وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ}: أي إلى مدة من الزمان وفينة محدودة، قال الشاعر:

أتـــذكر بعـــد مـــدتك البـــوارا

أي بعد أمدك وفينة من زمانك.

{لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ}: استعجالاً منهم بالعذاب، وتكذيباً بما أوعدهم من العقاب.

{أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ}: ألا كلمة نداء وتنبيه، تستعملها العرب، قال الشاعر:

ألا لا تلومـــاني فـــإن ملامتـــي على غيـر شـيء مثـل أن تقتلانيـا

{وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً}: يعني جميع الناس، {ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩)}: يقول عز وجل: إن من ييأس من رحمة الله فهو كافر به، لأن البؤوس قد بخَّلَ الله ويئس من خيره، ومتى كان كذلك فليس يعرف رحمة الله ولا فضله، ومن جهل فضل الله وبخّله، فقد

كذب الله وجهله، لأن العاقل لا ييأس من رحمة الله كرماً، إذ هو اللطيف بمن هو ألطف وأرحم بالمخلوقين من آبائهم وأمهاتهم وأنفسهم، وأنظر لهم وأرحم وأرأف بهم.

ومعنى {إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠)}: ذمه الله عزوجل لشدة لهوه وفخره، حين انشغل بذلك عن طاعة الله وشكره، لأنه نسي الشكر على النعيم، واشتغل بالمفاخرة عن ذكر الحكيم.

{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ (١٢)}: هذا من الاختصار، وما تستعمل العرب من الإضمار، والمعنى فيه: قالوا فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك إذ قالوا هلا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، فأما الله فلا يشك ولا يجهل ولا يكفر نبيه.

ومعنى {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ (١٥)}: أي من كان يريد حب الدنيا وكان في ثواب الآخرة زاهداً، وفيناه عمله الذي عمله فيها، ومعنى وفيناه عمله: أي عاقبناه على عمله الذي عمله فيها، وجزيناه العذاب يوم القيامة بما عمل في الدنيا، {وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ} أي وهم في أعمالهم لا ينقصون، والبخس: هو النقص، قال الشاعر:

كذا حكم الزمان يريد فينا ... محاباة وبخساً بعد بخسه

أي نقصاً بعد نقصه.

{وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا (١٦)}: وهلك في الآخرة ما كانوا عملوا من قبل من خير وشر، لأنهم أفسدوه بظلمهم وأهلكوه.

{أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ}: أي فَلِمَ تلومونه، ولكنه اختصر، ويريد بذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بينة من ربه، {وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ}: قال الشاعر:

عليّ يمين لا تلتني ضعينة ... مطلقة أو مات عنها حليله

يريد لا تبعتني ولا سارت خلفي، ولا قدت لها عند ارتحالي.

وهذا الشاهد الذي يتلو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتبعه ويسير خلفه ويقتدى به هو أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

ومعنى قوله {منه}: أي من معدنه ونسبته، لحمه من لحمه، ودمه من دمه، كان كل واحد مشتق من صلب عبد المطلب، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (أنا من أحمد عليه السلام كالضوء من الضوء)، أي كالنور المشتق من النور.

ومعنى قوله عزوجل {يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ}: أي يزاد لهم عذاباً مع العذاب، حتى يكون عذابهم عذابين، كل واحد منهما قوة لصاحبه، والعرب تقول: ضاعفنا الحبال عند الرحيل، أي زدنا حبالاً أخرى مع الأولى، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

قد ضاعف الحلق المدار مُجيده فأتت بلطف الله حصناً تمنعُ

أي زاد مع الحلق أمثالها، وأردف معها ما هو من شكلها.

ومعنى قوله عزوجل {مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ (٢٠)}: أي يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع وبما كانوا يبصرون، فلم يستعملوا ما رزقناهم من الأسماع والأبصار، ولكنه حذف الباء، وذلك جائز، وقال الشاعر:

عَلَّ الإله الباعث الأثقالا يعقبني من حبه ضلالا

أي لعل الله، ولكنه حذف اللام من قوله لعل.

وتخرج الآية على وجه آخر: وهو على وجه التبكيت لهم والتقريع، ما كانوا يستطيعون السمع للحق بزعمهم، وما كانوا يبصرون بزعمهم وكذبهم، مثل قوله {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيْزُ الكَرِيْمُ} أي بزعمك أنك عزيز كريم، وهو عند الله على الحقيقة ذليل حقير، وكذلك أيضاً قال ما كانوا يستطيعون السمع بزعمهم وهم على الحقيقة يستطيعون.

وتحتمل الآية وجهاً آخر وهو من المجاز: أن يكون أراد ما كانوا يستطيعون السمع للقرآن ولا يبصرونه لشدة بغضهم ومقتهم له، والعرب تقول: فلان لا يطيق ولا يقدر أن ينظر إلينا، ولا يقدر أن يجلس معنا، لشدة ما حمل على نفسه من بغضنا، وهذا مجاز عندهم، وهو يقدر على الحقيقة، ولكن كلامهم على المجاز والمبالغة، قال الشاعر:

أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد

فأما قول أهل الجبر والتشبيه عليهم لعنة الله فزعموا أن الله معهم من استماع القرآن، ثم عاقبهم على فعله فعذروا الكافرين في فعلهم، ونسبوا العبث والظلم إلى ربهم، إذ عذبهم على غير جرمهم، وجازاهم عبثاً بغير كسبهم، فأُخرجوا لعنهم الله من العدل والإحسان، إلى اللعب والظلم والعدوان.

{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ (٢١)}: أي انتقصوا بأنفسهم، وأهلكوها بظلمهم، إذ لا خسران أعظم من ذهابهم وعطبهم في النار وهلاكهم.

ومعنى قوله في المؤمنين **{وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ}**: أي تواضعوا لربهم.

وقيل إنه مأخوذ من إيضاع الخبت وسهولته ولينه، والله أعلم بصحة ذلك.

{مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا}: هو انتقاص من أعدائه، وما علته إذا كان بشراً من الجسمانية مثلهم، في كرم الطباع مبايناً لهم، لا يشبهونه في ذلك ولا يشبههم، ولا يشتبه عند الله فعله وفعلهم، فأما الأجسام فليست من عمله ولا من عملهم، بل ذلك فعل الله فيه وفيهم.

{وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا}: هذا انتقاص منهم لفقراء المسلمين المطيعين لله رب العالمين.

{بَادِيَ الرَّأْيِ}: أي فيما بدا لنا ورأينا، وقد قيل بغير هذا، وهو قول لا يلتفت إليه، ولا يتكل أهل العقل عليه.

{وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ}: أي غبيت ولم يبحثوا عن حقيقتها حتى يقفوا على صدقها ووثيقتها، فلما أهملتم النظر جهلتم، وعميت عليكم الأنباء وفرطتم.

{وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ}: أي تستقل أعينكم، قال الشاعر:

قد كنت في قومك تزدريني ... فاليوم أبلوك وتبتليني
واليوم تبلو غلظتي ولين

{إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ}: أي يريد أن يعذبكم، قال الشاعر:

لقيت المكاره في حربنا ... وبعد المكاره لاقيت غياً

أي تعباً.

{وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا}: أي بعلمنا الذي أوحينا إليك، ونزلناه مع ملائكتنا عليك.

وتحتمل الآية وجهاً آخر: وهو اصنع الفلك بأمر أعيننا، وهم الحفظة الذين جعلهم الله عزوجل عيوناً وطلائع من الملائكة صلوات الله عليهم، والعرب إذا أرسلوا جاسوساً يتجسس لهم الأخبار سموه عيناً، وسموا الجماعة من الجواسيس عيوناً، قال الشاعر:

بأن الذي كنتُمُ تجدوا جاءت عيون به تضربُ

ومعنى **{سَخِرُواْ مِنْهُ}**: أي تهزؤوا به وتضحّكوا.

{جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ}: أي فار التنور بالماء من [وجه] الأرض، وتفجرت العيون، وجاء المطر من الهواء، والتقى الماء [عليهم]، قال الشاعر:

ألا لن تفوت المرء رحمة ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

كرحمة نوح يوم حل بسبعة كانوا جميعا ثمانيا

فلما استفار الله تنور أرضه ففار وكان الماء في الأرض ساحيا

ومعنى قوله **{إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ}**: أي من سبق عليه وعيد الله بهلاكه.

ومعنى قوله **{بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا}**: أي بسم الله وأمره وذكره، مجراها: الذي هو جرها على وجه الماء، ومُرساها: الذي هو سكونها ووقوفها.

ومعنى قوله **{وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ}**: أي معتزلاً من أبيه، **{يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا}**: وارجع إلى مذهبنا، فكره ذلك واعتذر بزعمه أنه سيأوي ويصير إلى جبل يعصمه من الماء، أي يمنعه من الغرق، لأنه لم يوقن بوالده.

ومعنى قوله **{يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ}**: أي اشربيه، **{وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي}**: أي يا سحاب انقلعي، وانطوي عن الأرض وانقشعي.

قوله **{وَغِيضَ الْمَاء}**: أي انتقص من الأرض، **{وَقُضِيَ الأَمْرُ}**: أي قطع وفصل، **{وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ}**: قيل إن السفينة استوت واستقرت على جبل يسمى الجودي، والله أعلم.

والجودي: مشتق من الجود، وإذا استوت السفينة على موضع جيد، فلسنا نبالي كان جبلاً أم سهلاً.

ومعنى قول سيدنا نوح صلى الله عليه {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}: أي قد وعدتني أنك تنجي أهلك، {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ}: أي ليس من أهلك الذين وعدتهم بالنجاة، وإنما أولئك أهل الإيمان الذين وعدتهم النجاة.

قال {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)}: هذا من التقديم والتأخير، والمعنى فيه فلا تسألني ما ليس لك علم إنه عمل غير صالح، يعني أن سؤالك لي عن نجاة عدوي وعدوك، عمل غير صالح، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم [علم] كثيراً من أمر ولده حتى سأله، فروي أن الله تعالى قال: يا نوح إن ولدك هو أشر [هؤلاء] الكافرين؛ لأنه تقرر في مسامعه من الحق ما لا يسمع غيره مثله، ثم استكبر عنه وأبى أن يقبله.

ومعنى قوله {تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ}: أي تلك القصة لمن أخبار الغيب، نُوحِيهَا إِلَيْكَ.

ومعنى قوله {وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ}: أي قوة مع قوتكم.

{وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ}: أي لقولك، ولكن عن قامت [مقام] اللام الزائدة.

{إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ (٥٤)}: أي أصابك بعضهم ونالك الجنون، قال الشاعر:

لهم جنان من الفردوس طيبة ... لا يعتريهم بها حرٌّ ولا ضرر

أي لا ينالهم ولا يصيبهم فيها حر ولا برد.

ومعنى قوله {فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ (٥٥)}: هذا تحدٍّ لهم ومراغمة منه صلى الله عليه ومنابذة.

ومعنى قوله {مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا}: أي قادر عليها، ولكنه ضرب ذلك مثلاً، لأن كل شيء أُخِذَ بناصيته -وهو الشعر الذي في مقدمة الرأس- فقد أُوثق وقُهِرَ.

ومعنى قوله {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦)}: أي على حق مستقيم، ومعنى حق: أي فاعل للحق، لا يجوز عن العدل والصدق، والصراط: مثل مضروب بثبات العدل.

{إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧)}: أي بكل شيء عليم.

{وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً}: أي أتبعهم الله ذماً ولعناً، وكذلك الملائكة والصالحون، فهم لمن مضى من أعداء الله ذامُّون، وباللعنة لهم والتعنيف يتبعون.

{أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠)}: ألا: كلمة تنبيه للسامعين حتى يفهموا ما بعدها من الكلام.

ومعنى بعداً لعاد: أي بعداً لهم من رحمة الله.

ومعنى {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا (٦١)}: أي خلقكم من الأرض واستبقاكم فيها وعمركم، وما أحسب أنه عنى غير ما ذكرت.

{فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣)}: أي لو أطعتكم في معصية الله ما زدتموني إلا تخسيراً ونقصاً.

ويمكن أن يكون أراد إنكم خسرتموني وزدتموني تخسيراً مع معصيتكم لي إذ دعوتموني بالخسران، والعرب تقول: ظَلَّمْناه وكَفَّرناه وخسَّرناه، أي دعوناه بذلك وسميناه، قال الكميت بن زيد رحمة الله عليه:

فطائفة قد أكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

يريد أنهم سمّوني بالكفر.

ومعنى {كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا (٦٨)}: أي كأنهم لم يقيموا فيها.

{فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩)}: أي ما أبطأ ولا لبث حتى جاء بعجل مشوي، والحنيذ: هو المشوي، والعرب تقول: حنذنا الجراد حنذاً جيداً، أو حنذنا الشواء، وإنما أتاهم بالقِرى وهو يظن أنهم أضياف من الآدميين، فبادر إليهم ولم يلبث عليه السلام، ولم يبط بكرامتهم.

{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ}: أي نكر حلتهم، {وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً}: أي وجد في نفسه خوفاً.

ومعنى قولهم عليهم السلام {إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ}: أي وامرأة إبراهيم قائمة تسمع كلام الملائكة فضحكت، {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ}: وزعموا في تفسير أن معنى ضحكت: أي حاضت، وذلك لعمري في لغة العرب، ولكن ربما كان في اللغة لم يرده الله عز وجل، وإنما عنى في هذ الموضع غير ما توهموه والله أعلم.

وذلك أنها ضحكت سروراً بهلاك أعداء الله وتشمتاً بهم، وروي عن أبي عبد الله صلوات الله عليه أنه قال — ورواه عن غيره-: أنها كانت قد أكرمت إسماعيل وأمه فكافأها الله سبحانه

بإسحاق، ثم حسدت أم إسماعيل وضربتها ظلماً وعدواناً وتمرداً، وعداوة فيما قيل وحسداً، وأخرجتها من بيتها هي وولدها، فجلست تحت شجرة من الشجر حتى أهبط الله إليها ملكين، وأمرتها بالرجعة إلى مولاتها، وأن تعود إلى منزلها وبيتها، وبشراها بنبوة ولدها، وإنما يكون له من الأولاد الكثير.

وهذه الرواية عندي من أحول المحال، وأقبح الباطل، وأسمج المقال، ولعل أبا عبد الله عليه السلام وعلى آبائه الكرام لم يروها، ولعله رواها عن غيره ولم يعمل بها، لأن إبراهيم صلوات الله عليه كان أغضب الناس لله عزوجل، فكيف لا يغير المنكر على زوجته ويفارقها، ويقطع مواصلتها ويطلقها، وليس كل الروايات تصح ولا يعمل عليها ولا تصدق ولا يركن إليه.

قال الله عزوجل بعد أن ذكر ضحكها وسرورها **{فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ}**: مكافأة من الله لها على غضبها لله، وسرورها بهلاك الفاسقين **{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ}**، مفهماً الإنكار عليها، لأن من عجب من أمر الله لم يُعَنَّف ولم ينكر عليه، وإنما استفهموا منها وسألوها عن مرادها لما أعجبهم صلوات الله عليهم من دينها، وتعجبها من دين الله وغضبها لله وسرورها، ثم قالوا صلوات الله عليهم داعين ومتعجبين، من فضل أهل بيت النبوة الطاهرين، **{رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣)}**: وأهل البيت فهم إبراهيم ونسله وذريته الطاهرين وأهله، أولهم إبراهيم خليل الله وآخرهم المرتجا في آخر الزمان.

وقد زعم بعض الشيعة المفسدين: أن أهل البيت إنما سموا ببذلك، لأنهم أحق الناس ببيت الله الحرام، وليس كما ذكروا في التفسير والكلام، وإنما هو بيت النبوة وأصلها، ومعدنها ونسبها، وعنصرها وقبيلها، قال المرتضى لدين الله عليه السلام:

فلا تر أنني أصبحت يوماً ... كميداً لا ولا رخو النصاب
لهذا قمت لي في الله تدعو ... لدارٍ غيرها يا ابن الروابي
من آل محمد في خير بيت ... منيف سمكه فوق السحاب

{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ}: أي ذهب عنه الفزع، **{يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤)}**: أي يخاطبنا فيهم ويسألنا عنهم، وهل أبوا أن يتوبوا؟ وهل تعمدوا مقاطعة الله، أو لم يتعمدوا؟،

فمدحه الله على تعطفه وسؤاله عن توبتهم ولطفه، فقال: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥)}**: أي إنه لحكيم أواه، **والأواه**: هو الحزين الذي أحزنه الخوف لله واليقين، **والتأوه**: في ذاته هو الزفير والأنين، والتحزن والرحمة والحنين، كما يتأوه المكروب المحزون، قال الشاعر:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

وروي أن الله سمى نوحاً بهذا الاسم لكثرة نواحه، وهو البكاء والنواح، والإعلان والجهر بالبكاء والإفصاح، كل ذلك ليقينه بالمعاد، والهيبة لله رب العباد، والخوف من الحساب يوم المعاد، وما أحب لأحد أن يبكي في أكثر أوقاته، إلا وحده لله في خلواته، ليكون عمله لله خالصاً، وليكون طاهراً عند الله مخلصاً، وقد ينبغي للمؤمن أن يكتم أكثر حسناته، ليظهر الله ذلك عند بعثه وحياته.

ومعنى **{سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا (٧٧)}**: أي غم بهم وضاق بهم صدراً، قال الإمام صلوات الله عليه:

ولم يطق ذرعي بأنواع التلف

أي لم يضق صدري.

{وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)}: أي هذا يوم شديد، قال الشاعر:

هم ضربوا قوانس حيد جحر بجنب الدار في اليوم العصيب

ومعنى قوله عزوجل **{وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ}**: أي جاؤوه يسرعون إليه، قال الشاعر:

أتونا يسرعون وهم أسارى نسوقهم على رغم الأنوف

{قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)}: يريد عليه السلام لو كان لي قوة عليهم، أو معتمد أو أعوان، يكونون له ركناً يركن إليه، ويعتمد في المهمات عليه، إذاً لأهلكهم ولعذبهم غضباً لله وقتلهم، ولكنه اختصر، ولم يتم الكلام وأضمر.

والركن: هو العون على المهمات والسند والعضد، قال الهادي إلى الحق عليه السلام يمدح المرتضى صلوات الله عليه:

ومن هو للإسلام ركن معاضد ومن هو جاف للفسوق وللكفر

ومعنى قوله {حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢)}: أي حجارة من طين، **والمنضود**: هو الذي بعضه على بعض.

ومعنى {مُّسَوَّمَةً}: أي معلمة بعلامات، والله أعلم، والسومة: هي العلامة فما ذكر.

{بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ}: أي بقية الله وسلامه لكم، خير من إهلاكه وتدميره عليكم، قال الشاعر:

قال البقية يا قيساً فقلت له اصبر حذيف فأنت السيد الصمد

أي قال: استبقني بقاء ولا تهلكني.

وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦)}: أي لست بحافظ لأعمالكم، وإنما أمرت بالدعاء لكم.

{قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء}: أي أصلاتك تدلك وتحملك أن نترك عبادة الأوثان، وعلى أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الخمور، وغير ذلك من أنواع الفجور، {إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)}، هذا تَلَعُّبٌ منهم بذكره، وتهزُّؤٌ منهم بنهيه وأمره.

{وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ (٨٩)}: أي لا يحملنكم ولا يلزمنكم خلافي ومباينتي وعدواتي على أن يصيبكم العذاب.

{إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)}: أي رحيم بالعباد، مود محب لهم، وكذلك سيدنا -لعمري- يحب ويود أولياءه، ويبغض ويبعد أعداءه.

{قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ}: أي ما نفهم قولك، لأنهم مشغولون عنه بالمنابذة والنفور والعداوة.

{وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ}: أي لولا أهل بيتك وقومك، وخوفنا من غضبهم وتعصبهم لك إذن لرجمناك.

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا(٩٢)}: أي جعلتموه في ضميركم ظهرياً، وراء ظهوركم، ولم تقبلوا إليه بتوبتكم، ووليتم وأدبرتم عن ذكره بظهوركم.

ومعنى قوله {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}: أي يسير تجاههم، ويتقدم إلى العذاب أمامهم، حتى يوردهم النار ويدخلهم، كما أنه أغواهم في الدنيا وأضلهم، قال الشاعر:

وردنا الباهلي أمير مصر على خيل ويقدمها الوشاح

أي يقودها ويسير قدامها.

ومعنى قوله: {وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ} الدنيا {لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)}: أي اللعنة في هذه الدنيا وفي يوم القيامة، ثم قال في اللعنة: {بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)} أي بئس العطاء المعطى، **والرفد في اللغة**: هو العطاء، قال الشاعر:

يبغي المديح ويذهب الرفد

ومعنى قوله {مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠)}: أي من القرى ما هو قائم ومنها ما هو مقطوع محصود.

{وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)}: أي ما زادوهم إلا هلاكاً وتتبيباً، والتتبيب: هو الهلاك.

ومعنى {وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣)}: أي محضور، يحضره الخلق ويشهدونه.

{فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥)}: الشقي: هو المتعب المعذب الغوي، والسعيد: البر الطاهر التقي الرشيد الذي أسعده الله.

ثم قال عزوجل: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦)}: **الزفير**: هو الأنين كما يزفر المكروب، قال الشاعر:

إذا غَيَّبَت رضوى عليّ وميضَه زفرت وما بين الجوانح روح

والشهيق: هو [الصوت] المرتفع بالصياح والأحزان والعويل.

ومعنى {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ (١٠٧)}: يريد إلا ما شاء من توبتهم قبل خروجهم من الدنيا وموتهم، ومعنى مشيئة الله للتوبة: هي أمره بالتوبة.

{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)}: أي إلا ما شاء الله من عذابهم إن رجعوا من السعادة إلى الكفر، فمن عمل عمل السعداء ثم ارتد فالله يعذبه.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ (١١٠)}: أي اختلف في نبوته، فمنهم من صدقه، ومنهم من كذبه.

ويمكن أن يكون عنى الكتاب أيضاً حين اختلف فيه أهله.

{وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ (١١٠)}: أي لولا كلمة الوعد والوعيد في الآخرة، لقطع بينهم في الدنيا حتى يتبين المحق والمبطل.

{وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠)}: أي هم في شك متشعب لهم في موسى عليه السلام.

{وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١)}: المعنى: وإن كلاً ليوفينهم ربك أعمالهم، ولكنه أدخل لما صلة للكلام، وجعلها زينة وتماماً.

ومعنى قوله {وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ (١١٤)}: أي ساعات من الليل، قال الشاعر: [العجاج]

[ناح طواه الأين مما وجفا] يطوي الليالي زلفاً فزلفا

{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً (١١٨)}: أي لو شاء أن يجبرهم كلهم لما عجز عن ذلك، ولكنه حكيم عزوجل، والحكيم لا يمزج الخبيث بالطيب من الناس، ولا يساوي بين المحقين والأخيار، ولا بين المبطلين والأنجاس، حتى يفرق بينهم برحمته، ويميز الخبيث من الطيب بحكمته.

ثم قال عزوجل {وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}: أي لخلاف الباطل والمبطلين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

{وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢)}: هذا على وجه التهدد لهم والوعيد، لا على الأمر لهم بالمقام على الكفر والجحود.

{وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}: أي عنده وفي علمه ما غاب في السموات والأرض.

تفسير غريب سورة يونس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تأويل قول سيدنا عزوجل {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ (٢)}: هذا توقيف لهم من الله عزوجل وتعريف، ولفظه لفظ الاستفهام، ومعناه معنى الخبر لهم والإفهام، والتقرير لهم على ذلك والإعلام.

ومعنى {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ (٢)}: أي عمل صدق وقد ثبت عليه أحياؤهم، ولم يميلوا عن الصراط المستقيم بأعمالهم.

{مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ (٣)}: أي ليس أحد يشفع إلا بإذن الله وأمره، لأنه لم يأذن لأحد أن يشفع لأعدائه، وإنما أذن بالشفاعة والطلب لأوليائه.

ومعنى قوله {يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ (٧)}: أي يهديهم إلى الحق من أجل إيمانهم.

ومعنى {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠)}: أي قولهم وكلامهم ومناجاتهم ودعاؤهم: اللهم سبحانك، على التقديم والتأخير.

ومعنى {تَحِيَّتُهُمْ}: أي سلامهم على إخوانهم بالجنة والسلام.

ومعنى: {فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١)}: أي فنذرهم في طغيانهم يعمهون على وجه التقرير، ولكنه حذف الألف فجاء كالخبر، وإنما هو توقيف لهم وتعنيف على ضلالهم وجهلهم.

ومعنى قوله {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا (١٢)}: أي دعا وهو على جنبه، ولكن قامت اللام مقام على.

{كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٢)}: أي زينت لهم شياطينهم ما كانوا يعملون.

ومعنى قوله {ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ}: يريدون أن ائت بقرآن غير هذا وبدله، ولكن أو قامت مقام الواو، {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي (١٥)}: أي ما يكون لي أن آتيكم بدله بقرآن غيره من عند نفسي.

ومعنى قوله عزوجل **{قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ (١٦)}**: أي ولا أعلمتكم به، والعرب تقول: لا ندري، أي لا نعلم، قال الشاعر:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

{وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ (١٩)}: أي ما كانوا إلا أمة واحدة في الجهل حتى هديناهم، فاختلفوا في الهدى، ووقع أكثرهم في الغي والردى.

{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١)}: أي [إذا لهم] حِيَلٌ في تلاوتنا، وتأويلات في الإلحاد في حكمتنا، حتى يلحدوا تلك النعمة إلى غير موليها، وينسبونها إلى من لا يعقلها ولا يعيها، مثل قولهم وإعلالهم، وما وصفنا في كتب التوحيد من حالهم، ونقضنا بحمد الله من ترهاتهم، وباطل كذبهم ومقالهم، **{قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا (٢١)}**: ومكر الله عزوجل هو ما أخفى عنهم من الحفظة الذين يكتبون عليهم، يدل على ذلك قوله عزوجل **{إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١)}**.

ومعنى قوله **{حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ}**: أي جرين بكم، ولكن مخاطبة الشاهد ومخاطبة الغائب سواء عند العرب، قال الشاعر:

يا لهف نفسي صار جدة خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر

ومعنى قوله **{وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ}**: أي تغشاهم المذلة، **{مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ}** أي ما لهم من الله من مانع.

{ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ (٢٨)}: للحساب حتى نحاسبكم على الشرك وغيره من الأسباب.

ثم قال **{فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ}**: وبين أصحابهم، وكانوا يطيعونه من ورائهم، **{وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨)}**: وجحدوا عبادتهم حينئذ لما يحذرون، وخوفاً من العقوبة وهول ما يشاهدون.

{هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ (٣٠)}: أي تختبر كل نفس بما قدمت، ويتبين لها يوم الحساب ما عملت.

{فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ}: أي فماذا بعد الحق إلا الباطل والضلال والفسق، لأن الله فرق بين الحق والباطل بحدود ودلائل، فمن خرج منها وقع في الباطل.

ومعنى قوله **{فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)}**: أي فكيف تصرفون عن الحق وتعدلون.

وكذلك معنى قوله **{فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٤)}**: هو فكيف تصرفون، قال الشاعر:

إن تك عن أحسن الصنيعة ما ... فوكاً ففي آخرين قد أفكوا

أي مصروفاً، فمع آخرين قد صرفوا.

{أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)}: يريد عز وجل [أن] يوقفهم على أن من يهدي إلى الحق أحق بالاتباع ممن لا يهدي إلا أن يهدى، ولكنه بدل مكان الياء شديدة وجعل الهاء مشددة، **{فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)}**: أي ما بالكم وما شانكم؟ كيف تحكمون بالباطل وما حالكم؟! والعرب تقول: ما لك؟ أي ما شأنك وما بالك؟.

ومعنى قوله **{إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٣٦)}**: ولا يرفع منه كثيراً ولا قليلاً، قال الشاعر:

وسواجداً لم تغن شيئاً

أي لم تفعل شيئاً ولم تنفع.

{وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ (٣٧)}: أي ما كان يخترع من غير الله، ويمكن أن تقوم مقام اللام، وهي لام الأفعال المستقبلة في الكلام.

{وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ}: أي ولم يأتهم تفسيره، وما تأول الله وعده ووعيده، ولما هي بمنزلة لم، وهما من حروف الجزم، وما أشبههما من الكلام، قال الشاعر:

وندباً مثل حق العاج لما ... يتابع عندما نهد الحراما

يريد أنه لم يبتغ الحرام عندما نهد، فقامت لما مقام لم.

ومعنى **{فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)}**: أي فكر وانظر بعينك، ودبر كيف كان آخرتهم.

ومعنى قوله عزوجل {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ}: أي كأنهم لم يلبثوا ولكنه حذف الهاء والميم، قال الشاعر:

وإن لـم يصـيدوا غيـره وكفـى بـه

يريد أنهم لم يصيدوا غيره، ولكنه حذف الهاء والميم.

{وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ (٤٦)}: يريد بقوله عزوجل إما، هو إنما، وما صلة للكلام، وليس لها غير ذلك معنى، ولكن النون أدغمت في الميم، وجعل موضعها وبدلها تشديداً، والمعنى في ذلك: إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب، أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ومصيرهم للعقاب، قال الهادي صلوات الله عليه:

إمـــا تـــؤخرني المنيـــة فينـــة إن المنيـــة قـــد تغـــول وتصـــرع

يريد إن أخرتني المنية مدة من الزمان فعلي أن أوطئ السنابك عيون مدن العراق ومن بها يترفع.

ومعنى قوله عزوجل: {وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (٥٤)}: أي قبل إظهارهم لها، ولكنه اختصر، وليس يريد أنهم أخفوا ندامتهم على الجملة، وإنما الأصل في السر: هو الخاطر المنكتم، قال الشاعر:

إذ لا يـزال لهـا حـب علانيـة ومستسر لها في الصدر مكتوم

وإنما أراد الله عز وجل أنهم أسروا الندامة في أنفسهم كما أظهروها بألسنتهم.

ومعنى {فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً}: هذا جعل التسمية منهم والتعنيف والتخبط بجهلهم.

قوله تعالى: {وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٦٠)}: هذا من الاختصار، والمعنى في ذلك وما ظنهم يوم القيامة إلا خزي لهم، ولكنه اختصر.

ومعنى قوله {وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}: أي حين تعملون فيه وتقومون، وتخرصون فيه وتجولون، {وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ} أي ما يغيب عنه، {إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١)}: أي في علم عليم، ولكنه ضرب المثل بالكتاب المبين.

قوله تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}: أي لهم البشرى في الحياة الدنيا والسرور، باليقين بالله عزوجل، [و]الفرح بوعده الذي وعدهم، والسرور بصدق خبره الذي خبرهم به؛ لأن الله بشرهم في الدنيا بالقرآن، وأوضح لهم ما يصيرون إليه من السرور في الجنان.

وقيل: إن البشرى في الحياة الدنيا: هي الرؤيا الصالحة.

ولعمري ما ذلك ببعيد، وإن الرؤيا لمن بشارات الواحد المجيد، ورحمته ولطفه بالعبيد، {لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ (٦٤)}: أي لا تحويل لها عن الحق، ولا زوال لها عن حقائق الصدق.

{إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا (٦٥)}: أي السطوة والسلطان والملك جميعاً لله تبارك وتعالى.

ومعنى قوله: {وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا} معناه مُبَصِّراً للناس تبصيراً، والتلاوة من قوله مُبْصراً بتسكين الباء وتخفيفها، والمعنى في ذلك بالتثقيل، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧)}: أي لقوم يعقلون [يقبلون} ويطيعون.

{إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي(٧١)}: عَظُم في صدوركم وغَمَّكُم، وقدح في قلوبكم قيامي وتذكيري للناس بالجنان، والترهيب للوعيد والنيران.

{فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً} أي لم لا يكون أمركم غماً عليكم، {ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ}: أي سيروا إلي وفي مقاطعتي، واقطعوا أمركم في عدواني كلكم، ولا تبقوا جهداً في حجتكم، حتى يتبين لكم أمري وأمركم، وتوفيق الله لي وخذلانكم، {وَلاَ تُنظِرُونِ} أي لا تتركون من ذلك ولا تغفلون.

{فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ (٧٤)}: يعني أعداء الله الأولين لأنهم منهم، وفعلهم مثل فعلهم.

{قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا (٧٨)}: أي لتصرفنا عن مذهب آبائنا ومشائخنا، ومن قد سبقنا إلى ما نحن عليه من أمرنا.

واللَّفْتُ: هو الصرف، وأحسب أنه من الإلتفات.

{فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ}: ولكن ما اسم ناقص في هذا الموضع بمنزلة الذي.

ومعنى {إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ}: أي سيغيره ويفسده ويهلكه ويدمره، {إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١)}: أي لا يجعله عملاً صالحاً.

{وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ (٨٢)}: أي يرفع الحق ويسدده، ويقويه ويرفعه ويؤيده.

{فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ (٨٣)}: أي ما آمن إلا جماعة من قومه مع خوف من فرعون وقومهم.

{رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥)}: فتنة لهم، ولا تخلنا ولا تذرنا من نصرك، وتفتنهم بنا فيكون هلاكنا بأيدهم محنة لهم، ولكن عِنَّا وانصرنا عليهم.

وتحتمل الآية وجهاً آخر من التفسير: ويمكن أن يكونوا أراد ولا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، أي لا تكلنا إلى الفتنة التي يُجهِدُ فيها الهم، ولكن عذبهم بفتنتك وعذابك الذي هو أقوى من فتنتنا ولا تعذبهم فقط بأيدينا، فإنا لا نكون مثل عذابك ولو جهدنا.

قوله تعالى: {أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا} أي اتخذوا وابنوا لقومكما بيوتاً، {وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} أي مقصداً للناس ومستقبلاً، قال الشاعر:

وقبلة نجران حتماً عليك وحياً يناجي بأبوابها

أي قصد نجران واجب عليك.

{وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ (٨٨)}: أي لئلا يضلوا عن سبيلك، فقامت اللام مقام لأن لا، وهي اللام التي بمنزلة كي وكيلا.

{رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨)}: أي ربنا أهلك أموالهم، وغيرها تغييراً وهلاكاً، والزم الهدى عن قلوبهم إذ لم ينتفعوا به، ولكن على قامت مقام عن.

{وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ (٨٩)}: أي لا تتبعا طريق الجاهلين، ولكن النون من قوله ولا تتبعان، زيادة في النهي، وتوكيد عند العرب، وهي نون مشددة، قال الشاعر:

لا تركبن في قران العقرب لبلد أقرب أم لم يقرب

والمعنى: لا تركب، ولكنه وصل النهي بالنون، وقال آخر:

ثلاث خصال يا فتى فاحذرنَّها

أي ثلاث خصال فاحذرها.

ومعنى **{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ}**: أي قطعنا بهم البحر.

ومعنى قوله **{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ}**: يعني فرعون اللعين، أي ننجيه ببدنه للناظرين.

ومعنى ننجيه: أي نرفعه على نجوة من الأرض، وهو المكان الرفيع، قال الشاعر:

وجارك محفوظ منيع بنجوه ... من الضيم لا يزرى ولا يتذلل

يرد أنه في عز منيع مرتفع، كالنجوة المرتفعة.

ومعنى ببدنك : أي نرفعك بدرعك، والأبدان هي الدروع، قال الشاعر:

يمشون بالبيض والأبدان فوقهم ... بظاهرات عليهم مستغلات

ومعنى **{لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً (٩٢)}**: أي لتكون لمن بعدك من الناس آية، ودلالة على الله وعلامة.

{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ (٩٣)}: أي أحللناهم محل الصدق، وهو موضع حق، **{فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ}**: أي فما اختلفوا في نبوة خاتم النبيين حتى جاءهم حكمه وبيانه من العالمين.

{فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ (٩٤)}: هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنيُّ غير رسول الله صلى الله عليه وآله؛ [لأن رسول الله] لا يشك ولا يتهم الله ولا يشرك، ولهذا نظائر كثير في القرآن.

ومعنى قوله **{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٩٦)}**: أي الذين وقعت عليهم مواعيد الله بالعذاب لا يؤمنون، وهم قوم خصهم الله بالعذاب من المشركين، وعلم أنهم لا يرجعون أبداً ولا يفلحون.

ومعنى قوله {فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا (٩٨)}: أي فهلا آمنت قرية، -يعني أهل القرية- فينفعهم إيمانهم.

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ (١٠٠)}: أي ما كان لنفس أن تقدر على الإيمان إلا بفعل الله لها، وإيجاده لقوتها واستطاعتها، ولولا أنه فعل تلك الاستطاعة في العباد، لماقدروا على الدخول في البر والرشاد، فمن لم يشكر الله ولم يعقل، ولم يستعمل عقله في الإيمان ويستدل، فهو مستحق من الله للخذلان، ويجعل الرجس عليه والهوان، والرجس في نفسه هاهنا: هو العذاب، والشقاء واللعنة من الله والعذاب، قال الشاعر:

إذا سَنَةٌ كانت بنجد محيلة فكان عليه رجسها وعذابها

قوله تعالى: {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}: من عجائب التدبير، والصنع الذي لا يتهيأ إلا لله العليم القدير، {وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (١٠١)} أي ما تغني عنهم، ولا تنفع فيهم إذا لم يؤمنوا بها، وما في هذه الآية حرف نفي للإيمان عنهم، لكفرهم بالله وشركهم، واختيارهم لهلاك أنفسهم.

ومعنى قوله عزوجل {كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)}: أي واجب علينا ننجي المسلمين الأخيار والأبرار المؤمنين.

{وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا (١٠٥)}: أي بيِّت قصدك متوجهاً إلى الدين، **حنيفاً**: أي ثابتاً على الحق معتدلاً، ولدين الله مراعياً مستقبلاً، ولا تكن عن الدين منحرفاً ولا مائلاً.

تفسير غريب سورة برآءة (عن المهدي لدين الله صلوات الله عليه)

تأويل قول سيدنا عزوجل وتركه بسم الله الرحمن الرحيم من أول هذه السورة، لغضبع للمشركين، لأنه إنما جعل بسم الله الرحمن الرحيم دليلاً على رحمته للعالمين، وهذه سورة مقاطعة ومنابذة للفاسقين، وإنما خاطبهم الله تعالى عز وجل بما يعرفون عندهم، وكانت ملوك العرب تستعمل ذلك عند مكاتبتهم، ويدلون به على غضبهم وعداوتهم، قال الشاعر:

يدل على وجد الهمام كتابه وتخليفه للصدر عمن يكاتبه

والوجد في اللغة: هو الغضب، والهمام: الملك.

ومعنى قوله: **{بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١)}**: أي خلاص من الله ورسوله وقطع لهود الكافرين، وإنما برأ الله نفسه ورسوله من عهودهم لئلا ينسبوا الغدر والخلف إلى قوله، ولا يشنعوا في شيء من ذلك على رسوله؛ لأن الله عز وجل لا يرضى بالشنع لأوليائه، ولا يجعل عليهم حجة لأعدائه.

ومعنى قوله **{إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ}**: أي هذه مقاطعة للذين عاهدتم أيها المسلمون، وكانت فتنة ومعاملة بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبين المشركين.

ثم قال عزوجل **{فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ}**: أي سيروا في الأرض أربعة أشهر، يعني الأربعة الحرم، والله أعلم.

يدل على ذلك قوله عزوجل **{فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ}**، وقد روي عن الناصر أحمد بن الهادي رحمة الله عليه وعلى آبائه الطاهرين أنه روى غير ما ذكرنا، وهذا التفسير أحسن ما رأينا، وهو غير معنف فيما روى عن غيره من خلاف قولنا.

{وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢)}: أي فاضحهم ومعذبهم في الدنيا والآخرة ومهلكهم.

{وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ}: أي إعلام من الله وسوله للناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين، أي مقاطع عدو للكافرين، الذين أشركوا في عبادتهم بين المالك والمملوكين.

ومعنى يوم الحج الأكبر: أي في أيام الحج الكبير، الجليل عند الله الأثير، وهذا مثل قوله **{أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيْمَةُ الأَنْعَامِ}**: أي بهائم الأنعام، كل ذلك جائز في اللغة لا يستحيل.

وقيل بغير ذلك: وهو أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر، ويمكن أن يكون كذلك، والله أعلم.

ومعنى قوله برآءة من الله: أي مقاطعة منه لهم.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل أبا بكر بن أبي قحافة بهذه السورة ليقرأها بمكة على المشركين، فأوحى الله -فيما زعموا- إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أنه لا يؤدي عنك سورة براءة إلا أنت أو رجل منك))، يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قاتل الناكثين، وولي الله، ووصي رسول الله رب العالمين، فأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يلحق أبا بكر وليرده، ويأخذ منه الصحيفة، فأخذها منه، ثم مضى صلوات الله عليه حتى وصل إليهم، فلما اجتمعوا بمكة قرأها عليهم، وفيها من المنابذة ما يخزيهم.

ومعنى قوله **{إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا (٤)}**: أي لم يأخذوا لكم مالاً، ولم يسفكوا لكم دماً، **{وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً}**: أي لم يعينوا عليكم عدواً.

{فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ (٥)}: أي بعد انسلاخ الأشهر الأربعة، وهي التي قال الله عزوجل **{مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ}** وهي: شهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة، والله أعلم.

وقد قيل بغير ذلك، قيل: واحد فرد، وثلاثة سرد، يريدون أن رجب هو الفرد.

وأنا أقول: إن رمضان هو أعظم عند الله من رجب، لأنه شهر جعله للصيام، وفضل أيامه على سائر الأيام، وكذلك أيام الحج والإحرام، فقد بان فضلها عند جميع أهل الإسلام.

وانسلاخ الأشهر: هو خروجها وتصرمها.

ومعنى قوله **{وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ (٥)}**: أما الحصر: فهو الحبس والضيق، والمرصد، هو السبيل والطريق، قال الشاعر:

وإن المنايـــا للرجـــال بمرصـــد

{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ (٦)}: أي إن طلب أحد منهم جوارك، فأجره من القتل وامنعه، قال الشاعر:

ومثل الذي لي في عامر سيمنع مثلي أن يستجيرا

أي سيمنع مثلي من طلب الجوار والمنع.

ومعنى **{حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ}**: أي حتى يسمع كتاب الله، وإنما سماه الله كلاماً له، إذ كان هو الذي خلقه وجعله، وأوحاه إلى رسوله ونزله، فهو كلام الله، كما يقال سماء الله وأرضه، وعباده وخلقه.

{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}: أي ليس لهم عهد، وليس لهم وفاء ولا عقد، **{فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً (٨)}**: يريد عزوجل أنهم لم يظهروا، حتى يعلوا عليكم ويقدروا، لما رقبوا فيكم قرابة، ورعوا فيكم عهداً ولا ذمة، والإل: هو القرابة في اللغة والعرب، قال الشاعر:

وأشهد أنّ إلَّكَ من زياد كإل الفيل من ولد الأتانِ

أي كمثل قرابة الفيل من ولد الأتان.

ومعنى قوله **{اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً (٩)}**: أي تبدلوا بكتاب الله حطام الدنيا، وما يزول وشيكاً فلا يبقى.

{وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ}: أي نقضوا عهودهم، **{وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ}**: أي طعنوا على دينكم بالكلام القبيح، **{فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ}**: أئمة الكفر هم القواد إلى الكفر بالرحمن، **{لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢)}**: أي لينتهوا عن العصيان، **والإمام في اللغة**: هو القائد المتبوع، المطاع في قومه المجاب المسموع، قال الشاعر:

ولو صبر الإمام لنا قليلاً لأثخناهم بقضا الرمال

{وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ (١٣)}: أي زعموا وأرادوا إخراجه.

{وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤)}: أي بقتل أعدائه المشركين يكون شفاؤهم، وذلك بنصره المؤمنين وإعزازه لهم.

{وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً (١٦)}: أي لم يطلبوا من دونهم عشيرة يلجؤون إليها، ويدخلون معها وإليها، والولوج: هو الدخول، والوليجة: هي القبيلة التي يدخلون معها، قال الشاعر:

لا تجعلوا دوننا يا قومنا سداً وليجة لم يواخونا على الدين

ومعنى قوله: {شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ (١٧)}: أي عالمين بكفر أنفسهم، غير جاهلين بقبائح فعلهم.

ومعنى قوله : يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى نسله الطاهرين.

وذلك أن عمه العباس بن عبد المطلب رحمه الله ذكر ما كان يفعل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فلما فخر بذلك، ذكر له أمير المؤمنين عليه السلام سبقه إلى الدين والإسلام، واجتهاده في طاعة ذي الجلال والإكرام، فلما تشاجرا في ذلك بَيَّن الله فضل أمير المؤمنين، ونشر ذلك وأظهره لجميع العالمين، فقال عزوجل: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)}، وكل هذا إشارة من الله وتفضيل لإمام المسلمين علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

ومعنى قوله {وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا}: أي أموال اكتسبتموها، والاقتراف هو: الاكتساب، قال الشاعر:

والناس في هذه الدنيا على طمع منها فمقترف مالاً ومحروب

{وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا}: أي تخافون بوارها ألا يشتريها أحد، ولا يلتفت إليها، قال الشاعر:

لقد كسدت مساعيكم لدينا فبغيكم الذميم إلى البوار

ومعنى قوله : أي فانتظروا، قال الشاعر:

وكـوني حبيبـاً أيِّمـاً وتربصـي لخـرق تخاطبـه الليـالي السـبايح

قوله تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} أي لقد أعانكم الله في مواطن كثيرة، {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥)}: حُنَين: واد بين مكة والطائف كان فيه القتال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين قبائل من المشركين، فأعجب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكثرتهم حتى ظنوا أنهم لا يهزمون، فلما التقوا بحنين حمل عليهم المشسركون حملة واحدة، فخفت أقدامهم، [واختلفت] قلوبهم، وثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين ومعه نفر من بني هاشم فلم يبرحوا، وثبت الله أقدامهم ونصحوا، قال الشاعر:

خلا الناس عنه في حنين بأسرهم وولـوا هزيمـاً بالرمـاح الشـوارعِ
سـوى الهاشـميين الكـرام فـإنهم ذووا الصبر تحت المرهفات القواطع
ومنهم علي خير من وطئ الحصى قريـع قـريش فـي جميـع الوقـائع
سـنان رسـول الله فـي كـل حومـة وكاشـفها عـن وجهـه غيـر راجـع

ومعنى قوله: {فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا} أي فلم تدفع الكثرة عنكم شيئاً، { وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} ضاقت عليكم من الخوف بما اتسعت، والرحب في اللغة: هو الشيء الواسع، قال الشاعر:

وأخلى لك الشام التي ضاق رحبها عليك ولم لا يهنك العيش من أجلي

والعرب تقول: ضاقت الأرض بنا من الخوف، قال الشاعر:

كـأن بـلاد الله وهـي عريضـة على الخائف المطلوب كفة حائل

{ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا}: والسكينة مأخوذة من السكون والاطمئنان، وبطلان الحركة والخفقان، فلما أنزل الله السكينة في قلب رسوله و على [قلوب] المؤمنين ثبتوا ووقفوا، ولم يتزعزعوا مثل غيرهم [ولم يَخَفُوا]، وحفُّوا الجنود التي لم يروها: في جموع الملائكة المقربين.

{وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ (٢٦)}: أي عذبهم بأيدي المسلمين، وعطفهم بعد الهزيمة على الكافرين.

{إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)}: أي هم قذرة ووسخ، فلا تذروهم يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)}: أي وإن خفتم فقراً فسوف يغنيكم الله من رزقه، وسعة غناه وفضله، والعيلة: هي الفقر والحاجة، قال الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه ... وما يدري الغني متى يعيل

{وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ}: أي لا يعبدون الله بدين الحق، والحق: هو الله في هذا الموضع.

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ}: يعني قوماً من اليهود كانوا غلو في عزير صلوات الله عليه لما بعثه الله بعد موته مدة من الزمان فقرأ لهم االتوراة جميعاً وكتبها وأحاط بمعرفتها كلها وحفظها، فروي أنهم صدقوه أنه مبعوث بعدما أنكروا عليه، وقالوا: عزير مات منذ زمان طويل، فلما رأوا ما فعل من كتابة التوراة كلها، وحفظه وروايته لجميعها، غلو فيه حتى جاوزوا به الحد، وخرجوا به عن الدين والقصد.

{وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ}: وثبتوا على قولهم، ومنهم من زعم أنه هو الله تعالى الله عن كفرهم.

{يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ}: أي يوافقون قول اليهود الذين كفروا من قبلهم، وشبهوا الله بالمخلوقين بجهلهم، والمضاهاة: هي الموافقة، قال الشاعر:

وضاهاني الثريد وكل حلو ... من الفالوذ والعيش الرقيق

أي وافقني الثريد.

ومعنى {قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠)}: أي لعنهم الله كيف يُصرفون، وكيف يعدلون عن الحق ويكابرون، ويطيعون من دعاهم إلى ذلك ويقلدون.

{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ}: أي جعلوا علماءهم وأحبارهم سادة من دون الله يطيعونهم، ويقبلون قولهم بلا حجة ويقلدونهم.

وقيل: الأحبار هم العلماء، والرهبان: هم الذين يدعون أنهم لله راهبون، قال الشاعر:

ما كان يعلم هذا العلم من أحد بعد النبي سوى الحبر ابن عباس

وقيل: إن الحبر إنما سمي حبراً، لأنه يحفظ العلم كحفظ حبر المداد الذي يكتب به وبغيره من السواد، والراهب هو الذي يرهب الله عزوجل ويخافه، قال الشاعر:

وإني لآتي ما أتيت وإني لما اقترفت نفسي عليّ لراهب

وأما سيدنا المسيح فإنما سمي مسيحاً: لسياحته وهجرته إلى الرحمن، وتشميره ونصيحته، والمسيح في لغة العرب: هو الماء الذي يسيل، ويتحرك مصمماً على حاله ويجول، قال الشاعر:

إذا الجياد فضن بالمسيح

أي فضن بماء العرق الذي يسيل.

{يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ}، أي يريدون أن يحملوا دين الله المبين، بكلامهم الدني الحقير، {وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ}، أي ويغلب الله إلا أن يتم نوره، {وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)}: **وأصل الإباء هنا**: هو الامتناع في كلام العرب، ومعنى أبى الله: أي قهر وغلب.

ثم نبه الله من عقل من الناس على نفاق هؤلاء المنافقين، الظلمة المتسمين بالدين الفاسقين، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)}، والكنز هو الجمع، قال الشاعر:

ليس لهن غير ما اكتنزنه من البضيع قبل أن يرحلنه

ومعنى قوله إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا: هي المحرم وصفر وربيع وربيع وجماد وجماد ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة، ثم قال عزوجل {أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ}: أي محرمات، لهن حرمات عند الله عظيمات.

وأصل التحريم والحرام والحرمات: هو الحظر المحظور من المحظورات، وإذا كانت هذه الأربعة هي المحرمات عند الله المعظمات، فأولها شهر رمضان الذي نزل الله فيه القرآن، والهدى والحق والدين والبيان، **والثلاثة الباقيات**: هي أشهر الحج المعلومات، التي من أهل فيها بالحج لزمه الإحرام، ولزمه بذلك الوفاء والتمام، وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجة، وهو عندنا خاتم السنة، **{وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)}**: أي قاتلوهم جميعاً كما يقاتلونكم جميعاً، قال الشاعر:

أكافة جاءتنا تميم بأسرها ... يضيق بها الضمئآن والبلد الرحب

{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ(٣٧)}: كان أهل الجاهلية فيما روي إذا احتاجوا إلى القتال في الأشهر الحرم تَسَلَّفُوا منها أياماً، يحلونها لحاجتهم، ويحرمون بعد ذلك أياماً بعددها من زمانهم، ويسمونها النسيء، بمنزلة نسيء الدين، وهو النظرة بين المتداينين، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

وتنسئني منسئ العجول

أي تنظرني وتتركني بإذن الله وتمهلني، قال الشاعر:

ونحن الناسئون على معد ... شهورهم الحرام إلى الحليل

نحرم تارة ونحل أخرى ... لنا وبنا الممرّ مع السجيل

{يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا} أي يحلونه عند حاجتهم إليه سنة، ويحرمونه إذا استغنوا عن القتال فيه سنة أخرى، **والعام**: هو السنة، وهو الحول، كل ذلك سواء في المعنى والقول.

ومعنى **{لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)}**: هذا من التقديم والتأخير، والمعنى فيه فيحلوا ما حرم الله [ليواطئوا عدة ما حرم الله]، وإذا كانوا يحلون ويحرمون فقد شبهوا أنفسهم بالله، وهذا زيادة في كفرهم وبدعة عظيمة من أمرهم؛ [لأنهم] اختاروا ديناً غير دين الله، وابتدعوا وخرجوا من دين الله، فقبح ما صنعوا، **{زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ (٣٧)}**: قد مضى تفسيره في غير هذه السورة، وكذلك تركنا تفسير كثير من السور، لما مضى في أول التفسير، واستغناء به عن الإعادة والتكرير.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ (٣٨)}: هؤلاء هم المتَسَمُّون بالإيمان، وهم على الحقيقة من أهل الجور والعصيان؛ لأن المؤمن لا يتثاقل عن طاعة الرحمن، وإنما هذا من المجاز، وسعة الكلام.

ومعنى قوله {اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ}: أي تثاقلتم.

ومعنى قوله {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ}: أي هو الثاني الذي يكمل عدد الاثنين، والعرب تستعمل ذلك وتقول: رابع أربعة، وخامس خمسة، وعاشر عشرة، والغار: هو الجرف من جراف الجبال، وهو الكهف، وهو الكنان، وجماعة الغار: هي الغيران، والثاني الذي معه صلى الله عليه وآله هو أبو بكر بن أبي قحافة، والله أعلم.

{إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا (٤٠)}: فزعم قوم من الشيعة أن هذا يدل على جبن أبي بكر، ولا أحسب أن في هذا دليلاً على جبنه؛ لأن الله يقول لنبيه لا تحزن، وهذا على وجه التطمين له والبشارة لا على سبيل الذم.

وقد علم الله ما أُريدُ بهذا جدالاً عن أبي بكر ولا أريد مدحه، لكن الله سبحانه لا يرضى بحمية الجهال، ولا عصبية الجاهل عند الجدال، والله عز من قائل يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ}[النساء/١٣٥]، {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}[المائدة/٨]، وقال النبي صلى الله عليه وآله ((والعدل عند الغضب والرضا)).

{فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا}: يقول عزوجل إنه أنزل السكينة والاطمئنان عليه، ولم يذكر صاحبه في في هذه السكينة، كما ذكر المؤمنين.

قال بعض الشيعة: فعلمنا عند ذلك أن أبا بكر لم يكن من المؤمنين، ولو كان منهم لقال عز وجل: فأنزل الله سكينته عليه وعلى صاحبه، كما قال في أول الكلام: {ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين}.

وهذا لعمري قول حسن لا بأس به، وليس هو بحجة قاطعة، ولا هذا مما يدل على كفره، ولكن هذا يدل على فضل المؤمنين عليه؛ لأنه ذكرهم بالسكينة وأغفل ذكره دونهم، فيجب عليه أن يكون من هذا الوجه تابعاً لهم، فإن لم يفعل ذلك وتقدمهم، فقد خالف الله، وجهل فضلهم.

ومما يدل على خطأ أبي بكر ما ذكرنا في كتاب الرد على الملحدين وغيرهم من فرق الضالين، وكذلك ما ذكر أمير المؤمنين صلى الله عليه في مسائل النصراني الذي وفد إليه.

{انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً}: أي خفاف الظهور من العيال، وثقالاً من الصبية والعيال، فلم يعذر أحداً في النفير إلى الجهاد، ولم يرخص لذوي السلامة من العباد.

{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ}: أي لو كان سفرهم لغرض قريب من أغراض الدنيا وحطامها، أو لسفر قاصد: أي مقتصد غير بعيد لاتبعوك، **{وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ}**: أي بعدت عليهم المسافة، قال الشاعر:

إن الذي عاق عيسى عن زيارته لشُقَّة بعدت أطرافها قذف

وقال آخر:

وكم دون ذات الخال من عرض شقة ومن عرب حرب لنا وسلام

{وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)}: أي يهلكون أنفسهم عند الله بكذبهم، وتخلفهم عن الجهاد وخبثهم.

{عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣)}: أي عفى الله لك مالك أذنت لهم، ولم تبتلهم بما يثقل عليهم حتى تختبرهم، ويتبين لك الصادق والمنافق الكاذب منهم.

ثم قال عزوجل: **{لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤)}**: أي لا يستأذنك أولئك أن لا يجاهدوا، [إلا أنه حذف حرف النفي]، فقامت أن مقام أن لا.

{إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)}: أي وشكت قلوبهم فهم في شكهم يتحيرون، والتردد: هو التحير، قال الشاعر:

وكـــان أبـــوك ســـاقطة دعيـــاً تـــردد دون منظـــره فحـــارا

أي شك في منصبه، وتحير دون معرفة نسبه.

{وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ}: أي كره مسيرهم مع رسوله لكفرهم، والانبعاث: هو المسير، قال الشاعر: [الكميت بن زيد]

إذا انبعثـت مـن منـزل غـادرت بـه ذوابـل صـهبا لـم يـدنهن مشـربُ

يريد إذا سارت من موضع تركت فيه ذوابل.

ومعنى قوله **{وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)}**: أي حبسهم عن فساد العسكر، ولو تركهم لأفسدوا الناس بالنفاق والمنكر، وإنما أخزاهم الله بحبسهم وفضحهم بتثبيطم وتركهم.

{لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً}: أي ما زادوكم إلا ثقلاً وحبساً وشراً.

{وَلَأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ}: أي لساروا إبلهم وأوجفوا بينكم، **والإيضاع**: هو الخبب، وهو ضرب من السير، قال الشاعر:

يوضـعن فـي جمـع وفـي محسـر

وقال آخر:

أقبلـوا يوضـعون قـود المطايـا لا يملـــون خطـــة الإيجـــاف

وسواء قال القائل: أوضع وأوجب وأوجف وأهدل، كل ذلك سواء لا فرق بينه في المعنى.

ومعنى **{خِلاَلَكُمْ}**: أي بينكم، قال الهادي عليه السلام:

علـــى حُصُـــن مســـومة كـــرام خـــلال القســـطلين بهـــم تجـــول

ومعنى {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ}: أي يطلبون لكم الضلالة، قال الشاعر:

يـا عمـرو إنـك بالضـلالة فـاتني

أي إنك بالضلالة مضل عن الحق.

{وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ}: أي قابلون لكلامهم، مطيعون لقولهم ونفاقهم.

ومعنى قوله عزوجل **{وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ (٤٨)}**: أي أرادوا فيك الحيل والمكر والخدائع، وفكروا في ذلك، وأجالوا فيك التدبير.

{وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي}: أي لا تمتحني بضياع مالي وأهلي، وقيل أيضاً بغير ذلك، والله أعلم وأحكم.

{أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ}: يريد ألا في المحنة والاختبار سقطوا، ووقعوا من أجل ذلك وتورطوا.

{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)}: أي واقعة بهم في يوم الدين.

{إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ}: أي تغمهم، قال الشاعر: [الكميت بن زيد]

فما سآءني تكفير هاتيك منهم ولا عيب هاتيك التي هي أعيبُ

{وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠)}: أي قد أخذنا حذرنا وتخلفنا من الجهاد وسلمنا.

قوله تعالى: **{قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١)}**: أي لن يصيبنا من الكفار وظلمهم إلا ما كتب الله لنا عليه الأجر والثواب، ولكنه اختصر في كثير من متشابه الكتاب، ليبين بذلك فضل ذوي الألباب.

{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ}: أي هل تنتظرون بنا إلا الشهادة في سبيل الله فهي حُسنى، أو النصر من الله والقوة فهي حسنى، قال المرتضى عليه السلام:

ألم تر أنني في الحبس ثاوٍ ومخرجنا لإحدى الحسنيينِ

{وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢)}: التربص هو التأني والانتظار، قال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوماً أو يموت حليلها

أي انتظر بها مصائب الدهر.

{قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)}: هذا بيِّنٌ لا يحتاج إلى تفسير، وقد استغنينا بتفسير ما شاكله من القرآن.

ومعنى قوله عزوجل: **{وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤)}**: معناه لا يصلون إلا وهم ماقتون للصلاة، ولا ينفقون إلا وهم كارهون للزكاة، ولكنهم أرادوا بذلك النفاق، والتزين في أعين الناس بالإنفاق، وهم في الحقيقة من أفسق الفساق.

{فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)}: هذا من التقديم والتأخير، والمعنى في ذلك: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها -يعني في الآخرة-، **{وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ}** أي تخرج أنفسهم **{وَهُمْ كَافِرُوْنَ}**، هذا قول أبي عبد الله محمد بن القاسم صلوات الله عليه.

ويحتمل وجهاً آخر: وهو أن الله عز وجل عذبهم بالشفقة والخوف على أموالهم وأولادهم، وهو قول العالم صلوات الله عليه، وليس هذا خلافاً بين الإمامين، [ولكن] الآية تحتمل معنيين.

{وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦)}: أي يخافون ويرهبون، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

عاينوا الموت فخلوا دورهم وعيالاتهم عند الفرق[1]

{لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧)}: أي لو وجدوا حرزاً يلجؤون إليه، أو مغارات: وهي الكهاف التي في الجبال، قال الشاعر:

لجأت إلى سند فألجأها دون السماء تدل بالقفر

والمدخل: هو الموضع يعز ويمنع من دخل فيه، إذن لولوا إليه وهم يجمحون، **الجماح**: هو اللجاج في السعي، والعرب تقول: فرس جموح، إذا صمم.

{وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨)}: أي منهم من يغتابك ويطعن عليك في الصدقات، وهم المنافقون أهل الجهالات، الذين يرضون ويسخطون في العطيات.

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَفِي الرِّقَابِ}: **الفقراء**: هم الذين لا جدة لهم ولا مال، وكذلك المساكين، **وإنما سمي الفقر فقراً**: لأنه يفقر الظهر ويقطعه.

---

(1) في الأصل: عاينوه فتخطوا رشدهم، وما أثبتناه من قصيدة الإمام الهادي في سيرته.

وكذلك المسكين فإنما سمي مسكيناً: لأنه يذل ويستكين، ويخضع للفقر ويضعف ويلين.

ومعنى قوله **{وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا}**: يعني الذين يجمعونها ويعملون فيها وفي جمعها.

{وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ}: يعني الذين يتألفهم الأئمة بالعطاء من الجنود، ومن لا يتقي الله من ذوي العنود.

{وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)}: يعني الغارمين في طاعة الله الذين تسلفوا، واكتسبوا الدين لعيالهم وأنفسهم ولم يسرفوا.

وأما السهم الذي في سبيل الله: فيصرفه الإمام في العدد والسلاح، والخيل.

وأما ابن السبيل في اللغة: فهو عابر الطريق، المسافر الغريب، فجعل الله له سهماً في الزكاة.

ومعنى: **{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ}**: الأذى هو الشتم، قال الشاعر: [العجاج]

[إني امرؤ عن جارتي كفيُّ عن الأذى إن الأذى مَقْلِيُّ]

{وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ}: أي يقبل ويسمع ما قيل له، فرد الله عليهم وأكذبهم فقال عزوجل: **{قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ (٦١)}**: معناه سامع للخير، والكلام الجميل، غير سامع ولا قابل للكلام القبيح.

ثم قال عزوجل يمدح رسوله المصطفى، وأمينه المرتضى، صلوات الله عليه وعلى أهله **{يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ}**: أي يصدق الله ويؤمن به، ويصدق المؤمنين، **{وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ}**: إنما سمي المؤمن مؤمناً: لإيمانه بالله وتصديقه ويقينه، وسمي أيضاً مؤمناً: لأنه يؤمن نفسه من العذاب، وسمي أيضاً بهذا الاسم لأنه يؤمن أولياء الله ولا يخيفهم، فمن قال بهذه الصفة، وإلا فيستحي ويستغفر الله عزوجل لذنبه.

{وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ (٦٢)}: هذا من التقديم والتأخير، والمعنى فيه والله أحق أن ترضوه ورسوله، فقس على هذا ما أشبهه فهو كثير في القرآن.

{أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣)}: هذا توقيف من الله لهم على أنهم علموا، ولكنهم كابروا عقولهم وظلموا، والمحاددة لله عزوجل: هي المخالفة له فيما به أمرهم.

{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم}: هذا خبر منه عزوجل على خبرهم وخوفهم من أن ينزل عليهم سورة تخبرهم بما في قلوبهم، وتفضحهم عند جميع الناس في كفرهم.

{قُلِ اسْتَهْزِئُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤)}: هذا تهدد منه لهم، ووعيد على تلعبهم وشركهم.

{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ (٦٥)}: هذا عذرهم، وبئس العذر هذيانهم وكفرهم، والخوض: هو الجولان في الكلام، قال الهادي إلى الحق عليه السلام:

واجتنبوا فيه الفسوق والرفث والخوض في كل الأمور والعبث

ومعنى {لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}: أي لا تعتذروا بالمحال، والكذب الفاسد من المقال، ولكن اعتذروا بالتوبة إلى الله والصدق، والرجوع من الباطل إلى الحق.

{إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ (٦٦)}: أي نعذب جماعة، ثم يتوبوا، إن الله غفر لمن تاب، وعفى برحمته عمن رجع وأناب، والطائفة هي الجماعة، قال الكميت بن زيد رحمة الله عليه:

فطائفة قد أكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ}: أي بعضهم مع بعض في الاغتياب للمسلمين، والكذب على رسول رب العالمين.

ومعنى قوله {وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ}: عن العطاء والإنفاق، ومع ما هم عليه من الكفر والنفاق، قال الشاعر:

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
تَعَوَّد بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه أنامله

{نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)}: أي نسوا الله من العمل، وتركوا طاعته، فنسيهم، ومعنى نسيهم: أي تركهم من الثواب، قال الهادي عليه السلام:

نسيتم منة الهادي عليكم وقد ضاقت بأجمعكم شبام

يريد تركتم شكره على عفوه عليكم، وليس يريد النسيان الذي ضد الذكر الحاضر، وقال العلوي:

راح الحجيج بأوجه مسودّة ونسوا لأحمد حرمة وذماما

أي تركوا، وليس يريد أنهم نسوا حرمته وذمامه خطأً، بل متعمدون لذلك، عليهم لعنة الله.

ومعنى قوله {خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ}: أي هي كفايتهم لا يحتاجون من العذاب إلى غيرها.

{فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ}: أي تبلغوا بنصيبهم من الدنيا، قال الشاعر:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا سرابيل قطران وأغلال

وقال آخر:

فما لك من خلاق نحو قومي وما لي في عشيرك من خلاق

أي لا نصيب لي فيهم.

{أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُّدنْيَا وَالآخِرَةِ (٦٩)}: أي هلكت أعمالهم وبطلت، وضلت عند الله وذهبت.

ومعنى قوله: {فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)}: قيل: إن رضوان الله عليهم أكبر من دخول الجنة.

وأنا أقول: إن رضوان الله عليهم في ذلك اليوم هو الجنة، وهم في الجنة.

ومعنى **أكبر**: أي رضوان من الله كبير، فقامت أكبر مقام كبير، مثل قوله: وهو أهون عليه، والمعنى وهو هين عليه، فقام أهون مقام هين، وإنما رضوان الله ثوابه، وسخطه عقابه.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٧٣)}: قيل: إن الجهاد بالسيف للمشركين، والجهاد باللسان هو للمنافقين.

ومعنى قوله {وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ}: أي أرادوا بقلوبهم، وتمنوا من معاصي الله ما لم ينالوا، ولم يقدروا عليه ولم يطيقوا، ولولا عجزهم وضعفهم عن ذلك لفعلوا، كلما سمع من هذا ومثله، فإنما هو في المنافقين الذين كانوا في المدينة من الفاسقين.

{وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ}: هذا من التقديم والتأخير، والمعنى فيه: وما نقموا إلا أن أغناهم الله من فضله ورسوله أيضاً أغناهم، ولكنه اختصر واكتفى بواو العطف.

ومعنى قوله وما نقموا : أي ما عتبوا شيئاً، ولكن أغناهم الله ورسوله، وهذا موجود في كلام العرب، قال الشاعر:

ما نقموا الناس من بني أميـ ـة إلا أنهم يحلمون إن غَضَبوا
وأنهم سادة الملوك ولا تصلح إلا عليهم العرب

يريد ما نقم الناس من بني أمية شيئاً ولكنهم يحلمون.

ومعنى قوله {وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ (٧٤)}: ينصرهم من رب العالمين.

قوله تعالى: {وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ (٧٧)}: أي منهم من أعطى الله عهداً ونذر نذراً واجباً لينفقن وليتصدقن، فلما أعطاه الله من فضله بخلوا به وأعرضوا عن قضاء نذرهم وتولوا، فأعقبهم فعلهم ذلك نفاقاً في قلوبهم،

ومعنى {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا (٧٧)}: أي عوضهم فعلهم النفاق وزين كفرهم.

{أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (٧٨)}: أي لم يعلموا: أي لم يعلموا ذلك ولم يوقنوا، ولم يصدقوا بعلم الله ولم يؤمنوا، ولكن ألم قامت مقام لم.

ومعنى قوله: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)}: أي يغتابون المتنفلين الذين ينفقون طوعاً، وهم من المحتاجين، ومع ذلك لا يجدون إلا جهدهم، وهو طاقتهم وقوتهم، وما يقيم ويثبت أرواحهم، فَيسخر أعداء الله المنافقون منهم ويتلعبون ويستهزؤن، ثم قال الله تعالى: {سَخِرَ اللّهُ مِنْهُم} أي كافاهم الله وجازاهم بتلعبهم، وإذا كان سخرهم هو اغتيابهم، فسخر الله هو ما غيب عنهم من هلاكهم، حتى ينزل ويحل بهم.

ومعنى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} أي لو استغفرت لهم وهو يجهل نفاقهم، فإن الله لا يغفر لهم، {إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ} أي لو استغفرت لهم سبعين مرة لما غفر الله لهم؛ لأنه أعلم بهم وأنت جاهل بحالهم، ولو علمت بكفرهم لما استغفرت لهم.

ومعنى قوله عزوجل {فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٨٢)}: هذا على سبيل الوعيد والتقريع، قال الشاعر:

إذا المرء لم يرض ما أمكنه ومال به العجب واستحسنه
فذره فقد ساء تدبيره سيضحك يوماً ويبكي سنه

{فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ}: أي فإن ردك الله سالماً إلى جماعة منهم.

ومعنى قوله {فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)}: أي مع إخوانكم المتخلفين، فلكم على ذلك العذاب، والنكال من الله والعقاب.

قوله تعالى: {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ (٨٤)}: وهذا فرض من الله عز وجل على جميع العباد.

ومعنى {اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ (٨٦)}: أي ذوي الغنى منهم، والطول هو الغنا، قال الشاعر:

أنلني من الطول الذي أنت مالك فطولي مقتور علي عسير

{رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ (٨٧)}: أي مع النساء اللاتي يخلفن أزواجهن في البيوت، قال الشاعر:

ولم تغدوا ببيض مرهفات كأنكم الخوالف في البرود

قوله تعالى: {وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} هم الذين يعتذرون ويتعللون، ويتحيلون وينافقون، ليؤذن لهم في التخلف، {وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ (٩٠)}: أي كذبوا الله في قوله لأنهم جحدوه وأنكروه، وأنكروا رسوله ولم يطيعوه.

{مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١)}: أي ليس عليهم عقاب من الله عزوجل، والمحسن هو الذي يجتهد في الإحسان، ولا يفتر في طلب الحسنات والإيمان.

{وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ (٩٢)}: هذا بين لا يحتاج إلى تفسير.

{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء}: أي العقاب لمن يستأذنك ميلاً إلى الراحة والرقاد، وهو غني يجد ويقدر على التأهب والجهاد، قال الشاعر:

ولست بمؤمن لك يا ابن زيد ولو أقسمت بالبلد الحرام

ومعنى {فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ (٩٥)}: أي ذرهم من الإقبال عليهم، ولا تركنوا أبداً إليهم، إنهم رجس يريد لأنهم نجس ووسخ، ليس في قربهم خير، ولا بركة بل شر.

قوله تعالى: {الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧)}: الأعراب: هم أهل البادية الجهال، والجفاة الكفرة الضلال، أشد كفراً من أهل القرى ونفاقاً؛ لأنهم معه كفرهم أجهل وأضل، وأعمى عن الله وأغفل؛ لاشتغالهم بمرافقة الأنعام حتى شابهوا لذلك عجم السوام، لولا ما ركب فيهم من حجج العقول والأفهام.

ومعنى قوله {أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ}: يريد أنهم أقرب أن لا يعلموا شروط ما أنزل الله على رسوله، قال الشاعر:

عمـــرو جـــدير بطعـــان الفرســـان

أي قريب جرء غير بعيد.

{وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ (٩٨)}: أي ومنهم من يحسب ما ينفق من الصدقات وغيرها مغرماً، لا يرجوا فيه ثواباً ولا أجراً، ويتربص بكم الدوائر: أي ينتظر بكم المصائب، قال الشاعر:

ولقـد خشـيت بـأن أمـوت ولـم تقـم للحـــرب دائـــرة علـــى ابنـــي ضمضـــم

ومعنى قوله {وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ (٩٩)}: أي منهم من يتقرب إلى الله بالنفقة في الجهاد، ويريد بذلك دعوات الرسول إلى الله عزوجل، لأنها قربة لهم، يعني دعوات الرسول صلوات الله عليه وآله.

ومعنى قوله: {خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢)}: أي خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ثم ندموا وأخلصوا، ولكنه اختصر، وهذا كلام موجود في القرآن.

ومعنى قوله: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)}: أي مُسَكِّنةٌ لقلوبهم من الفزع الأكبر.

ومعنى قوله: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤)}: أي يغفر لمن تاب إليه، ويعفوه له ويتوب عليه، ويأخذ الصدقات: أي يأخذ الصدقات للفقراء رحمة لهم.

قوله تعالى: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ (١٠٦)}: أي متروكون من الولاية، أمر الله المؤمنين بتركهم، حتى يتبين لهم صحة أمرهم، وهل تابوا على الحقيقة ورجعوا من ذنبهم.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ (١٠٧)}: يريد أنهم بنوا مسجداً للضرر على الإسلام، وجعلوه حبالة وحيلة لضعفة الأنام، ليصلي معهم بعض المؤمنين، ويفترقوا بذلك على خاتم النبيين، وجعلوه شبكة لضعفة المسلمين، ومعونة ورصداً وطريقاً لمن حارب رسول رب العالمين، فبين الله لنبيه أمرهم، وهتك بذلك أستارهم.

{لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)}: يعني مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بنى أساسه على التقوى.

{فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)}: أي في رجال من المؤمنين يحبون الطهارة من الذنوب، ويرجون بذلك ثواب علام الغيوب.

{عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ (١٠٩)}: هو شفا واد من أودية الرمل، والهار: هو المتهدم الذي ينهار ويسيل ويتهدم، والشفا: هو جانب الوادي، وهو شقه وشرفه.

قوله تعالى: {لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ (١١٠)}: أي لا يزال بنيانهم الذي بنو للنفاق غماً عليهم وحسرة وندامة؛ لأن الله عز وجل بَيَّنَ كيدهم، وكشف بعلمه مرادهم وقصدهم، فلم ينفك عنهم غيظهم أبداً حتى يقطع الله قلوبهم.

ومعنى قوله {وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ (١١١)}: أي وعداً عليه واجباً أوجبه على نفسه في التوراة والإنجيل.

ثم قال: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى (١١٣)}: يريد عزوجل أنه لا ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولا يحل ذلك للنبي ولا لأحد من المسلمين.

{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)}: قيل في تفسير هذه الأية: أن آزر لعنه الله وعده بالتوبة، وهذا شيء لم نسمعه في كتاب الله بل نافره وتهدده، وإنما الذي وعده بالاستغفار ولده خوفاً من أن يكون من الضالين الجاهلين، ورجا صلوات الله عليه أن لا يكون والده من المتعمدين، فلما تبين أنه مقاطع لرب العالمين، قطعه صلوات الله عليه كما قطع سواه من المشركين.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)}: أي ما كان الله ليسميهم بالضلالة بعد هدايته لهم بالعقول، والكتاب المنزل والرسول، حتى يبين لهم ما يحذرون من العقاب، وما يباعدهم أو يقربهم من الله رب الأرباب، فإن لم يقبلوا ذلك أضلهم، وكافأهم بالتمسية على ضلالتهم.

قوله تعالى: {لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)}:

يريد عزوجل أنه رجع بالرحمة والفضل على نبيه والمهاجرن الذين اتبعوه في ساعة العسرة والحاجة والاضطرار.

ومعنى قوله: {مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ}: أي من بعد ما قاربت قلوبهم أن تميل عن الحق، وهموا بذلك، ثم استغفروا الله وتابوا إليه ورجعوا لطلب ثوابه وما لديه، فتاب عليهم وعطف برحمته ورجع بفضله عليهم ومغفرته، وتاب أيضاً على الثلاثة الذين خلفوا.

ومعنى **الذين خلفوا**: أي تخلفوا وأوقعتهم أنفسهم في ترك الجهاد حتى وقفوا، ثم ضاقت عليهم الأرض خوفاً من ربهم، وضاقت عليهم أنفسهم لشدة حزنهم، وما صاروا إليه من توبتهم وندمهم.

ومعنى قوله: **{وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ}**: هو أيقنوا أن لا مهرب ولا فرار من الله إلا إليه سبحانه.

ومعنى ظنوا: هو أيقنوا، ومن الظن ما هو بين لا شك فيه[1].

قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)}**: أي كونوا مع أمير المؤمنين، وذريته الطاهرين، الأئمة الأخيار الصادقين، ولا تكونوا مع من عاداهم من أئمة الكفر المنافقين.

ومعنى قوله: **{مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ}**: أي لا يصونوا أنفسهم عن الجهاد معه، ولا يتخلفوا بأنفسهم عن الجهاد في سبيل ربهم، والرغبة على وجوه قد ذكرناها في مواضعه.

ومعنى قوله: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ}**: أي لأنهم لا يصيبهم عطش ولا تعب ولا جوع في سبيل الله.

{وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ}: نسأل الله أن لا يحرمنا غيظ هؤلاء الأنجاس إنه سميع عليم.

{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)}: يريد عزوجل أن المؤمنين لا يتهيأ لهم النفير كافة جميعاً، ولا يقدرون كلهم أن يأتوا معاً، فهلا نفر من كل قبيلة جماعة ليتفقهوا في الدين، ويبحثوا عن صحة النبوة حتى يقفوا على اليقين، فإذا وقفوا على ذلك رجعوا إلى قومهم منذرين، فانصرفوا لإخوانهم منذرين.

---

(1) أي ما هو بمعنى العلم، فقوله: وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، بمعنى علموا، ومنه قوله تعالى: الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم، والله أعلم. انتهى من حاشية على الأصل.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)}: أي اقتلوا الذين بينكم من الكفار وعندكم، وقد زعم بعض الجهال أن الهادي إلى الحق عليه السلام غلط في هذا التفسير، وزعموا أن يلونكم مستقبل، وبين من حروف الصفات، وجهل أعداء الله ما علم صلوات الله عليه من الأمور، وهم بحمد الله أولى وأحق بالغلط والجهل والتقصير، وقد كان الواجب عليهم أن يتهموا أنفسهم ولا يتهموه، ولكنهم سفل لم يعرفوا الله ولم يخافوه، والهادي إلى الحق عليه السلام أبصر وأعلم وأحق من النحويين، وأبصر بدقائق العلوم والأسباب من هؤلاء المنافقين، الذين تفقهوا للرئاسة والنفاق، والتكثر على الرعاع من الفساق، وإنما دق عليهم الأمر ولم يحجزهم الورع، وسنبين إن شاء الله كذبهم، وركاكتهم وجهلهم.

وذلك أن معنى قول الله {يَلُوْنَكُمْ} لفظه لفظ الفعل المستقبل، ومعناه بينكم، كما قال الهادي عليه السلام، ولكنهم لم يفرقوا بين اللفظ والمعنى، وهم - والحمد لله - أهل الجهل والضلالة والعمى، وكم في كتاب الله من لفظ يحتمل معنى غير ظاهره في اللغة، قال الشاعر:

وصالوا صولة فيما يليهم وصلنا صولة فيما يلينا

يريد فيمن هو بيننا ومعنا من أصحابنا، فخرج اللفظ غير مخرج المعنى، ولو كان كتاب الله يؤخذ على ظاهره لما احتاج أحد إلى تفسير باطنه، ولو علم الله في هذه الأمة أنهم يقومون مقام أهل بيت نبيه لجعلهم مترجمين لكتابه، ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالاته، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على خاتم النبيين، وعلى ذريته الأخيار الأبرار الطاهرين.

{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)}: أي عذاباً وعمى على عماهم، والرجس هاهنا: هو العذاب والغيظ والتعب والعقاب، قال الشاعر:

إذا سنة كانت بنجد محلية فكان عليه رجسها وعذابها

أي تعبها وعماها، ونكدها وعسرها.

{أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)}: يريد لا يعلمون أنهم يمتحنون في كل عام مرة أو مرتين من الأرض التي جعلها الله عليهم ليتوبوا ويرجعوا، ويعتبروا قبل موتهم، لأنه عزوجل أذاقهم مصائب الدنيا ليزهدوا ويرغبوا في الآخرة ويهتدوا، فلم يتوبوا عند ذلك ولم يتذكروا، وكابروا عقولهم فلم يعتبروا.

{ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (١٢٧)}: أي صرف الله قلوبهم عن رحمته على كفرهم، وكافأهم بالعذاب على شركهم.

ومعنى قوله عزوجل: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)}: أي منكم ومن بعضكم عزيز عليه تعبكم، ولا يريد غمكم ولا نصبكم.

{حَرِيصٌ عَلَيْكُم}: أي حريص على هدايتكم، رؤوف رحيم بمن آمن بالله منكم.

ومعنى قوله: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}:أي على رحمته ولطفه اعتمدت، وبه في كل الأمور وثقت، وحقيقة التوكل: اليقين برحمة الله والاعتماد عليه، والركون في جميع الأسباب إليه، والطمع والرجا لما لديه، وأنه العوض من كل فائت من الأسباب، وأنه خير الناصرين وخير الأصحاب، اللهم إني متوكل عليك، محب لكل طامع بما لديك، عَجِل إليك، فعجل نصر وليك على القوم الفاسقين، وانصر دينك من هؤلاء المنافقين.

تفسير غريب سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ (١)}: **الأنفال**: هي التي كان يصطفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو جزء واحد يختاره من رؤس الغنائم، وكذلك ينفل من شاء من أصحابه قبل المقسم.

ومعنى قوله **{قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ}**: أي لله عزوجل ملك هي وغيرها، وله الحكم ولرسوله في أمرها.

{وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ}: أي ما بينكم من الاختلاف، وارجعوا إلى النصف والائتلاف، ولا تميلوا عن الحق والعدل والإنصاف.

ومعنى قوله : أي خافت قلوبهم، **{أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا}** يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين الذين اتبعوه، ثم قال عزوجل **{لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ}**: أي رفعة ومراتب من الفضل من الفضل عند ربهم، **{وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)}**.

{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ}: أي جعل لك ولأصحابك ذلك الثواب كما أخرجك من بيتك مكافأة لك ولهم ذلك الحق، **{وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥)}**: أي أخرجك للحق، وإن بعض المؤمنين لكارهون، ولكنهم مع كراهتهم لأمرك مسلمون.

{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ}: أي يخاطبونك في الحق الذي أخرجت له، ويسألونك عنه بعد ما تبين لهم، **{كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦)}**: وكان ذلك والله أعلم في غزوة بدر، أيام قتل الفاسقين، وقطه تجبر المشركين، وكان أصحاب رسول الله عليه صلوات رب العالمين في غاية من الضعف والقلة من جهاد الكافرين، وكانوا لجهاد العدو كارهين.

{وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ}: يريد أن الله وعد رسوله إحدى الفئتين، وهما الجماعتان والفرقتان، جماعة العير والسفر، وجماعة القتال.

والطائفة: هي الجماعة والفرقة، والفريق والقبيلة، وكل ذلك واحد، قال الكميت بن زيد:

فطائفة قد أكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

فلما بشرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، ودوا أنهم يلقون السفر ولا يلقون القتال، وكان السفر من قريش يريدون مكة بعيرهم وحمولتهم، وكان لهم في العير أموال، ولم يكن هنالك عز ولا رجال، إلا من يقوم بالحمولة ويحفظها، ويرفعها عند الرحل ويحطها، فلما خافوا على عيرهم، وجهوا صارخاً إلى مكة لأصحابهم، فأقبلوا حينئذ في العز والخيل والسلاح، قال الله عزوجل: **{وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ}**: أي وتحبون أن الطائفة التي لا عير معهم تكون لكم، وأن تلقوا الغنيمة التي لا شوكة لها عندكم، ولا خوف معها على أنفسكم.

والشوكة: هي الحد، وهذا مأخوذ من الشوكة وحَدِّهَا.

وقيل أيضاً: إنه مأخوذ من الشِّكَّة فيما قيل، والله أعلم، **والشكة**: هي السلاح، والمعنى في ذلك مقترب.

{وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ}: يريد أنه عزوجل يريد خلاف ما أردتم من العير، يحب قطع دابر الكافرين، ودابرهم: هو أتباعهم وآخرهم، وبقية الجبارين وأكابرهم.

{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩)}: أي تدعون ربكم بالغواث والحياة، فأجاب دعاءكم وأمدكم، والإمداد هو الغوث والزيادة لهم، بمن أرسل من الملائكة إليهم، وأغاثهم بالملائكة الطاهرين صلوات الله عليهم، فثبتت لذلك قلوبهم.

ومعنى قوله: **{بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩)}**: أي منبعثين بملائكة آخرين، جعلهم الله لأصحابهم تابعين، والرديف والردف: هو التابع، قال الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثريا

أي تبعتها وسارت ورآءها، والعرب إذا حمل أحدهم صاحبه خلفه على الراحلة سماه رديفاً، والجماعة ردافاً، قال الشاعر:

أنافراً على الرحل وخلا الردف مطروحا
فيا قبحاً له فعلاً فما خلف مقبوحا

وقال الآخر:

وإنـي لتشـقى بـالردافى مطيتـي وبـالعقر تشـقى والمطـي سـليم

{وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ}، أي ما جعل نزول الملائكة لقتلهم، ولكن جعل نزولهم إلى الأرض بشرى لكم وأنساً وثباتاً لقلوبكم، {وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)}: أي وما النصر والغوث إلا من عند الله لكم، إذ لم تكونوا قادرين على ذلك بأنفسكم، لولا عون الله لكم وإحسانه بكم.

قوله {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ}: روي في الحديث أنهم لما التقوا فزع المسملون لقلتهم، ولما رأوا من كثرة المشركين وقوتهم، وعددهم وسلاحهم وسطوتهم، فأغشاهم الله بالنعاس ليذهب خوفهم، وجعله أمنة لهم، **والأمنة**: مأخوذة من الأمان، وسكون القلوب عند الفزع والاطمئنان، **والنعاس**: هو النوم.

روي في الخبر أنهم لما صبروا مع خوفهم ومعاينتهم لهلاكهم وتلفهم، مَنَّ الله عليهم بذلك النعاس رحمة لهم، ومكافأة منه على صبرهم.

فروي أن النعاس غشيهم حتى يسقط سيف أحدهم من يده أو قوسه، أو رمحه أو ترسه، لغلبة ما نزل بهم من النعاس، رحمة من الله عز وجل لمن أطاعه من الناس.

وقوله {وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (١١)}: روي أن الله عز وجل نزل عليهم مطراً خفيفاً ليطهرهم به من نجاسة الشيطان، ومقارنته وملابسة دخوله بينهم ورائحته، وليربط على قلوبهم ويثبتهم، ويخفف بالماء المبارك من ثقلهم، لما جعل الله فيه من الحكمة والرحمة لهم، والثبات لقلوبهم وأقدامهم، وذلك أن المطر إذا وقع بالأرض اللينة اشتدت، والتأم بعضها إلى بعض وقويت، واستمسكت بها الحوافر والأقدام وثبتت.

وروي أن الله أنزل على المشركين مطراً غزيراً وعثهم وأذهب نشاطهم ولبثهم.

ومعنى قوله: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ}: لما نزلت الملائكة صلوات الله عليهم ثبت المؤمنون بقربهم وبركتهم، واطمأنوا إلى بشارة الله لهم، ووعدهم الله وعداً

حقاً فشجعهم، فقال: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)}: يمكن أن يكون البنان: هو جميع الأجساد، ويمكن أن يكون هذا تنبيهاً من الله للمؤمنين على ضرب بنان الكافرين، لما كان عليهم من العدد والسلاح والدروع، حين لم تكن تعور غير الأصابع والرقاب، فأمر الله بضربها عند اللقاء والضرب، قال الشاعر:

ونعم فوارس الهيجاء قومي إذا علوا الأعنة بالبنان

أي الأنامل.

ومعنى قوله {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ (١٣)}: أي باينوا الله ورسوله بالمشاقة والخلاف، المقاطعة وقلة الإنصاف.

{ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ (١٤)}: أي ذلك العذاب والقتل فذوقوه، على سبيل التقريع والتوبيخ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥)}: أي إذا لقيتموهم سيراً ودبيباً للقتال، فلا تعطوهم الظهور مدبرين، ولكن سيروا إليهم زحفاً مقبلين.

قوله تعالى: {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)}: هذا من التقديم والتأخير، والمعنى: ومن يولهم يومئذ دبره فقد باء بغضب من الله، إلا متحرفاً لقتال، أو متحيزاً إلى فئة، أي من يولهم ويعطهم ظهره وآخره فقد باء بغضب من الله، فقد نزل وحل في غضب من الله.

وقيل: معنى باء بغضب من الله: أي رجع بغضب.

وقيل أيضاً: باء بغضب: أي احتمل، والأول أحسنهن، قال الشاعر:

أنكرتُ باطلها وبؤتُ بحقها عندي ولم يفخر عليّ كرامها

أي نزلت بحقها، وقيل: رجعت بحقها.

ثم استثنى عزوجل من تحرف للقتال مقبلاً ومدبراً، لأنه لا بد من ذلك، ولا لوم على من كان في القتال كذلك، أو متحيزاً إلى فئة: أي منهزماً محتازاً إلى جماعة يمتنع بها، ولا يريد الفرار والهزيمة عنها فليس بملوم في ذلك، لأنه أراد أن يمتنع بالمؤمنين، ويكثر جماعة المسلمين، وإنما ذم

الله من ينهزم عن القتال، زهداً في الجهاد ورهبة للنزال، وفراراً من جماعة المسلمين وخلافاً لذي الجلال، فأوعده الله على ذلك بالنكال.

ومعنى قوله عزوجل: **{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ}**: أي لم تقتلوهم أنتم بقوتكم، ولكن الله قتلهم بأيديكم، لما أعانكم على ذلك ونصركم، والعرب تستعمل ذلك وتقول على سبيل ما ذكرنا.

ومعنى قوله عزوجل **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى (١٧)}**: قال العالم صلوات الله عليه: ما رميت في قلوبهم بالرعب، ولكن الله رمى به في قلوبهم.

وقال ولده أبو عبد الله صلوات الله عليه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رمى في وجوههم بكف من حصى، ففرق الله ذلك التراب حتى أصاب أعيانهم، وكان ذلك من الله عز وجل.

وهذان وجهان متفقان وليس بخلاف؛ لأن الله قذف في قلوبهم الرعب والحصى والتراب، على وجوه جمة لا تخفى، وأسباب عزيزة لا تستقصى، ولم يحط بكل ما في القرآن أحد غير الله تعالى، وإنما يفسر الأئمة عليهم السلام ظاهر ما نزل، وبعض أسراره التي هي عندهم لا تجهل، وإذا سمع الجهال وجهاً من وجوه الكتاب قدروا وحسبوا أنه لا يحتمل غير ذلك الباب، وهو عندنا [يحتمل] ما لا يحصى من الأسباب، إذا ليس هو كغيره من الخطاب، فنسأل الله أن يوفقنا للصواب.

ثم قال عزوجل **{وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً}**: أي ليعطيهم من عنده عطاء حسناً، قال الشاعر:

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

{ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوَهِّنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٨)}: أي مضعف حيل المشركين، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

فالآن جدوا واجهدوا وتحرزوا فأنا المهّن كيد كل غُرامِ

ومعنى قوله: **{إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ}**: يريد إن تطلبوا فتح العذاب، فقد جاءكم لأنهم كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ائتنا بالعذاب إن كنت من الصادقين،

على سبيل التمرد منهم والتكذيب، فوبخهم الله تعالى وبكتهم، ثم قال: {وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ}: أي وإن تعودوا إلى عداوة الرسول عليه السلام نعد إلى عذابكم بالقتل والانتقام، {وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)}: أي ولا تنفعكم جماعتكم، ولا تدفع شيئاً من عذاب الله عنكم، والفئة: الجماعة، قال الله عزوجل {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ (٢٤٩)}[البقرة].

ومعنى قوله {وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)}: أي لا تدبروا عنه وأنتم تسمعون كلامه ومواعظه وآدابه، ولكن أقبلوا إليه إذا سمعتم حكمته وصوابه، واستمعوا قوله إذا تكلم وخطابه.

{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ (٢١)}: بقلوبهم ولا يقبلون، قال المرتضى لدين الله عليه السلام:

فإن تك غالتني لدى الروع محنة فلا عيب فيها عند من كان يسمع

أي عند من كان يسمع بقلبه ويعقل، ولم يرد سماع الآذان، لأن كثيراً من الجهال يسمع كما تسمع البهائم بآذانها، وهي لا تقبل ولا تفهم بقلوبها.

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ (٢٢)}: أي شر الناس عند الله، فمسى الناس دواباً لدبيبهم ومشيهم، وخطوهم على الأقدام وسيرهم، فقل ليس نعتها بالدبيب، وإنما أراد الله عزوجل أن شر الدواب عند الله الصم عن استماع الحق، البكم: الخرس عن الشهادة بالصدق، قال الشاعر:

أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد

وقال آخر في الأبكم الذي هو الأخرس الأعجم:

أصبح صوت عامر خفيا أبكم لا يكلم المطيا
وكان حداءً قراقريا

ومعنى قوله {الذين لا يعقلون}: أي لا يميزون بعقولهم، ولا ينتفعون بحجج الله التي في صدورهم، والعقل عقلان: عقل مولود، وعقل مكتسب:

فالعقل المولود: هو الفهم، والمكتسب: هو التمييز والأدب، فإذا جمعها الإنسان فقد كمل، وإذا انفرد بأحدهما فلم يكمل، وجاز القول بأنه لا يعقل، إذا لم يلزم بعقله الدين ولم يستعمل، والعقل إنما سمي عقلاً لأنه مشتق من اسم العقال، وهو الوثاق الوثيق من الحبال، الذي يتخذ لحبس الجمال، قال الشاعر:

يوثق عقلاً بعد ما يقيده ثم ينام والخطام في يده

ومعنى قوله عزوجل: **{وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)}**: أي لو علم فيهم خيراً لأطلعهم على اليقين، ولأسمعهم حقيقة ما أتى به من الحق المبين، ولو أسمعهم ذلك لأدبروا عنه مكابرين، ولتولوا عنه معرضين مجاهرين، وليس يريد في هذه الآية سماع الآذان؛ لأنهم قد سمعوا بآذانهم ولم يتفهموا، ولم يلتفتوا إليه فيعلموه، ولو تفهموه حتى تبينوه لما انتفعوا به أبداً ولا قبلوه؛ لأنا قد رأينا من الناس من يعرف الحق، ثم لا ينتفع، ولا يفلح أبداً مع فهمه ولا يرجع، فنسأل الله عالم الغيب والشهادة أن يعجل هلاكهم، وينصر دينه وأولياءه منهم.

ومعنى قوله **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ}**: أي استجيبوا له إذا ناداكم ودعاكم إلى حياة قلوبكم، وهذا ظاهر، والقرآن هو الذي يحيي القلوب من موتها، ويوقظها من وسنها ونومها.

ومعنى قوله عزوجل: **{وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)}**: هذا مثل مضروب لقرب الله من العباد، حتى أنه أقرب إليهم من قلوبهم، وأعلم وأخبر بهم بأنفسهم، ومعنى قوله يحول في اللغة: هو يستر بينهم وبين قلوبهم، حتى أنه أقرب إليهم من أقاربهم، قال الشاعر:

وحال من دون سلمى الحزن فاللوب

وقول الله عزوجل أصدق، إذ يقول فيما حكى عن نبيه نوح صلى الله عليه عند مخاطبته لولده **{يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا**، إلى قوله: **فَحَالَ بَيْنَهُمَا الموْجُ فَكَانَ مِنْ الْمُغْرَقِينَ}**، أي ستر الموج وحجز بينهما.

{وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)}: أي احذروا فتنة لا تقعن على الذين ظلموا خاصة، أي قاصدة لهم، نازلة بهم دون غيرهم، وكل شيء قصد من دون غيره فهو مخصوص عند العرب، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

ما زلت أمهلهم وأعرف فضلهم وأخصهم بالبشر والتقريب

ومعنى قوله عزوجل : أي بلوى ومحنة فتنكم الله بمحبتها، وابتلاكم بهواها وشهوتها، والعرب تقول: هذا رجل مفتون بحب أهله، أي مبتلى بذلك، قال الشاعر:

لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت سعيداً وأمسى قد قلى كل مسلم

ومعنى قوله عزوجل: **{إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)}**: أي يجعل كم فهماً وتوفيقاً تفرقون به بين عجائب الأمور، وتميزون به بين الخيرات والشرور.

ويمكن أيضاً: أن يكون أراد يجعل لكم فضلاً وجلالاً وجاهاً وقدراً، يفرق به بينكم وبين عدوكم، حتى يتبين للناس أمركم، ولا يخفى عليهم توفيق الله لكم، وخذلانه لمن عاداكم وخذلكم.

{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)}: يريد عزوجل بقوله: وإذ يمكربك: أي وإذ يحتال بك الذين كفروا فيك، ويستفزوا خيلهم وكيدهم عليك.

ومعنى ليثبتوك: أي ليحبسوك ويقتلوك ويخرجوك، والإثبات في اللغة: هو اللزوم والحبس والوثاق.

ومعنى قوله: ويمكر الله: هو يستر الله منهم أسراره [إليك]، ويخفي عنهم ما ينزل من الأخبار عليك، وإذا كان مكرهم إنما هو ما يسترون من الاحتيال، فاختيار الله لنبيه أخفى وألطف من جميع الأفعال، وقوله عزوجل أصدق المقال، ومكرهم قولهم في ذات بينهم، ومكر الله قوله لنبيه: إنهم يريدون كذا وكذا فاحترز منهم، واحذرهم في موضع فلان، واجتنب واحتل بكذا وكذا من الصدق لتنجوا منهم؛ لأن أولياء الله لا يحتالون بالمحال، ولا يحتالون بالكذب في شيء من الأفعال، ولكن حيلهم بأصدق المقال، فكان ذلك مكراً من الله بلا ضمير، وحيلاً من الرحمن بعجائب التدبير، والهلاك لأعدائه والتدمير، وقد وصل إلينا والحمد لله من مكر الله

أسباب عجيبة، وأسرار عظيمة هائلة مهيلة، واغتيال لأعداء الله ومكر وحيلة، فنحمد الله على ذلك حمداً كثيراً، والله أكبر كبيراً.

{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}: أي ما كان الله ليعذبهم لو كنت فيهم ومعهم، وما كان الله ليعذبهم لو استغفروا ربهم، فأما حين أخرجوك ولم يستغفروا فما لهم لا يعذبون؟! ولِمَ يتركون ولا يعاقبون وهم يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام؟!، **{وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ}**: أي ما هم أهل المسجد، ولكن أهله أصحابه المتقون، لأن الله لم يجعله للمشركين، وإنما جعله لأوليائه المسلمين.

ثم قال عزوجل: **{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٣٤)}**: يريد أن أكثرهم عماةٌ جاهلون يتخبطون في جهلهم، ويعسفون ويكابرون فيما لا يعرفون، ولا يستعملون عقولهم ولا ينصفون.

{وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً (٣٥)}: أي ما كان له صلاة عند البيت، ولكن مكاء وتصدية؛ لأن الصلاة لا تكون مُكَاء ولا تصدية، وإنما هذا من الاختصار والإيجاز وترك التطويل، كما قال الشاعر:

لا عيبَ فيها غير أنها تَثِبْ ... وتلك فيها خصلة مما أحب

والوثب لا يكون عيباً عند الفرسان، وإنما أراد لا عيب فيها، غير أنها تثب.

والتصدية: هي التصفيق بلغة أهل الحجاز، وهي الوقح بلغة أهل اليمن، يقولون أوقح بكفيه يوقح وقحاً، وأهل الحجاز يقولون صفق بيديه يصفق تصفيقاً، قال الشاعر:

نقوم إلى الصلاة إذا دعينا ... وهمكم التصدي والمكاءُ

أي همكم الوقح والصفير واللعب، قال الشاعر:

ضقت بحد وحلت عن حد ... وأنا من غرو الهوى أصدى

أي وأنا من ملازمة الهوى أصفق وأوقح.

والمكاء: هو الصفير، وهو صوت يتولد من النسمة والفم، يفعله السفهاء للعب، وتنفِّرُ به الحماة الطير عن الزرع، وتلاها به الخيل عند شرب الماء، قال الشاعر [هو عنترة بن شداد في معلقته]:

وحليل غانية تركت مجدلاً ... تمكو فريصته كشدق الأعلم

أي تصفر طعنته كشدق الأعلم.

وقيل: إن الطائر الذي يدعا المكاء، إنما سمي مَكَّاء لصفيره، وهو طائر صغير يكون في الرياض له صوت حسن، قال الشاعر[1]:

لعمري لأصوات المكاكي بالضحى يغردن في مغدودق النبت غاربه

أحب إلينا من دجاج بقرية تغرد بالأسحار حمر ذوائبه

ومعنى قوله عزوجل **{ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً}**: أي ندامة في القلوب، وانقطاعاً وفترة.

ومعنى قوله عزوجل **{لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}**: أي ليعزل الله ويفصل الخبيث من الطيب، ويفرق بين المؤمن والكافر، **{وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)}**: **معنى يركمه**: يجمعه ويرادفه، قال الشاعر:

والقينة الطفلة الحوراء زينها جيد ونحر عليه الدر مركوم

أي بعضه على بعض.

ومعنى قوله عزوجل **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ (٣٩)}**: أي قاتلوهم حتى لا تكون ضلالة، **{وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه}**: أي خالصاً لا شرك فيه.

{وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ (٤١)}: أي ما كسبتم من شيء في الحروب والقتال، والمعادن، وما كان مثلها من الأموال والغنيمة والمكتسب في الحرب وغيرها، قال الشاعر:

وقائلة جاها ابنها بغنية ولولا أني أُخرى لم تفدها الغنائم

---

[1] ذكر في غريب الحديث نحو هذه الأبيات للغطمش الضبي، وهي هكذا:

لعمري لأصوات المكاكي بالضحى وشحم تنادي بالعشي نواعبه

أحب إلينا من فراريج قرية صغار ومن ديك تنوس غباغبه

{ومعنى قوله: **فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ** وللرسول ولذي لبقربى واليتامى والمساكين، وابن السبيل}: هذا خاص لآل محمد صلى الله عليه وعلى آله وقراباته، ويتامى أهل البيت ومساكينهم وابن سبيلهم، وإنما يكون ذلك لمن تبع إمام الحق منهم.

وسهم الرسول فهو للإمام، وسهم الله عزوجل فهو سبيله، يصرفه الإمام كما يصرف غيره، والخمس يؤخذ من رأس الغنيمة، ثم تقسم على ستة أجزاء، وذلك معروف موجود في كتاب الأحكام للهادي إلى الحق أمير المؤمنين عليه السلام.

وقوله تعالى: **{إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ}** أي أخرجوا الخمس من الغنائم إن كنتم آمنتم بالله، **{وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا}** وبما أنزلت على عبدي، فخاطب عن نفسه باسم الجماعة، وهو جائز عند العرب، يقول الرئيس منهم: قد أمرنا العسكر، وفعلنا كذا وكذا، وإنما يريد نفسه فقط.

ومعنى قوله **{يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ}**: يوم بدر يوم فرق الله عز وجل بين أوليائه وأعدائه، وفرق بين الحق والباطل بالنصر للقليل المستضعفين، على الكثير الفرسان المستظهرين، وهو فرق بَيِّنٌ عند من يعقل، أن يكون ثلاثمائة رجل وثلاثة عشر رجلاً أكثرهم رجالة أرثاث السلاح، قهروا أكثر من ألف رجل معدين، أكثرهم فرسان أبطال عند البأس، لم يقهرهم قط في علمنا أحد من الناس، فقتل كثير منهم، وأخذ جماعة منهم مأسورين مربطين بالحبال، وسلم نفر منهم هاربين.

ومعنى قوله **{إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ}**: أي إذ أنتم بعدوة الوادي، وهي جانبه، وهم بجانبه الأقصى، والركب أسفل منكم، أي قد فاتكم، والركب هو العير الذي أتى من الشام.

{وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ}: أي لما اتفقتم في اللقاء كذلك، ولما تواجهنم في الموعد على ذلك، **{وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً}**: أي ولكنه قضى ذلك بالأمر لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالمسر والخروج، لا بالجبر، ولا بما يدعي المشبهون من قضاء الحتم والقسر.

ومعنى قوله {أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً}: أي أنه عزوجل قضى الأمر ونزله، وأوصله إلى رسوله وفعله.

{لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ (٤٢)}: ليس يريد هلاك القتل، ولا حياة القتال، وإنما أراد بذلك أنه قضى الأمر لنبيه صلى الله عليه وآله، وأخبرهم بالنصر والظفر قبل كونه ليكون ذلك دلالة ومعجزة، ويهلك بعدها من هلك من الناس في الدين على بيان، ومكابرة للمعقول والعيان، ويحيا ويهتدي من حي واهتدى، وسلم بتلك البينة من العناء والردى.

{إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣)}: يريد تعالى أنه أطلع [نبيه] في المنام على المشركين وقللهم في عينه، ليجتري عليهم وينبسط في القتال والمسير إليهم، ولو كثرهم في عينه لأخبر أصحابه، ولو أخبرهم لفشلوا وتنازعوا، وامتروا وتخاصموا، واختلفوا وكثرت آراؤهم، ولم يأتلفوا، هذا معنى قوله {لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ}، ولكنه اختصر.

وقد زعم بعض الناس: أن معنى الآية لفشلت يا محمد، فإذا رأوا في وجهك الفشل فشلوا، وهذا غلط ممن قال به من الجهال، لأن رسول الله لم يكن ليفشل ولا يهترج، بعد أن بشره الله بالنصر والفرج، والله يقول لفشلتم، يعني جماعة المسلمين، ولم يقل لفشلت يا محمد، والفشل هو الجبن والهرج بلغة اليمن، حتى لا يثبت له فعل، ويضل عقله ويختبل، حتى لا درك مراده ولا يعقل، ورسول الله صلى الله عليه وآله بعيد من ذلك، ولو ذهب رأسه، وأدحضت في الجهاد نفسه، لأنه أشجع ولد آدم كلهم بقدر يقينه، ومعرفته بالله ودينه، لا ينكر ذلك إلا ضعيف العلم، جاهل مختبل كهام الحلم.

{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً} أي لتجترؤا على قتالهم، {وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} لئلا ينهزموا، ولا يهربوا منكم قبل القتال فيسلموا، {لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً (٤٤)}: أي ليقطع الله آجالهم وينصركم عليهم.

ويحتمل أيضاً: ما قدمناه من قضاء الله الأمر بقتلهم، والله أعلم، وكلاهما حسن لا يخرج من العدل، ولا يتعدى ما أمر الله به أولياءه من الفعل، والجهاد لأعدائه في القتال والقتل.

{وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٤٤)}: أي ترد الأسباب كلها يوم الدين، حتى يثبت من فعلها بالحق المبين، ويجازي من عملها من أهل الشرك وأهل اليقين.

{وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)}: أي لا تختلفوا في آرائكم فتنهزموا وتجبنوا، ويذهب نشاطكم وطربكم وارتياحكم، والريح هاهنا هي البساط والخفة والارتياح، قال الشاعر:

إذا ذُكِرَتْ يرتاح قلبي لذكرها

أي يبسط ويطرب ويخف لذكرها وحبها، والارتياح والروح: مأخوذ من الريح وخفتها وطيبها، وترويحها للأبدان عند هبيبها.

وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)}: الصبر: هو الحبس للنفس على مكروهها.

{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)}: أي لا تعتقدوا في جهادكم النفاق للناس والأشر واللعب، ولكن اعتقدوا في ذلك مغفرة الله والطاعة له، والمصير إلى أمره؛ لأن من الناس من لا يجاهد إلا للسمعة، وهو كافر بالله فنهى عن ذلك سبحانه.

{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)}: هذا الشيطان الذي ذكره الله هو شيطان من الناس، والله أعلم، وهو رجل من المنافقين كان يمنيهم ويقول لهم: أنتم يا معشر قريش أشجع العرب اليوم وأنجدها، وأعظمها قتالاً وبأساً وأشدها، وأنا لكم جار أجيركم وأمنعكم، وأكون لكم صاحباً وأطيعكم، فلما تناظرت الجماعتان ورأى كلٌّ صاحبه، كما قال الله عزوجل {فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ}، أي رجع منهزماً، [ولم يسر] في الجهاد والقتال قدماً، وأظهر لهم بزعمه توبة وندماً، لما جبن عن القتال وسفك الدما، والنكص هو الرجوع على العقبين مدبراً، قال الهادي إلى الحق عليه السلام:

إذا رُعب الشجاع من العوالي وهمّ من المخافة بانتكاص

ومعنى قول الشيطان {إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ}: يريد أنه حدث له رأي من التوبة لم يروه بعد، يريد أن يتعلل بذلك لما جبن من القتال، وأظهر لهم أنه خائف لله ذي الجلال، وهذا دليل على نفاقه لإخوانه الأنذال.

ومعنى قوله عزوجل {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ }: يريدون أن دين رسول الله وأصحابه قد أهلكهم وخدعهم، في يوم بدر حتى أوقعهم، وحسبوا أن قريشاً تغلبهم، ويأسوا حينئذ من سلامة المؤمنين بجهلهم، فرد الله عليهم عزوجل، وأكذبهم في ظنهم فقال: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)}، يريد عزوجل أن من توكل عليه، وسلم جميع أموره إليه، فهو يختار له أفضل ما لديه، إذ طرح نفسه إلى الله وفي يديه.

{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠)}: أي لو تراهم يومئذ لتعجبت منهم، قال الشاعر:

لو تراني إذا حصرت برحلي

أي لعجبت من ذلك، ولكنه اختصر.

ومعنى توفي الملائكة لهم: هو جمعهم في النار كلهم، وعند ذلك يضربون بمقامع الحديد وجوههم وأدبارهم.

والتوفي عند العرب: هو أخذ الشيء على الوفاء، ولا ينقص منه شيء أصلاً، قال الشاعر:

ولا توفاهم قريش في العدد

أي لا تعد جميعهم، ولا يوفون العدد بهم.

وتحتمل الآية وجهاً آخر: أن تضربهم الملائكة عند قبض أرواحهم، وتوفى جميع أنفسهم.

ثم قال عزوجل {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١)}: فدل بهذه الآية على عدله وإحسانه، وأنه ليس يعذب أحداً من خلقه إلا بما قدمت يداه من كسبه، فقال بما قدمت أيديكم، ولم يقل بقضائي وقدري عليكم، ولكن المشبهة أبت إلا التمادي في ضلالها، والتعلق على الله بجهلها وخبالها.

ومعنى قوله عزوجل {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ (٥٢)}: أي مثل عادة آل فرعون وأشراعهم، وحرصهم في الكفر وضلالهم، قال الشاعر:

كدأبك من أم الحويرث قبلها

أي كعادتك منها، والدأب: هو الشيء المتتابع الذي لا يفتر.

ومعنى قوله {ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ (٥٦)}: أي ينقضون ذمامهم بالغدر في كل وقت عادتهم فيه.

{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ}: أي فإن تظفر بهم في الحرب، وما زينة وصلة للكلام، وذهبت النون والميم بالإدغام، قال الشاعر:

فإمـــا تـــثقفن بنـــي لـــؤي خزيمـــــة إن قـــــتلهم دواء

ومعنى قوله {فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)}: أي فاطرد بهم مَن ورائهم من أشباههم وأمثالهم، قال الشاعر:

أدور فـــي الأبـــاطح كـــل يـــوم مخافـــة أن يشـــردني حكـــيم

أي مخافة أن ينكل بي قوم آخرون.

{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ (٥٨)}: يريد إن خفت من قوم عداوة فآذنهم بالحرب وأرسل إليهم.

ومعنى {عَلَى سَوَاءٍ}: أي على أمر بين لا يخفى، وعدل قيم لا عوج فيه عن الحق والهدى، ليكون الإعلام لهم بذلك حجة عليهم لله إن لم يتوبوا على خيانتهم.

{وَلاَ تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ (٥٩)}: ومعنى هذا الخطاب لغير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه لا يحسب أن المشركين يسبقون أمر رب العالمين، ولا يظن ذلك إلا فاسق من الكافرين، ثم قال عزوجل موعد للفساق {إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ (٥٩)}: أي لا يمتنعون من الله ولا يقدرون.

ثم قال منبهاً للمسلمين، وموقضاً لهم من غفلة الغافلين، وركاكة التفريط وجهل الجاهلين: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}: أي ما قدرتم عليه من عدة {وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ

عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ} أي تخيفون بذلك أعداء الله وأعداءكم، لأن الخيل أعظم الأشياء هيبة في صدور الناس، وأشدها رهبة وفرقاً عند الباس، فأمر الله أولياءه بها للتفرس والحركة عليها، لأنه لا يرضى للمؤمنين، ولا يريد لعباده الموقنين بالركاكة والضعف والهوان، والتواني والتفريط في طلب الأمان، والدخول بإخافة الظالمين في الجنان، والتقرب إلى الله الواحد الرحمن، مع ما في النفوس على ظهور الجياد من السلامة لأولياء الله من العباد، وقتل أعداء الله أهل الظلم والفساد، والعز والمنعة والسطوة في الجهاد، والقدرة على تلف ذو العناد، وقمع أهل الكفر بالله والإلحاد، ثم قال عزوجل: **{وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ}**: يريد عزوجل أن ثم آخرين [من] الخونة الكفرة الفاسقين، الظلمة الأنجاس المنافقين، من دون قريش في المباينة والإظهار، لأنهم لم يقدروا على الرفع للحق والإنكار، وستروا أنفسم خوفاً من القتل بالتملق والنفاق للمؤمنين بالأخلاق، وهم مع تخلفهم أفسق الفساق، فمن هاهنا لم يعلم بهم أحد من المسلمين، هم في علم الله من أخسر المجرمين، وكم كافر ستر كفره مثلهم، ويفعل من النفاق والمداراة فعلهم، فليتق الله ويله، ولا يغتر بستر الله عليه، وينافر نفسه وينظر ما لديه، ويستحي من الله ويتوب إليه، فقد أبلغت في نصيحته إن عقل، واستحق عند الله العقوبة إن غفل، ولا يأمن له الويل إن هتك الله ستره، وبين لعباده المؤمنين أمره، ثم لا يأمن الله أن يحل به النقم، ويزيل عنه ما أولاه من النعم، **{وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ** (٦٠)**}**، أي يوف إليكم أمره ولا ينقص.

ومعنى قوله عزوجل **{وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}**: يريد إن مالوا إلى طلب الهدنة والسلامة فمل إلى ذلك، قال الشاعر:

فإن تنأ ليلى بعد قرب وتنتقل بها مجنح الأيام أو مستقيمها

ومعنى مجنح الأيام: أي ما يليها، وقيل إن الإجناح: هو الإقبال عن الشيء، قال الشاعر:

جنوح الهالكين على يديه

ومعنى قوله : يريد عزوجل أنه ألف بين أوليائه بدين الإسلام، إذ لا تجتمع ولا تواد قلوب الأنام على شيء، كما تجتمع وتواد على الإيمان.

ومعنى قوله عزوجل **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤)}**: أي يكفيك الله ويُحْسِبُك هو ومن اتبعك من الموقنين، ويعنونك عن غيرهم من الخونة الكافرين.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ}: أي حثهم وحضهم حضاً عن النزال، وقتل أعداء الله الكفرة الأنذال، **{إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (٦٥)}**: أي بأنهم قوم لا يتفقهون في الدين ، ولا يوقنون بالله حق اليقين، فلذلك حلّ قتلهم للمؤمنين، بين يدي رسول رب العالمين، وهذا الكلام منسوخ من الله، لأن الله فرض الجهاد على رسوله وعلى المؤمنين في أول ما فرض على ما ذكر من قوله {إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين}، ثم نسخ ذلك بقوله عز وجل: **{الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ}** أي بأمر الله وإحلاله لذلك **{وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)}**: فيجب على الإمام إذا وجد من الأعوان المحقين، مثل ثلث العدو المحاربين، المباينين له دون غيرهم المنابذين، أن يجاهدوا أعداء الله الكافرين، ثم رجع إلى معاتبة نبيه صلى الله عليه وآله عتاب تنبيه ودلالة على قتل المشركين، لا عتاب غضب على الطاهر الأمين، فقال: **{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ}**: أي ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يذل أعداء الله ويوجعهم بالقتل والجراح، ولا يخاف هو القتل والإذلال والإيجاع، قال الهادي إلى الحق عليه السلام:

وقدَ اثخنت عند ذاك عداتي فهم في الهوان قتلى وأسرى

يريد أوجعت أعدائي وأذللتهم، والعرب تقول: أثخنه المرض، أي صرعه وأذله بالتعب وأوجعه، والأسرى: هم المأسورون والمشددون بالوثاق المأطورون.

ومعنى {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧)}: أي تريدون يا معشر المسلمين بأسركم وربطكم للمشركين أن يفتدوا أنفسهم منكم بشيء من عرض الدنيا وحطامها، ومتاع قصير أيامها، والله يريد بكم الآخرة بقتل الكافرين، وقطع آجال الظلمة الفاسقين.

ثم قال عزوجل أحكم الحاكمين، وأعظم العظماء وأرحم الراحمين، مخبراً عن رحمته لعباده الخاطئين: {لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)}: أي لولا وعده بالعفو عنكم في الخطأ لعذبكم، ولو تعمدتم خلافه في ذلك لعاقبكم فيما أخذتم من الفدية وتركهم وسلامتهم من القتل وتخليتهم.

ثم قال عزوجل: {فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٠)}: يريد تعالى إن علم في قلوبهم نصحاً وتوبة، ورجعة إليه وإنابة، فهو يخلف لهم خيراً مما أخذ المؤمنون من أموالهم، وافتدوا به أنفسهم من حطامهم.

{وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)}: يريد أنهم إن يريدوا خيانتك وهي الخديعة والغش والكذب وقلة النصح فقد خانوا الله من قبل: أي فقد كذبوا ولم ينصحوا في أنفسهم، {فأمكن منهم} أي فأقدر نبيه عليهم، قال الشاعر:

قد أمكن العدو لمن يعدوا وهمّ

أي قد سهل وقدر عليه من همّ به وأراده وعزم.

{وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ} يعني الأنصار.

ومعنى آووا: أي قربوا المؤمنين ونزلوهم وجعلوهم في منازلهم وأحلوهم.

ومعنى نصروا: أي أعانوا ولم يخذلوا، قال الشاعر:

فما أنصر النهدي لا در دره وأزجره للطير لا عز ناصر

يريد لا أعز الله من أعانه.

ومعنى قوله {أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ}: أولئك: خبرك للواحد عن قوم آخرين، قال الشاعر:

أولئك قومي أطمئن إليهم

يريد هم قومي.

والأولياء: هم المتناصرون والإخوة والقرابة المتبارُّون، فجعل الله سبحاه أولياءه وأنصاره بعضهم أولياء بعض، وآخى بينهم، وجعل ولايتهم أوكد من قرابة النسب إليهم، وأوجب ذلك إيجاباً، وفرضه عليهم، قال الشاعر:

بسم الذي ليس له سميُّ ولا لنا من دونه وَلِيُّ

يريد أنه لا ولي غيره يلي أمورنا ويعيننا، ويكون ناصراً وحبيباً لنا.

{وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ}: أي ما لكم من إخائهم ومحبتهم من شيء، ولا لكم منهم حبيب ولا أخ ولا ولي، لأنهم أقروا بألسنتهم ولم يعملوا، وتركوا ما أوجب الله عليهم، إذ لم ينتقلوا واستخفوا بأمر الهجرة وعطلوا، وهم مع ذلك قد أقروا وقبلوا لولايتهم لبعض الواجبات لم يفعلوا، ولو كانوا مضطرين لعذرهم الله وتولاهم، ولكنهم متعمدون لمعصية مولاهم.

ثم قال عزوجل **{وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ (٧٢)}**: يريد إن استعانوكم على الدين، وعلى الخروج، فعليكم النصر لهم على أمرهم، والعون على طاعة ربهم، إلا أن يكونوا طلبوا منكم القتال والنصر على قوم بينكم وبينهم ميثاق، فليس ذلك بواجب عليكم، حتى يتوبوا إلى الله ويكونوا منكم.

قوله تعالى: **{وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)}**: يريد أنكم [إن لم تفعلوا] يعني الولاء والبراء تكن في الأرض فتنة وعداوة وفساد، فقامت إلا مقام إن لم.

{وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ}: أي ذوو الأرحام بعضهم أولى بميراث بعض في حكم الله وكتابه.

{إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)}: وهذه الآية ناسخة لموارث المتحالفين، كانوا يتواخون ويتوارثون، ويتحالفون على ذلك ويتناصرون.

الجزء الثالث

من الغريب في تفسير القرآن

تفسير غريب سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

تأويل قول سيدنا ومولانا الجليل **{فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ (٢)}**، أي لا يكن في صدرك ضيق منه واصبر عليه وعلى حفظه.

ومعنى قوله: **{بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ (٤)}**، أي ليلاً وهم بائتون، أو نهاراً وهم من الحر مستظلون، ومن لهب النار قائلون، وقال الشاعر:

إِنْ قِيلَ قِيلُوا فَوقَ أَرْجُلِهَا أَوْ عَرِّسُوا فَالدُّمَيلُ والخَبَبُ

{فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ (٥)} أي ما كانت لهم دعوى ولا حجه ولا علة، إلا أن أقروا بظلمهم وقالوا إنا كنا ظالمين.

{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ (٦)} يعني الذين أرسل إليهم الأنبياء، ولكنه اختصر، وسؤال الله لهم سؤال تبكيت وتهديد وتوقيف، لا سؤال جهل ولا حاجة إلى تعريف.

{وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦)}، أي سُؤال إشهاد على الظالمين، أليس قد أرسلناكم إليهم فخالفوكم، ونابذوكم في طاعتنا وقتلوكم وآذوكم، وفي البر والتقوى وحاربوكم، ولم يقبلوا قولكم ولم ينصفوكم، بل كابروا عقولهم فكذبوكم.

ومعنى قوله: **{قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ(١٠)}**، أي ثناؤكم على الله قليل، وطاعتكم قليلة فيما تعملون.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ (١١)}: هذا من التقديم والتأخير، لأنهم لم يخلقوا قبل آدم، ولم يصوروا، **والمعنى في ذلك**: ولقد قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ثم خلقناكم، ثم صورناكم، فلما فرغ من التقديم والتأخير رجع إلى تمام الخبر عن السجود، وهكذا جعل الله القرآن فيه عجائب يعجز أكثر الناس عنها وعن تفسيرها، وهذا الذي ذكرنا فإنما هو من أيسر تفسيرها، فكيف بِجَمَّةِ أغوارها وكبيرها، وإنما جعله الله كذلك ليبين التفاضل بين أوليائه، ويفرق بينهم على الجملة وبين أعدائه، ولو جعله الله مبيناً كله لتناولوه، ولسَهُل عليهم وتأولوه، حتى لا يفرق بين فاضلهم [فيه ولا مفضولهم]، ولا يتبين فضل عالمهم على جاهلهم.

ومعنى قوله عز وجل: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ (١٢)}، أي ما منعك أن تسجد، وسواء قال أن وأن لا، وهو سواء عند العرب في المعنى.

{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا (١٣)}: قيل: إنه كان في السماء، فأمره بالهبوط منها.

وقيل: إنه كان مع الملائكة، وهو جني ولكنه معها.

وأحسبُ -والله أعلم- أنه لما كان رئيس الجن ووجهها، أهبطه الله لمعصيته عن الرئاسة ونحاه عنها، وجعله جنياً بعد الرياسة لما تكبر فيها، وأخرجه من العرافة وأبعده منها، فأما السماء فما أحسب أنه كان فيها ولا في الملائكة قط ولا معها، لأنه من سكان الأهوية وأصحابها، وهذا أحسن ما أرى في معنى الآية وتفسيرها.

ويمكن -والله أعلم- أن يكون الله أخرجه من رحمته لما عصاه، وأبعده لمعصيته ونحاه، ولم يكن في الملائكة، ولكن هذا من الإختصار، وهو أنه أراد فسجد الملائكة والجن إلا إبليس، ولكنه اختصر، ولم يذكر سجود الجن كما اختصر في غير ذلك، مثل قوله عز وجل {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[البقرة/٣٧]، ولم يذكر توبه حَوَّاءَ في هذا الموضع، لأنه اكتفى بذكر آدم لما كانت حواء تابعة له، ولعلم الناس أيضاً بأن آدم لا يغشى وهو على غير التوبة، فلبيان ذلك لم يطول في هذا الخبر، ولكنه ذكر توبتها في موضع آخر حين يقول {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا}.

ومعنى قوله عز وجل {قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥)}: أي من الجن المعمرين، المتروكين من الموت إلى النفخة الأولة يوم يبعثون.

{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي (١٦)} أي كما أغويتني، وبوعيدك لي بالغي، الذي هو العذاب فقامت بما مقام كما.

{لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(١٦)} أي دون صراطك المستقيم حتى أصرف عنه، ولكنه حذف (دون) اختصاراً، وإيجازاً في الكلام وإضماراً.

{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا (١٨)}، أي مذموماً مبعداً مدفوعاً، قال الشاعر:

لا ولا متغيـــــــاً بالـــــــذَّام

ومعنا قوله: {فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ(١٩)}، أي لا تقربا شجرة، قد سماها لهما، وتعبدهما بتحريمها.

وقيل: إنها شجرة البر، وهي الحنطة والقمح في لغة الحجاز.

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا (٢٠)}، أي ما ستر عنهما من سوء فعالهما، وقد زعم بعض الجهال فيما بلغنا -والله أعلم- أنه قال: إنما أراد إبليس أن يظهر لهما ما ستر الله من مواضع النكاح، وهذا كلام عَيٍّ جاهلٍ عن البيان والإيضاح.

وقال: {وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)}، أي خدعهما، وقال ليس هذه الشجرة هي المحرمة فكُلَاها لتكونا ملكين، فقامت أن مقام لام الأفعال المستقبلية، ولكنه اختصر وأراد أن لا صلة للكلام[1].

{أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} يريد: وتكونا من الخالدين، ولكن أو قامت مقام الواو.

ومعنى قوله: {تَكُونَا مَلَكَيْنِ}، أي ملكين من الملوك، وأصل الملك: هو الرفعة والعز، وبه سميت الملائكة ملائكة، ثم فرق بينهم وبين الملوك بنصب اللام من اسم الملك من الملائكة، وبكسر اللام في اسم الملك من ملوك الدنيا، ثم صار ذلك مشهوراً، فإن رد إلى أصله لم يعرفه إلا القليل.

وتفسير ذلك مثل قول الله عز وجل: {وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ}، فظن الجهال أن الله عنا ملكين من الملائكة، وإنما عنا في قولنا وقول أئمتنا صلوات الله عليهم مَلِكين من ملوك الدنيا كانا ببابل، ولكنه رد الاسم إلى أصله من قول القائل ملك يملك ملكاً فهو مالك ومَلِك، وأصل المِلك -بكسر اللام-: وهو المالك للشيء، ولكن الألف حذفت فصار ملكاً، وأصل المَلَك -بنصب اللام- هو من قولك ملَك شيئاً ما فهو يملكه ملكاً.

---

(١) في (أ) وزاد إلا.

وقيل: أيضاً إن الملائكة صلوات الله عليهم إنما سموا بالملائكة اشتقاقاً من المألكة، وهي الرسالة في لغة العرب، والله أعلم، غير أن القول الأول أجودهما، ألا ترى أنه لو كان الملك من الملائكة عليهم السلام لا يسمى ملكاً حتى يكون رسولاً، لكان ملكا بابل رسولين، وهذا محال، وهو لعمري في اللغة معروف، غير أن القول الأول أحسنهما.

والمألكة هي الرسالة:، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

أبلغ بني حسن الأخيار مألكة من ناصح لهم ذي منطق ذَرِبِ

واختلف الناس في معصية آدم وحواء: فقال بعضهم عصيا الله عمداً، فيما بلغنا عنهم، والله أعلم.

وبلغني بأنهم احتجوا بأنهم قالوا[1]: لو نسي أحد فأفطر في رمضان لما استحق لوماً، ولما قيل عصى ربه، ولا أساء، فاسمعوا ما نقول إن شاء الله وافهموه، واحفظوا ما نلقي إليكم وتبينوه، واعلموا أن الله عز وجل لم يذكر خطأ ولا عمداً، وليس هنالك غيرهما، وسنبين إن شاء الله أمرهما، [ونشرح لكم خبرهما]، وما الذي عتب الله عليهما.

وذلك: أن الله عز وجل امتحنهما ليثيبهما على صبرهما، فحرم شجرة البر عليهما، وأحل الشعير وأطلقه لهما، فكانا يأكلان من ورق الشعير فيما بلغنا، فلما أسبل الشعير والبر وخرج ثمرهما اشتبها على آدم عليه السلام ولم يفرق بينهما، فتحير ووقف عنهما، حتى جاء عدو الله إبليس إليهما فوجدهما واقفين عنهما حين اشتبهتا الشجرتان، ولم يتبينا لهما، فقال: مالكما واقفين عن شجرتكما، [وإنما هي الشعير] الذي أحل الله لكما، يريد اللعين أن يمكربهما، ويوقعهما فيما حرم الله عليهما، ثم حلف [بالله] عند ذلك جهد يمينه لهما، وأقسم بالله العظيم، وقاسمهما إنه لمن الناصحين لهما، فأوقعهما بقسمه ودلاهما، فظنا وتوهما عند ذلك - لسلامة قلوبهما، وكرم طباعهما، وطيب ناحيتهما، وخوفهما لله عز وجل ونصيحتهما، وإجلالهما لله العظيم ومحبتهما- أنه لا يجتري على القسم بالله كاذباً، وكان الإحتراز من عدو الله عليهما واجباً، فتعمدا أكل الشجرة وصدقاه، وتقحما بالظن وحسبا قوله حقاً، ولم يتعمدا

---

(1) في (أ): وبلغني أنهم احتجوا بأن قالوا.

مقاطعة الله تبارك وتعالى ولم يقصدا ذلك، ولم يريداه أصلاً، وإنما عتب الله عليهما في تقحمهما على الشبهة وعجلتهما، وعتب أيضاً تصديقهما لعدوهما وركونهما إليه وتأولهما، وما أظن -والله أعلم- إلا أن ذلك في وقت غرتهما، ودخولهما في التعلم وصغر سنهما، وفي أوان تكليفهما وتعبدهما، وعلى كل حال فلم يكن ينبغي لهما، فنسأل الله أن يغفر لنا ولهما، وأن يرحمنا من النار وإياهما، وطباعنا غير بعيدة من طباعهما، إلا أن يرحمنا الله كما رحمهما، وإنما قص عز وجل خبرهما وخبر إبليس اللعين عدوهما لينبه عباده المؤمنين على الحذر من أعدائهم، وأن لا يقبلوا من هؤلاء المنافقين جهد أيمانهم[1]، وإظهارهم للتنسك واحتيالهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ (٢٢)}** أي أوقعهما بالخديعة والمكر والزور.

{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ (٢٢)} هذا عند أمره لهما بالخروج من الجنة والهبوط منها، ولكنه اختصر، وأتم بعد ذلك الخبر.

ومعنى طفقا: أي جعلا وعلقا، وقال الشاعر:

طفقت تلوم ولات حين ملام

ومعنى يخصفان: أي يفصلان من ورق الجنة ما يظلهما، ويقيهما حر الشمس ويسترهما.

{وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا (٢٢)} أي دعاهما، إما بكلام أوصله لهما، وإما أرسل به إليهما: **{أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)}** فتاب الله عز وجل عليهما، ودل بذلك على توبتهما صلوات الله ورحمته وبركاته عليهما.

{قَالَ اهْبِطُواْ(٢٤)} أي انزلوا من الجنة، وهي جنة من جنان الدنيا، ولكن العرب تسمي ألفاف الشجر جنان، وتقول العرب: هبطنا الروحاء ونجران، وهبطنا وادي ترج وغير ذلك من الأودية والقرى.

---

(1) ويدل عليه قوله تعالى من بعد {يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة}، والله أعلم. انتهى من هامش النسخة (أ).

ثم ابتدأ الخبر عن ذريتهما فقال: {بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ (٢٤)} يريد بذلك أن أولياء الله منهم أعداء للكافرين، وأعداء الله الكافرون أعداء للمسلمين.

ومعنى قوله: {لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ (٢٦)} يعني اللحاف، والثياب التي تستر عورات النساء والرجال، {وَرِيْشاً} الريش هو اللباس، وقيل: هو المال، وكلاهما ريش عند العرب في المقال، قال الشاعر:

فَرِشْنِي بِخَيرٍ طَالَ مَا قَدْ ... وخير الموالي من يريش ولا يبري

يريد أن خير الموالي من يغني ولا يفقر.

{وَلِبَاسَ التَّقْوَىَ (٢٦)} [عطفاً على قوله قد أنزلنا عليكم ريشاً][1]، ولباس التقوى، هذا الذي أنزله الله وجعله لباساً يستر عورات الكفر والفسوق، ويستر قبائحهم فيه بواجبات الحقوق، وأمرهم فيه بالحياء من الإفحاش، فسترهم بذلك كما سترهم بالرياش.

ثم قال: {ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ (٢٦)} [أي ذلك خير من لباس الأبدان، وأما قوله: من آيات الله][2]: فهو من دلائل الرحمن، وقال الشاعر في مثل ذلك:

إني كأني أرى من لا حياء له ... ولا أمانة وسط القوم عريانا

{يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ (٢٧)} أي لا يضلنكم، على سبيل التحذير لهم.

ومعنى قوله: {يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا (٢٧)} أي دينهما، {لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا (٢٧)} أي خطيآتهما، والعرب تسمي الفعل القبيح عورة وسَوءة وعوراء، قال الشاعر:

ولا تَقُلِ العوراءَ تُضْحِكُهم بها ... فعالَ لئامٍ قولُهم غيرُ صالحِ

والشيطان: هو إبليس اللعين، وقيل إنما سمي شيطاناً لشطونه من الله وبُعدِه، قال الشاعر[النابغة]:

نأت سعاد عنك نوى شَطونُ ... [فبانت والفؤاد بها رهينُ]

أي بَعُدت بها دار بعيدة.

---

(١) ما بين القوسين سقط من (أ).

(١) ما بين القوسين زيادة من (أ).

وقيل: إن آدم سمي آدم لبياضه، وزعموا أن الآدم: هو الأبيض في لغة القدماء.

وقيل: أيضا إنه سمي آدم، لأنه من أدمة الأرض ووجهها، وليس معرفة ذلك بفريضة لازمة.

وأما ما يستعمل الناس في عصرنا، وما ينقله الآخر من أولنا، فإن آدم اللون هو الأسمر الذي ليس بأبيض يقق ولا بأسود، وبذلك سميت الأدم من الظباء، لأنها تميل إلى الصفرة والبياض ويشوبها أقل قليل السواد.

وسميت حواء بهذا الاسم لحوتها، **والحوة**: هي الصفرة التي تميل إلى البياض.

وقيل: هي الخضرة، وليس في ذلك شيء عندنا، وهو لعمري يستعمل، فأما بالحجاز فالحوة هي الصفرة التي تميل إلى البياض، وكذلك يسمون ما ييس واصفر من أشجار الرياض.

وقيل: إنها سميت حواء، لأنها أم كل حي من بني آدم.

ومعنى قوله: **{إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ (٢٧)}** روي أن معناه: أي هو يعلمكم هو وقبيله من الجن وعشيرته من حيث لا ترونهم، وروي [ذلك] عن العالم صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وفيه نظر.

وقيل: لو أن الله أراهم الناس لنظروا إلى عورات المسلمين والمسلمات.

وقد يمكن أن يعوقهم الله عن درك العورات، ولا يعوقهم عن درك الأجسام المجسمات، وكل ذلك يمكن ولا يستحيل، ولا تدفعه بالإنكار العقول.

ومعنى قوله عز وجل: **{إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٢٧)}**، هذا جَعلُ التخلية من الله بينهم وبين إخوانهم الكافرين، إذ لم يحُل بينهم وبين إخوانهم، وليس هذا جعل فعل فعله بالمشركين، ولا جبرهم عليه كما توهم الجاهلون، ألا تسمع إلى قوله في الآية التي بعدها: **{وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ}** أي بالعدل.

ثم قال عز وجل آمراً لعباده بالصلاة: **{وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ (٢٩)}**، أي ثبتوا وجوهكم، واستقبلوا القبلة في كل مسجد صليتم فيه لربكم، ودعوتم فيه إلى سيدكم.

ومعنى قوله: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ(٢٩)}، أي كما افتطركم وبدعكم، وابتدأ خلق أجسامكم وصنعكم، فستعودون كذلك، وترجعون من الصور على ذلك، حتى يعرف بعضكم بعضاً بالعلامات، إلا أن صور المؤمنين ترد على أحسن الهيئات، وتركب أجسامهم للذات، خلاف تركيبها للمحن النازلات، لأن الحكيم لا يجعل بناء الإقامة كبناء الرحيل، ولا يكون ذلك في الحكمة والعقول.

ومعنى قوله: {إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٢٩)} يريد عز وجل أنهم تولوا شياطينهم وكبرائهم من دون الله وحسبوا أنهم مهتدون، فقلدوهم، فذمهم الله عز وجل على اتباع الحسبان والظنون، وتركِهِم وتخليَتِهم لليقين، لأنه كان ينبغي لهم أن يفحصوا عن دينهم، ولا يعتمدوا على حسبانهم وظنونهم.

{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣٠)}، هذا أمر إطلاق من الله للبريئة غير إيجاب، مثل قوله: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ}(المائدة/٢)، ومثل قوله: {فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء}(النساء/٣)، وهذا كثير في القرآن وليس بفرض لازم، ولو لم يصطد أحدٌ أبداً لما أثم، وكذلك لو تعفف ولم ينكح امرأة أبداً لما عتب الله عليه ذلك.

ومعنى قوله: {وَلَا تُسْرِفُوْا} أي لا تنفقوا في اللذات المحرمات، ولا في معاصي الله المحظورات، والأصل في السرف: هو الخروج من الحد الذي جعله الله عز وجل، يدل على ذلك قوله سبحانه {فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ}[الإسراء/٣٣]، أي لا يخرج من الحد الذي أطلقه الله له إلى سفك دم لم يجعله الله له.

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (٣١)}، وهذا إحلال من الله لعباده، ورحمة منه بما أخرج لهم من بلاده.

ثم قال لنبيه عليه السلام، {قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣٠)}، يريد عز وجل أنه أحل الطيبات لعباده المؤمنين في هذه الدنيا، وجعلها خالصة يوم القيامة،

فدل بقوله **{خالصة يوم القيامة}** على أن معهم فيها شركاء في هذه الدنيا، لأنه لم يقل خالصة لهم في الدنيا كما قال خالصة يوم القيامة.

ويمكن أن يكون في هذه الآية تقديم وتأخير، وهو أن يكون المعنى: قل هي خالصة يوم القيامة للذين آمنوا في الحياة الدنيا.

ويمكن – والله أعلم – أن يكون معنى قوله خالصة يوم القيامة، أي ليس فيها شيء يكدرها من الأسقام، ولا ينغص أهلها من الموت والآلآم.

فأما ما قال به الجاهلون، من قطع أرزاق الكافرين، فلا يلتفت إليه، ولا يعمل به، ولا يتكل عليه، لأن الدنيا عند الله أقل وأحقر، وأدنى مما توهموا وأيسر، وإنما حرم الله على الكافرين خصائص مما أحل للمؤمنين، ولم يجعل لهم من ذلك ما جعل للمؤمنين.

من ذلك: ما حرم عليهم من الصدقات، وما حظر عليهم من نكاح المسلمات، أوَ لا ترى كيف ورث الله عز وجل بين المشركين، ورزقهم وأعطاهم مواريث قرابتهم من الكافرين، وكذلك وَرَّثَ [الله] أبناء المجوس من آبائهم، ونكاحهم أفحش النكاح لبناتهم وأمهاتهم وأخواتهم وعماتهم وخالاتهم، كل ذلك لإكمال الحجة عليهم.

{قُلْ إِنَّ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ (٣٢)} أي حظر القبائح كلها ما ظهر للناس وما خفي منها، كل ذلك لئلا يتناول أحد منها، ويخدع نفسه بأن يخفيها.

ومعنى قوله: **{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ (٣٣)}** أي لكل قوم وقت ينقطع ثم لا يحيون، ولا يستأخرون بعده، ولا يستقدمون ساعة قبله.

{يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ (٣٤)} أي أن أتاكم رسل منكم.

ومعنى قوله: **{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ(٣٧)}** يريد عز وجل بقوله فمن أظلم: التوقيف، ولفظه لفظ الإستفهام، ومخرجه ومعناه معنا الإخبار والإعلام، والتوقيف على الخبر والإفهام، لأنه ليس أحد أظلم ممن أفترى على الله الكذب، واخترعه عليه وكذب بآياته، ولم يتب إليه، ولكن أو قامت مقام الواو، وفي قوله أو كذب بآياته.

ومعنى {آيات الله} أي دلائله وبيناته وشواهده مع الرسل ومعجزاتهم.

ثم قال عز وجل {أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ}، أي يبلغهم حقهم من المناقشة والحساب.

{حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ (٣٧)} قد تقدم فيما مضى من التفسير أن الوفاة قد تكون الأخذ للشيء كاملاً، إما في الدنيا عند قبض الأرواح كلها، وإما في الآخرة عند أخذ الأجسام وعذابها، {قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا (٣٧)}، أي غبوا علينا حتى لم نجدهم وذهبوا منا، قال الشاعر:

وعَلِمْنَ أني ما نشدتُ ضلالا

أي ما طلبت إبلاً ضالة ذاهبة ولا جمالاً.

ومعنى قوله: {حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا(٣٨)} أي حتى إذا تداركوا وتلاحقوا، وأدرك بعضهم بعضاً في النار واجتمعوا، قالت أخراهم لأولاهم أي قال آخرهم لأولهم، وإنما جاء التأنيث للأمم، والأمم هي مؤنثة غير مذكرة عند العرب، قال الإمام الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

ما كان إلا نطحة فتراكبت أولى كتائبهم على أخراها

ومعنى قوله: {لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ (٤٠)} أي لا تفتح لهم الملائكةُ أبواب السماء هابطين إليهم، [ولا ينزلون من أبواب السماء][1] بالرحمة عليهم، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، يريد عز وجل أنهم لا يدخلون الجنة إلا أن يدخل الجمل في ثقب الإبرة التي تخاط بها الثياب، وهذا من المحال، وكذلك [أيضاً] دخولهم الجنة أيضاً فاسد من المقال، وهذا أمر معروف للعرب من الأمثال.

ومعنى قوله: {لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ (٤١)} أي لهم من جهنم فراش يفترشونه، ولحاف يتغشونه ويلتحفونه.

ومعنى قوله: {وَقَالُواْ الْحَمْدُلِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ (٤٣)}، أي وسيقولون الحمد لله الذي هدانا إلى هذا، ولكن اللام قامت مقام إلى وهو صحيح من الكلام.

---

(١) ما بين القوسين زيادة من (أ).

{وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا (٤٣)} أي دُعوا ونادتهم الملائكة حتى سمعوا وقالوا لهم تلك الجنة أورثتموها، أي عوضتموها وبدلتموها، وهو مأخوذ من الميراث، والعرض المتروك من الميراث[1]، والأصل في الميراث الذي يرجع إليه كل ذلك، هو الترك للشيء من كل تارك، قال الشاعر:

فبانت وقد أورثت في الفؤاد صدعاً على دائها مستطيرا

يريد بقوله أورثت: أي جعلت في قلبه وتركت.

ومعنى قوله: **{فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ (٤٤)}** أي صاح صائح من الملائكة -والله أعلم- فقال: **{لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}**، **وأصل الأذان في اللغة**: هو الإعلام، وهو الصوت المعلوم عند الكلام.

ومعنى قوله: **{يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا (٤٥)}** أي يصدون الناس ويصرفون، ويصدون وجوههم أيضاً ويحرفون، **والصدود**: هو الإعراض والعنود، قال الشاعر:

مالي مرضت فلم يعدني عائد منكم ومرض عبدكم فنعودُ

وأشد من مرضي عليّ صدودكم وصدود عبدكم عليّ شديدُ

ومعنى يبغونها عوجاً: أي يطلبون سبلاً غير سبل الله يعوجون إليها، لكنه اختصر.

ومعنى يعوجون: ينحرفون ويرجعون عن سبيل الله وينصرفون، قال الشاعر:

خليلي عوجا بارك الله فيكما طوال الهوادي طار عنها نسألها

قريب عليها كل أرض تريدها إذا ما علا الأصلاب منها رحالها

فعوجا كما لو سمتماني حاجة لعجتُ ولو عتبا علي احتيالها

أي لرجعت وعطفت.

ومعنى قوله: **{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ (٤٦)}**، أي بين الجنة والنار سور حاجز بمنزلة الجدار، يطلع عليهم منه من شاء الله من الأبرار، **{وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ (٤٦)}** أي على الأشراف، وهي الأماكن المشرفة المرتفعة المطلة على الجنة والنار، وإنما سميت بالأعراف لمعرفة الناس لها، وبيانها عندهم واشتهارها، ووجوه العرب تسمى العرفاء، ومعنى ذلك:

---

(1) في (أ): والعوض والمترك من التراث.

المشهورون الشرفاء، والواحد منهم عريف، وهو المعروف عندهم الشريف، وسواء قال القائل عندهم شرفاء وأشراف، وكذلك العرفاء والمعارف والأعراف، وسواء قيل رجل شريف، أو قيل رجل [رفيع] في قومه عريف، وإنما سمي الشرف شرفاً إذ كان مرتفعاً على غيره مشرفاً.

ومعنى قوله عز وجل: **{يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ (٤٦)}**، أي يعلمون كلاً من أهل الجنة والنار بعلاماتهم، **والسيماء**: هي العلامات، والدلائل على الشيء والأمارات، قال الله أصدق القائلين، يصف أهل بيت نبيه المصلين، ومن تابعهم من أوليائه المسلمين **{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ}**[الفتح/٢٩].

ومعنى قوله: **{وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦)}**، أي سلام عليكم لم تدخلوها وأنتم تطمعون، ولكنه يجوز أن يخاطب الشاهد بمخاطبة الغائب، وذلك معروف مشهور عند العرب، وهذا مثل قوله عز وجل: **{حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ}**، [والمعنى في ذلك: إذا كنتم في الفلك وجرين بكم] [1]، قال الشاعر:

يا لهف نفسي صار جدة خالد ... وبياض وجهك للتراب الأعفر

ومعنى قوله عز وجل: **{لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ}**، أي لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في الحطام، ولا يحرصون على المآكل الدنية والحرام، كما قال علي بن الحسين سيد العابدين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين:

رأيت العز في رفض الأنام ... وهل في رفض شر من حرام

لأنهم لمن أثرى عبيدٌ ... وذبان المطاعم والحطام

ومعنى قوله: **{وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ (٤٧)}**، أي إذا نظروا قبالة أهل النار وواجهوا موضعهم.

ومعنى قوله: **{مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٧)}**، أي ما الذي دفع عنكم جمعكم، وما الذي رد عنكم مالُكم، **{وما كنتم تستكبرون}**، أي والذي كنتم ترونه كبيراً

---

(1) ما بين القوسين زيادة من (أ).

عندكم، فهل نفعكم تكثير يرى منعكم، تبكيتاً من هؤلاء الرجال وتقريعاً لهم، وتشميتاً لهم وتوبيخاً لهم، فقالوا عند ذلك ونادوا، وطلبوا من أهل الجنة وسألوا، **{أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ (٥٠)}** من الطعام، فرد عليهم أهل الفضل والإسلام **{إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)}** أي حظر الطعام والشراب على الفاسقين، أي الذين كفروا بنعمة الله وجحدوها، وكفروها بالمعاصي وستروها، إذ لم يحمدوها بالطاعة ويشكروها.

والكفر في قولنا كفران: كفر النعمة، وكفر الجحدان.

{فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا (٥١)} أي نتركهم من ثوابنا، كما تركوا لقاء يومهم هذا بطاعتنا، وهذا من الاختصار، قال الشاعر:

راحَ الحجيجُ بأوجُهٍ مُسْوَدَّةٍ ونَسُوا لأحمد حرمة وذماما

أي تركوا له حرمة وذماماً، وليس يريد أنهم قتلوا آل محمد عليهم السلام ناسين بل قتلوهم متعمدين، فليس هذا من النسيان وإنما من الإنساء والترك.

{وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)} أي وبما كانوا بآياتنا يجحدون، ولكنه حذف الباء واستغنى بواو العطف على قولنا نسوا لقاء يومهم هذا.

ومعنى كما نسوا: هو بما نسوا، ولكن الكاف الزائدة قامت مقام الباء.

ويمكن أيضاً: أن يكون عنى بقوله وما كانوا بآياتنا يجحدون أي وكانوا بآياتنا يجحدون، فجعل (ما) صلة وزينة للكلام، وحليه وتحسيناً للنظام.

{وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ (٥٢)} أي فصلناه وقطعناه بعلم، ولكن على قامت مقام الباء.

ومعنى قوله: **{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ (٥٣)}**: أي هل ينتظرون إلا تفسير وعده ووعيده، والتأويل هو ما يؤول إليه الشيء، ويرجع ويصير، وتأويل الوعد والوعيد هو يوم المصير والحشر، والبعث والحياة والنشور.

ثم قال عز وجل: {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ (٥٣)} وذلك عند ندمهم ومعاينة الصدق، وبيان ما كانوا عليه من الضلال والفسق.

ومعنى قوله: {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا (٥٤)} أي يلبس الليل النهار حتى يغشاه، ويذهب بسواده وظلماه.

ومعنى قوله: {يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} أي يسير إليه مسرعاً.

ومعنى قوله: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعَاً وَخُفْيَةً (٥٥)} أي تخضعاً وتذللاً، ومعنى خفية: أي وبالقلوب ذكراً خفياً، والخفاء هو الذي لا يبين.

ومعنى قوله: {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا (٥٦)} أي لا تغيروا في الأرض بالفساد، بعد أن أمركم الله بإصلاح البلاد، ونهاكم وزجركم عن ظلم العباد، {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا}، أي خوفاً من عذابه، وطمعاً في رحمته وثوابه، {إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} أي قريب من المتفضلين، وإنما سمي المحسن محسناً، بحسن أفعاله، وكريم طباعه في كل أعماله، ورحمته بجميع الخلق وطيب مقاله، لأن الله عز وجل رحيم يحب الراحمين، ومحب لعباده يحب المحبين، ومحسن إليهم يحب المحسنين، فينبغي للمسلم أن يلهم نفسه الرحمة حتى للبهائم.

ومعنى قول سيدنا عز وجل: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ (٥٨)}، أي بفعل ربه، {وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا} أي لا يخرج إلا عسراً.

ومعنى قوله: {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ (٦٤)} أي لا ينظرون ولا يتعلمون، والعمى هو الجهل، قال الشاعر:

وأعلم ما في اليوم والأمس ولكنني عن علم ما في غد عمي

{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ (٦٧)} أي ليس بي خفة ولا جنون، ولا عبث ولا لعب ولا مجون، والسفه في لغة العرب: هو خفة[1] العقل وفساده، قال الشاعر:

يسفهن أحلام الرجال ذوي النهى

---

[1] في (أ) قلة.

ومعنى قوله: {فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ (٦٩)} أي نعم الله وفضائله، قال الشاعر:

الحلم والجود كانا من خلائقه ... ما كل آلائه يا قوم أحصيها

{قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ (٧١)} أي عذاب وتعب، قال الشاعر:

ذا سُنة كانت بنجد مخيلة ... فكان عليها رجسها وعذابها

[ومعنى قوله تعالى {وَقَطَعْنَا دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا}: أي قطعنا بقيتهم، وأهلكنا عقبهم وذريتهم][1].

ومعنى قوله: {وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ (٨٦)} أي تقعدوا على كل طريق تظلمون، وتصدون الناس عن الحق وتمنعون، وتوعدونهم بالهلاك وأنتم ظالمون.

ومعنى: {وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٨٨)} أي أحاط بكل شيء علماً، ولم يضق علمه، ولكنه تنزه من الجهل والعمى.

ومعنى قوله: {فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ(٩٣)} معنى قوله: كيف؟ هو حرف تفهيم وتوقيف.

ومعنى كيف آسى: هو كيف أحزن على الكافرين، وهم مقاطعون لرب العالمين.

ومعنى: {لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)} أي ليتضرعوا ويخشعوا لله ويتذللوا ويتواضعوا.

ومعنى قوله: {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ (٩٥)} يريد أنا بدلنا هم السلامة بعد النقمة.

ومعنى قوله: {حَتَّى عَفَوا} هو حتى كثروا وانتشروا.

[ومعنى قوله {أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها}: هو ألم نعلمهم ونبين لهم][2].

ومعنى قوله: {وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)}، أي ما وجدنا لأكثرهم وفاء بعهدهم[3]، ولكن وجدنا أكثرهم الفاسقين.

---

[1] ما بين القوسين زيادة في (أ).

[2] ما بين القوسين زيادة في (أ).

[3] في (أ): بعهد.

ومعنى قوله: {حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ (١٠٥)} أي واجب علي أن لا أقول على الله إلا الصدق.

ومعنى قوله: {قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)} أي لما ألقوا وطرحوا حبالهم وعصيهم خدعوا أعين الناس بحيلهم، وأفزعوهم بتهديدهم ووعيدهم.

ومعنى قوله: {وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا(١٢٦)} أي ما تعيب علينا إلا الإيمان بدلائل ربنا.

ومعنى قوله: {وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)} هو يجعلكم في الأرض خلفاً ممن سلف، ومضى بالحتف من الله والتلف.

ومعنى كيف تعلمون: هو فيعلم كيف عملكم، وكيف شكركم له على ذلك وطاعتكم.

{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهِ} يريد عز وجل أنه عاقبهم بالسنين المجدبات، وعذبهم بما نقص من الثمرات، ليتذكروا ويرجعوا، ويطيعوا الله ويخافوا ويخضعوا، ويتضرعوا إليه ويخشعوا، فكرهوا طاعة الله وامتنعوا، {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ} من الخصب وزيادة الثمار، {قَالُواْ لَنَا هَذِهِ} بالحب[1] والأمطار، {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى} ويقولوا هذا من شؤمه، وهو رجل مشؤم، فرد عليهم في ذلك الحي القيوم، {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهِ} أي شؤمهم عقوبة الله لهم، ومكافأة للفاسقين على فعلهم.

{وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ}: معنى {مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ}: أي ما تأتينا به من آية فلن نصدقك بها، قال الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم

---

[1] في (أ) بالبخت.

والطوفان: فهو العذاب الذي طاف بهم.

والجراد والقمل فهما معروفان: **أما الجراد**: فأرسله الله عليهم لهلاك ثمارهم.

وأما القمل: فهو البرغوث بلغة الحجاز، جعله الله نقمة عليهم تؤرقهم، وتذهب بنومهم، وهي عند أهل نجد والسراة تسمى القرد، والجماعة القراد.

والضفادع أيضاً: فهي معروفة تكون في المياه، قال الشاعر:

عين مطحلبة الأرجاء طامية فيها الضفادع والحيتان تصطحب

وإنما أرسل الله الضفادع عليهم لينتقم بها منهم، ويضيق بها صدورهم، ويعذبهم بها ويغمهم.

وأما الدم: فهو علة من العلل، ويمكن أن يكون على ما روي من أن الله عز وجل عذبهم بأن جعل شرابهم وأغذيتهم دماً عبيطاً، لتغثى أنفسهم بذلك، وتذهب لذاتهم.

ومعنى قوله: **{آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ}** أي دلائل على الله مبينات، وعلى نقمته للفاسقين والفاسقات، **والرجز**: فهو العذاب، قال الشاعر:

جعلنا القنا رجزاً عليكم فأصبحت دياركم بالظعن منكم بلاقعا

ومعنى قوله عز وجل: **{فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ (١٣٦)}** أي في البحر، قال الشاعر:

أو درة أخرج الغواص صافية قد كان جاورها في اليم يعبوب

{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ (١٣٧)} إلى قوله: **{قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا}**.

ومعنى قوله: **{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ}** أي تمت مواعيده لهم بالنصر على أعدائهم، لما صبروا على طاعة ربهم، لأن الله وعدهم بالنصر مكافأة لهم على صبرهم.

ومعنى قوله: **{وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ}** هو أهلكنا ما كانوا يصنعون من المحال، وهدمنا ما كانوا يبنون من التوهم والضلال.

والعرش: هو البنيان المعروش، فيمكن أن يكون ضرب ذلك مثلاً، ويمكن أن يكون تدميره لما كانوا يعرشون هو هدمه لمنازلهم وعروشهم التي كانوا يسكنون، وكانوا فيها يقيمون وينعمون، ويمكن أن يكون أراد بقوله يعرشون ما كانوا يملكون، فالعرش هو الملك، قال الشاعر:

تداركما عبساً وقد ثل عرشها وذبيان إذ زَلَّت بأقدامها النعل

ومعنى قوله عز وجل: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ} أي قطعنا بهم البحر {فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ} ويعبدونها من دون الله بجهلهم.

ومعنى قوله: {قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا} أي كيف أبغي لكم إلها غير الله عز وجل.

ومعنى قوله: {وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)} يريد عز وجل أن قوم فرعون اللعين كانوا يفرضون عليهم أقبح العذاب، وهو قتل أبنائهم، وملك نسائهم، وهذا أسوأ ما يكون من العذاب، وأقبحه وأفحشه عند ذوي الألباب.

ومعنى قوله {وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} يحتمل ثلاثة أوجه:

أولها: أن يكون أرادوا في ذلك الفعل الذي فعله ربكم من النجاة لكم عطاء من ربكم عظيم، وفضل وخير جسيم، والبلاء هو التفضل والعطاء، قال الشاعر:

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

والوجه الأخر: أن يكون أراد وفي ذلكم يعني: فعال قوم فرعون بلاء عظيم، أي عذاب لهم عظيم فيما فعلوا من القبيح.

والوجه الثالث: أن يكون أراد وفي تركنا لهم محنه عظيمة، واختبار لكم على طاعتكم لله وصبركم.

ومعنى قوله: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (١٤٢)}: [يريد عز وجل أنه واعد موسى أربعين ليلة][1]، ولكنه فصل الكلام لتحسينه ونظمه وتمامه وترتيبه[2].

ومعنى قوله: {فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ} أي فتم الوقت الذي أراد الله من نبيه صلى الله عليه،

---

[1] ما بين القوسين زيادة من (أ).

[2] في (أ): ولكنه وصل لتحسينه ونظمه وتمامه وتزيينه.

ومعنى قوله عز وجل: {وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)} [أي قم بشأنهم وهدايتهم بعدي، والخليفة هو القائم بأمر الرعية بعد صاحبه] [1]، {وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} أي لا تسلك سبيل أهل الفساد، ولا تقبل أقاويل ذوي العمى والعناد، ولا تقبل قول أحد من جهلة العباد.

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا} أي لوقت ميعادنا، {وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} أي وجّه كلاماً وخلقه، وأوصله إلى مسامع موسى ونزله، {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ} أي أرني آية ودلالة أنظر بها إلى عجائب صنعك.

{قَالَ} الله عز وجل: {لَن تَرَانِي}، أي لن تراني بآية في نفسك، لضعف بنيتك وخلقك، ولكن انظر إلى الجبل الذي هو أقوى منك ومن غيرك، {فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ} وثبت في موضعه، {فَسَوْفَ تَرَانِي} بعقلك، إذ أنزلت عليك آية بذلك على تفكرك، وتنظر بها إليّ عند تمييزك ونظرك، ولكن الله اختصر، وجعل هذا الكلام متشابهاً لمحنة المكلفين، والفرق بين أهل العقول والظنون:

فعلم كل عاقل من الحكماء: أنه لا يشبه الله من هو دون موسى من العلماء، فكيف بنبي الله وصفيه، وحبيبه ورسوله ووليه.

وذهب أهل التشبيه: إلى أن موسى جهل وشبه الله بالمخلوقين، وكذب أعداء الله على رسول رب العالمين.

ومعنى قوله: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا} أي فلما تجلى أمر ربه إلى الجبل جعله هدماً ساقطاً، والعرب تقول: تجلّى الملك لأعدائه، أي بان لهم وقابلهم للقتال بأمره وجنده، وليس يريدون بذلك أنه بان لجهادهم بنفسه، قال الشاعر:

تجلى لهم بالمشرفية والقنا وإن كان عن طعن الأسنة نائيا

يريد أنه تجلى لهم بأمره، وإن كان عن ذلك بعيداً.

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

ومعنى قوله: {وَخَرَّ موسَى صَعِقاً} أي سقط مغشياً لما رأى من الهول، وقيل: ميتاً، {فَلَمَّا أَفَاقَ} أي انتعش وحي من غشوته، {قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} يريد رجعت إلى قولك وطاعتك بعد غشوتي، وعدت إلى ما كنت عليه من يقيني وطاعتي.

ومعنى قوله: {وَأَنَا أَوَّلُ المؤمِنِينَ} أي وأنا أول من آمن بك من أصحابي الموقنين الموحدين لك العالمين.

ومعنى قوله عز وجل: {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا} أي يأخذوا بأبينها ومحكمها وأصولها، {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ} أي سأصرفهم عن دلائلي حتى لا يقدروا على إبطالها، ولا أبلغهم ما يأملون من فسادها.

ومعنى قوله: {عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ} أي تمثال عجل من البقر وهو التبيع، وذلك أنه صوره على صورة التبيع وعمله أجوف مجوفاً.

والجسد: هو الجسم، وهو الجثة، وهو الجرم.

ومعنى قوله: {لَهُ خُوَارٌ} أي له صياح وصوت.

وقيل: إنه تولد من الريح لما هبت في تلك الخروق، والله أعلم وأحكم.

{وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)} يريد عز وجل أنه لما سقط في أيديهم من عبادتهم للعجل، وأدحضت حجتهم بيد موسى عليه السلام لما بين لهم من ضلالهم، وأظهر لهم من ضعف عقولهم وخبالهم، ندموا على ذلك، وتبين لهم سوء فعالهم، فقالوا عند ذلك {لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، والخاسر هو الذي لم يربح، ولم يظفر بالخير ولم يفلح.

{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ} أي سكن عنه الغيظ والحرد.

ومعنى قوله: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً (١٥٥)} أي اختار من قومه سبعين، ولكنه حذف مِنْ، قال الشاعر:

اخترنك القوم لما عز مطلبهم وأخلف الظن ممن كان يستتر

ومعنى قوله: {فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ (١٥٥)} الرجفة في اللغة: هي كلما أرجف وزلزل، وحرك وأفزع وأرعب.

ومعنى قول سيدنا موسى عليه السلام: {رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ} أي لو شئت هلاكهم وقتلهم لأهلكتهم من قبل هذه الرجفة وإياي، ولكنك لم ترد بهذه الرجفة هلاكهم، ولكن أردت بها نكال أعدائك وعذابهم، فأما هؤلاء المؤمنين فلم ترد غير تأديبهم، وزيادتهم في الإيمان وترغيبهم، لأن كل هول أشرف عليه الفاسقون فهو نقمة لهم، وكل هول رآءه المؤمنون فهو توفيق لهم، وزيادة في أدبهم وعملهم.

ومعنى قوله عليه السلام: {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا (١٥٥)}، يريد فكيف تهلكنا بفعل غيرنا من السفهاء المتسمين بديننا، هذا ما لا يكون أبداً من عدل مولانا وسيدنا، ولا نظنه بمن هو أرحم وأبر بنا من أمهاتنا وآبائنا.

ثم قال عليه السلام: {إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ (١٥٥)}، يريد صلوات الله عليه إن هي إلا محنتك واختبارك لنا، ولمن تسمى بديننا، التي يستحق بها ومن أجلها المؤمنون الهدى والثواب، ويستحق عليها ومن أجلها الفاسقون الضلالة والعقاب.

ومعنى قوله {تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ} أي تسمي بالضلالة من تشاء إذا لم يصبروا على محنتك واختبارك وتهدي وتوفق للصواب، وتسمي بالهدى من صبر على محنتك، وسلّم لك ورضي بحكمك.

ومعنى قوله: {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ (١٥٦)} أي تبنا ورجعنا إلى طاعتك، وعدنا عند المحن إلى حسن الظن بك.

ومعنى قوله: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (١٥٧)} **الإصر**: هو الثقل، والأغلال هي مثل مضروب للميثاق الذي أخذ عليهم، والعهد أيضاً يسمى إصراً، لأنه ثقيل شديد، والأصل في الإصر، هو الأمر الثقيل التعب الصعب الشديد، قال الشاعر:

يا مانع الضيم أن يغشى والحامل الإصر عنهم بعد ما

ومعنى قوله عز وجل: {فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ (١٥٧)} ومعنى عزروه: أي عظموه وأجلُّوه، قال الشاعر:

عـزروا الأمـلاك فـي دهـرهم وأطـاعوا كـل كـذاب أثـيم

يريد عظموا وأجَلُّوا ملوك الدنيا.

ومعنى قوله: {وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ} أي اتبعوا الحق الواضح المبين الذي نزله الله عز وجل معه، وأيده به ونصره، وهداه بنوره وبصَّرَه.

ومعنى قوله: {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩)} أي منهم من يهدي بالحق ويدل به.

ومعنى قوله: {وَبِهِ يَعْدِلُونَ} أي وبالحق والصدق يحسنون، والعدل هو الإحسان والصواب، وهو مشتق من الثبات والإعتدال.

ومعنى قوله: {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً (١٦٠)} أي فرقناهم قبائل، والأسباط فيما روي: هي القبائل والأمم.

ومعنى قوله: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ} يريد عز وجل أنه أوحى إلى نبيه موسى عليه السلام أن يضرب الحجر عند حاجتهم إلى الماء لتكون آية ومعجزة على نبوته، وحجة لله عز وجل ودليلاً على ربوبيته.

وروي أنها كانت حجراً صغيرة تحمل بالأيدي لصغرها، تفجر بأكثر المياه وأغزرها، وليس من شأن الحجر الصغيرة أن تحمل عيون الماء العظيمة الغزيرة، وكان أصحاب موسى عليه السلام اثنتي عشرة قبيلة، فجعل الله لهم من هذه الحجر اثنتي عشرة عيناً، لكل قبيلة عين يشربون بها.

ومعنى قوله: {فَانبَجَسَتْ} أي انفجرت، وسالت بمشية الله وجَرَت.

ومعنى قوله عز وجل: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (١٦٠)} يمكن أن يكون أظلهم بالغمام وهو السحاب، لما فيه من نزول الأمطار، وحياة الحيوان وجميع الثمار.

ويمكن أن يكون أظلهم به من حر النهار، وكل ذلك نعمة من الواحد القهار.

وقيل: إن المنّ شيء من المأكول، وهو حلو فيما قيل والله أعلم.

والسلوى طائر فيما روي، وجملة الخبر أن الله عز وجل أنزل عليهم المن والسلوى، وهما نعمتان ولونان وصنفان من الفضل والإحسان، يستحق الله الشكر عليها من ذوي الإيمان.

{وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ (١٦١)}: معنى قوله عز وجل: **{قُولُواْ حِطَّةٌ}** فهي كلمة تعبدهم الله بها، ومحنة من المحن جعلها، ليمحص الله بها ضمائرهم، ويطهر بها اعتقادهم وسرائرهم، فرحم الله عبداً حذر على نفسه من سوء الظنون، واعتمد على العقل الصحيح واليقين، ولم يعجل عند محن الله إلى سوء الظن والجنون، ومشاركة أهل العمى والمجون.

ومعنى قوله: **{وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا}** أي ادخلوا الباب خشعاً لله عز وجل، وسيروا عند ذلك بالسكينة والوقار، والخشية لله الواحد الجبار، ولم يرد في هذا الموضع سجوداً على الوجوه، وإنما أراد ما ذكرنا، وكذلك روينا عن أئمتنا وسلفنا صلوات الله ورحمته وبركاته عليهم أجمعين، وعلى من اتبعهم من أولياء الله المؤمنين.

ومعنى قوله: **{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ}** يريد عز وجل أنهم بدلوا طاعة الله بالعصيان، واتبعوا أهواهم في طاعة الشيطان.

ومعنى قوله: **{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ}** يريد عز وجل أنه أرسل عليهم عذاباً من السماء، والرجز هو العذاب، قال الشاعر:

جعلنا القنا رجزاً عليكم فأصبحت ديـــاركم بـــالظعن مـــنكم بلاقـــع

ومعنى قوله عز وجل: **{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣)}**: معنى قوله: **{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ}**، أي سؤال توقيف لهم على ما نزل بأهل القرية ليحذروا على أنفسهم، وأهل القرية التي كانت حاضرة البحر هم من قوم موسى عليه السلام، كانوا يصطادون السمك، فحظر الله عليهم ومنعهم من الصيد يوم السبت، وكانت

الحيتان إذا كان يوم السبت جاءت شُرَّعاً على الساحل، وأطراف الماء حتى تكثر جداً جداً، فإذا كان يوم الأحد وباقي الأيام لم يكادوا يصطادون منها إلا القليل، وكان ذلك اختباراً لهم وامتحاناً من الله عز وجل، فذهب نفر قليل منهم فاعتدوا في السبت، ولم يغضب الآخرون لربهم، بل شروا الحيتان منهم، ورضوا بفعلهم، وكانوا بذلك شركاء معهم، فمسخ الله الجميع قردة وخنازير، وقبحهم ولعنهم.

{وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤)} وهذه الأمة فهي منهم في النسب، وما أحسب إلا أنهم قد نجوا من السخط والغضب، لأنهم أقروا بهلاكهم وعذابهم ولم يرضوا بكفرهم وفسادهم.

ومعنى قوله: **{كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ** (١٦٦)} أي صامتين مبعدين.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ** (١٦٧)} أي تواعد بذلك وأعلمهم أنه يرسل عليهم إلى يوم القيامة من يفرض عليهم سوء العذاب.

ومعنى قوله: **{يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا** (١٦٩)} يريد عز وجل أنهم يأخذون حطام هذه الدنيا وحرامها الدني الحقير، القليل عند الله اللطيف الخبير، ويؤثرون ذلك على طاعة الله العليم القدير، **{وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا}** وهم مصرون وكاذبون في قولهم متأولون، قال الله عزوجل {وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه} يريد عزوجل أنهم كانوا كاذبين في قولهم سيغفر لنا، وأنهم لو ظفروا بعرض مثل ذلك الأول لأخذوه، ولما تورعوا عنه ولا تركوه، لأنهم لم يقلعوا ولم يتوبوا، ولم يخلصوا التوبة ولم ينيبوا، ولكنهم ادعوا التوبة والغفران وكذبوا.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ** (١٧٠)} أي يلتزمون به ويتعلقون بأمره وينتهون عن نهيه.

ومعنى قوله: **{إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ** (١٧٠)} يريد عز وجل أنه لا يترك أجر المحسنين المجتهدين في الإصلاح من المؤمنين، لأن من كان من همته الإصلاح في البلاد، والإحسان إلى من يستحق ذلك من العباد، فهو من خاصة الله ذي العزة والأياد، ومن كان كذلك لم يَضِعْ

له عند الله مثقالُ ذرة من الخيرات، ولم يترك الله مكافأته على الحسنات، ولم يضره مع ذلك ما أصاب من السيئات، ما لم يتعمد من الكبائر الموبقات.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ (١٧١)}** يريد عز وجل أنه قلع الجبل عليهم وأظلهم به، ورفعه فوق رؤوسهم حتى أيقنوا بالهلاك أنه نازل بهم.

ومعنى قوله: **{كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ}** أي كأنه لما صار فوق رؤوسهم بمنزلة سقف البيت مظلاً عليهم.

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا (١٧٢)} يريد عز وجل أنه أخذ من بني آدم ظهورهم ذرياتهم، وأخرجهم من أصلاب آبائهم، وأشهدهم على أنفسهم، يريد عز وجل أنهم شهدوا على أنفسهم لما استشهدهم، وأقروا بربوبيته حين أمرهم وحين توالدوا بالإقرار بإلاهية ربهم، فكان ذلك الإقرار حجة لله عليهم، لأنه كان يجب عليهم إذا اقروا أن يستدلوا عليه، ويجتهدوا ولا يفتروا ولا يقصروا، لأنهم لما أقروا بالصانع وجب أن يطيعوه، وأن لا يتوانوا في طاعته ولا يعصوه.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥)}** يريد عز وجل أن اتلُ عليهم خبر هذا الذي آتاه الله معرفة آياته، وعلّمه ما يحتاج إليه من بيناته، فانسلخ من تلك الآيات، وخرج من أوامر الله البينات، وأتبعه الشيطان ليضله، ويزيده عمىً إلى عماه، وبعداً عن الله سيده ومولاه، لما خرج من طاعة الله واتبع هواه، وجانب سبيل نجاته وتقواه، وإنما قص الله خبره على العباد، ليحذروا التجاهل بعد البينات، ولا ينسلخوا مما آتاهم الله من الآيات، فهم لم يقبلوا هذه الموعظة ولم يفلحوا، وأفسدوا بعد علمهم بالآيات ولم يصلحوا، فصار هذا القول من الله حجة عليهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ (١٧٦)}** يريد عز وجل أنه لو شاء لرفعه بتلك الآيات التي سمعها، ورآها بقلبه وفهمها، ولكنه لم يقبلها ولم يعمل بها، فجعله الله ساقطاً لا قدر له ولا خطر، لأن من عصى الله كان دَنِيّاً وضيعاً، ولم يكن -ولا كرامة له أبداً- رفيعاً.

ومعنى قوله **{وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ}** أي ولكنه أقام إلى الأرض وركن إليها، واطمأن بها واتكل عليها، ولم يشمر في طلب الزاد والرحيل عنها، ورضي بالقعود عن الطاعة وانسلخ منها.

ومعنى قوله عز وجل في هذا المذكور بعينه: **{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ}** يريد عز وجل أنك [إن] وعظته لم ينفع، وإن تركته [لم ينتفع، فهو بمنزلة الكلب الذي يلهث إن تركته، و] يلهث إن زجرته، فالزجر والترك عنده سواء لا فرق بينهما، ولا يترك طبعه أبداً لواحد منهما. **واللهث في اللغة**: هو دلغ الكلب بلسانه، وتتابع نسمه.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون شبهه بالكلب لدنآءته وخسته، واتباعه لهوى نفسه ونقاصته، والله عز وجل أكرم وأجل من أن يعتب على الكلب وإنما عتب على من يمثل به، ولم يستعمل ما ركب الله فيه من حجة عقله.

وقيل: إن هذا الذي ذكره الله عز وجل كان عارفاً بالحق وتلاوته، مظهراً للعبادة، معروفاً بديانته، فلما ظهر سيدنا موسى عليه السلام حسده، وأظهر حينئذ كفره وكبره وكيده، وقد رأينا من أهل عصرنا أمثاله، وإخوانه في النفاق وأشكاله، ممن حفظ التنزيل، وحرص عليه للنفاق، والترؤس على من لا يعقل من الفساق، وأظهر الخشوع بجسده ولسانه، وهو أعمى القلب عن الحق وبيانه، فنسأل الله أن يخزيهم في الدنيا والآخرة طويلاً، ويلعنهم ويعذبهم عذاباً وبيلاً.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ (١٧٩)}** يريد سنذرأ لجهنم كثيراً من الجن والإنس.

والذرؤ ذروان: ذرؤ الخلق، وذرؤ البعث، وإنما عنى في هذه الآية ذرؤ الإعادة من القبور، عند الحشر والبعث والنشور، فنسال الله أن يذرأنا لرحمته، وأن يعطف على ضعفنا بكرمه ورأفته.

[كلام للإمام المهدي(ع) حول نعيم البهائم في الآخرة]

ومعنى قوله عز وجل: **{أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ (١٧٩)}**، وصدق مولانا إنهم كالأنعام التي لا تعرف الحق لشدة جهلها، ومكابرتها للحق وتشاغلها، وهم أضل من الأنعام، لأنهم كابروا وتجاهلوا، وتعاموا جهاراً حتى غفلوا، ولم يميزوا لشدة العمى فجهلوا، فالبهائم أعذر

منهم، لأنها لم تقاطع الله كمقاطعتهم، ولم تجاهر الله بالمعاصي كمجاهرتهم، ولو كانت البهائم تعقل وتفهم، وترى ما في أنفسها من صنع الله تعالى وتعلم، لشكرت الله عز وجل بجهدها، ولكن سيكون ذلك في آخرتها عند بعث الله وثوابه لها، لأنه عز وجل وعد بحشرها، والحكيم لا يحشر البهائم لعذابها، وإنما يحشرها الكريم لثوابها، والثواب والنعمة لا يتمان إلا بالعقول، ومعرفة الواحد المنعم الجليل، لأنها إذا عقلت كان أعظم لسرورها، وأكملَ وأتمَ لحبورها، وأحسن عند الحكيم من غفلتها عن أمورها، لأن الغفلة والجهل لا يتم معهما سرور ولا ثواب، ولا معرفة جليلة ولا صواب، ألا ترى أن النعمة لا تتم إلا بالعقول، وأن المعرفة خير من الجهل والغفول، ولو كانت البهائم في الآخرة لا تعقل أمور صانعها، ولا تشكر نعم خالقها ومبتدعها، لكانت الدنيا والآخرة لا فرق بينهما في المحن، ولكان الجهل المستقبح أولى من الحسن، والله يتعالى عن ذلك علواً كبيراً، والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** (١٨٠)} الآية، يريد عز وجل أنه يستحق الأسماء الحسنى، وأمر عباده أن يدعوه ويسموه بها، ويصفوه وينعتوه بما حَسُن منها.

ثم قال عز وجل متوعداً للملحدين، ومتهدداً للمشبهة الجاحدين: **{وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** أي ذروهم ولا تستعجلوا بالعذاب، فسيجزيهم بإلحادهم، ونسبتهم إلى الله قبائح فسادهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** (١٨٣)} يريد أنه يمهلهم ولا يعجل عليهم، ليكون ذلك أعظم لحسرتهم وعذابهم، وأقطع لعذرهم أشد لعقابهم.

ومعنى قوله: **{إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}** أي أن مكره عز وجل شديد، ومكره هو ما خفي عنهم من عقابه، حتى يحيط بهم وهم لاهون، ويحل بهم في غمرة ساهون.

ومعنى قوله عز وجل: **{أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ** (١٨٥)} الآية، يريد ألم

ينظروا بعقولهم في ملك الله الذي جعله في السموات والأرض، وما خلق من غيرهما من شيء، فيستدلوا بذلك على الله ويوقنوا، وتقر أعينهم لمعرفة الله ويؤمنوا.

قال عز وجل منبهاً لهم من غفلتهم **{وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}** يريد عز وجل أنه كان ينبغي لهم أن لا يَأمنوا الموت أن يقطع آجالهم، فيكون ذلك مما يزهدهم في الدنيا وينفعهم، ويزحزحهم عن معاصي الله ويبعدهم، فمن لم ينتفع بذلك من المواعظ والتذكير، وما كان مثله من قول اللطيف الخبير، فبأي حديث بعد ذلك يؤمن، وبأي كلام بعد كلام الله يوقن، لأن الله عز وجل أنزل هذا القرآن حجة على العباد، فمن زهد فيه لم ينتفع بغيره، إذا كان زاهداً في وعظ الله وتذكيره.

ومعنى قوله عز وجل: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (١٨٧)}** هو يسألونك عن الساعة متى حلولها، ومتى يكون هجومها ونزولها، **{قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي}** أي خبرها مع الله عز وجل وعنده، لا يعلم ذلك أحد من الناس غيره.

ومعنى قوله: **{لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ}** يريد عز وجل أنه لا يظهرها ويبينها عند وقتها إلا هو سبحانه.

ومعنى قوله: **{ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}** أي ثقلت وصعبت على أهل السموات وأهل الأرض، **{لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً}** أي مفاجأة على غفلة.

ومعنى قوله: **{يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا}** أي كأنك حريص مستقص في السؤال عنها، وأنت غير حريص في البحث عن وقتها، إذ أنت موقن بها، خائف منها.

والحفي على وجوه: أحدها: الحريص المستقصي، قال الشاعر:

فإن تسالي عني فيا رب سائل حفي عن الأعشى به حيث أصعدا

ومعنى قوله عز وجل: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا (١٨٩)}**الآية[يريد عز وجل أنه خلق جميع الناس من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام] [1].

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

ومعنى قوله: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} فروي في ذلك: أن الله خلق حواء من طينة آدم.

ومعنى {لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} أي ليطمئن إليها، وتركن لمحبته لها، وهذا يدل على موافقتهما، لأن السكون والاطمئنان ضد النفور، ولو لم تكن موافقة لنفر منها، ولو نفر منها لما سكن إليها، ولو كان كذلك لما غشيها، ولا حدث له النسل والبركة منها، وكل ما سكن القلب واطمأن عليه فهو ربما كان أقرب إلى النفع وأسرع إليه، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يأمر من النساء بأخفهن روحاً، وأطيبهن رائحة، وأكملهن عقلاً.

ومعنى قوله عز وجل: {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ} يدل على أن خلق الإنسان هو مما يتعلق وتسير به الأنثى، لأن من طبع النطفة أن لا يستقر منها في الرحم عند المرور، وعند القعود والقيام والمسير، إلا أقل قليلها، ويخرج ما ثقل من ذلك ولا يستقر، معروف ذلك من طباع النطفة لا ينكر، فليس يثبت من النطفة إلا ما تعلق وخف وقل، ولا يستقر من ذلك أبداً ما ثقل، حتى تسيل وتخرج بمشية الله وتنزل، وفي ذلك عجب عجيب لمن عقل، وهذا الذي ذكرنا فإنما هو خاصة في إناث الآدميين.

ومعنى قوله عز وجل: {فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)} يريد عز وجل أنها لما أثقلت وتبين حملها، نذرا لله نذراً واجباً، لئن رزقهما ذكراً صالحاً ليطيعان ربهما في تعليم ولدهما، وليتركانه لطاعة ربهما، ولا يشغلانه عن طاعة الله بخدمتهما، فلما آتاهما صالحاً، رخصا لأنفسهما، واستخدماه في بعض شأنهما، وكان الله يريد غير ذلك منهما، من جهة ما تقدم لله من نذرهما، فشركا بذلك بين خدمة الله وخدمتهما، فنبه الله عباده على الوفاء بنذورهم، وترك الغفلة فيما كان كذلك من أمورهم.

ثم قال عز وجل: {فتعالى عما يشركون} يريد سبحانه التنزيه لنفسه، والرفعة عن مشاركة الأصنام وغيرها من الأنداد، التي تَدَّعيها جهلة الأنام، أشباه الرواتع السائمة من الأنعام.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ** (١٩٣)**}** يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون خاطب المشركين في عبادتهم لأصنامهم التي يعبدون، وأخبرهم لو دعوا أصنامهم إلى شيء من الهدى لما تبعت، ولما عقلت ذلك أبداً ولا وعت، ولما أبصرت شيئاً من ذلك ولا سمعت، فسواء دَعَوا البهائم أم صمتوا، وسواء خاطبوا الأوثان أو سكتوا.

والوجه الأخر: أن يكون خاطب المسلمين الداعين إلى الله من المؤمنين، وأخبرهم عن إصرار هؤلاء الكافرين، وأنهم لو دعوا إلى الهدى لما تبعوا، ولما عادوا أبداً عن ضلالهم ولا رجعوا، فسواء عليكم أدعوتموهم إلى الحق أم أنتم صامتون، لأنهم لا يرجعون إذا صمتم، ولا يتوبون إلى الله إن وعظتم، ولا يتذكرون إن ذكرتم، ولا يقبلون إن تكلمتم، فالمواعظ عندهم بمنزلة الصموت، لما داخل قلوبهم من الكفر والحيرة والعمى والموت.

ومعنى قوله عز وجل: **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** (١٩٩)**}** هو أدب من الله لنبيه عليه السلام فجمعت هذه الأحرف اليسيرة من الآداب الكثيرة ما فيه حكمة عظيمة لمن عقلها، وأقبل عليها بفكره وقَبِلَها.

لأن قوله **{خذ العفو}** يدل على احتمال أعمال الشرور، وستر كثير من قبائح الأمور، لما في الأناة والحكم وحسن التدبير، من المعرفة والسلامة والبركة والخير الكثير.

ثم قال **{وأمر بالعرف}**: يدل بذلك على الأمر بالخيرات، والزجر عن جميع القبائح المنكرات.

ثم قال: **{وأعرض عن الجاهلين}** فدل بذلك على ألطف المواعظ كلها، وهي الهجرة الجميلة لسفهاء البرية وسفلها، عند الإعراض والترك لجدالها ومطالبتها، والتشاغل بها ومجالستها، فانظروا ما في هذه الكلمات من الحكمة وحسن التدبير والبركات، والسلامة من القبائح والشنع المهلكات، فنحمد الله على ما علمنا من كتابه، ونشكره على هدايته وآدابه.

ومعنى قوله عز وجل: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** (٢٠١) **وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ** (٢٠٢)**}** يريد عز وجل أن الذين

يخافون الله ويتقون عذابه إذا مسهم طائف من الشيطان، [وطاف يطوف بهم] [1]، أو أطاف بقلوبهم، ووسوس إبليس اللعين بالجهل في صدورهم، رجعوا إلى التذكر والتفكر بعقولهم، فإذا هم حينئذ مبصرون، وأما إخوان الشياطين فيمدونهم ويستدرجونهم، ثم لا يقصرون ولا يتذكرون، ولا يتقون ولا ينظرون.

{وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا (٢٠٣)} أي قالوا فهلا اخترعتها واعتملها، فرد الله عليهم **{قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي}**: ومعنى قوله: **{إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)*}** يعني بذلك سادتنا الملائكة المقربين، ومعنى عند ربك أي عنده مقربين مكرمين، وفي رحمته وكرامته غير مبعدين.

وصلى الله على سيدنا خاتم النبيين وعلى أهل بيته الأخيار الأبرار الطاهرين.

[تم الربع الثالث من تفسير الغريب من كتاب الله عزوجل، قال في الأم المنسوخ منها هذا الكتاب: وفرغ من كتابته في شهر رجب من شهور سنة أربع وعشرين وخمسمائة سنة (٥٢٤)هـ] [2].

---

[1] ما بين القوسين زيادة من (أ).

[2] ما بين القوسين زيادة من (أ).

تفسير غريب سورة الأنعام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

تأويل قول سيدنا عز وجل: **{وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}** أي خلقهما، **{ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ (١)}**، أي بربهم يشبهون، وهذا من العديل والشبيه والنظير والمثيل، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

ليس له شِبه ولا عديل جل وعز ربنا الجليل

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ} أي ثم قضى أجل الموت وعنده أجل مسمى للبعث والنشور، **{ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢)}** أي تشكون.

{وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ (٣)} أي وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض، ولكن هذا من التقديم والتأخير.

ومعنى قوله: **{فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ (٥)}** أي فسوف يأتيهم أخبار ما كانوا يتلهون به من الحق ويلعبون.

{وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمْرُ} أي لقضي هلاكهم **{ثُمَّ لاَ يُنظَرُون (٨)}**.

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (٩)} أي لو نزلنا ملكاً لجعلناه على صور الآدميين حتى تقع المحنة والفتنة والاختبار، عند لبسهم لما يلبسون، وتقع النصفة وتحكم العقول من المؤمنين الذين يعملون بالبينات وترك الظنون.

{قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ (١٢)} أي قل للمشركين لمن الذي في السموات والأرض من الخلق؟ قل لهم: هو لله.

ومعنى **{كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}** أي أوجب على نفسه الرحمة لعباده، ونفسه عز وجل هي ذاته.

---

[1] في (أ): الربع الآخر من كتاب تفسير الغريب من كتاب الله عزوجل من كلام المهدي لدين الله الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين ورحمته وبركاته.

ثم قال عز وجل مخبراً لعباده: {لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ} أي ليجمعنكم في يوم لا ريب فيه، ولكن إلى قامت مقام في، ويمكن والله أعلم أن يكون أراد ليجمعنكم بالتكثير لكم إلى يوم القيامة، ثم حشركم وبعثكم بعد الموت ونشركم.

ثم قال: {الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} على سبيل الاختصار، والمعنى في ذلك: الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون أنذرهم، ولكنه اختصر ولم يتم الكلام.

ثم قال عز وجل: {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ (١٣)} أي له وملكه وخلقه، كل ما حَلَّ ورحل في الليل والنهار، وهو من السكون والحلول، وليس يعني السكون الذي هو ضد الحركة.

ومعنى قوله عز وجل: {مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ(١٦)} أي فقد رحمه الله ولكنه اختصر.

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ (١٨)} أي هو القادر على عباده، قال علي بن الحسين صلوات الله عليه:

مليك عزيز لا يرد قضاؤه حكيم عليم نافذ الأمر قاهرُ

{وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ} أي لأحذركم من العذاب، ومن بَلَغَ من جميع الناس، وصدق عز وجل أنه نذير لهم ولكل من بلغ من غيرهم.

ومعنى قوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ (٢٠)} أي الذين آتيناهم الكتاب يعرفون هذا القرآن كما يعرفون أولادهم، لأن الله ذكره في التوراة لهم، وبشرهم به على لسان نبيهم.

ثم قال عز وجل: {الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} يعني الذين يعرفون الكتاب مع ذلك ويخفونه، ثم يعادون مع ذلك رسول الله ويجحدونه.

ومعنى قوله عز وجل: {ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢)} هذا سؤال التقرير والتبكيت والتوبيخ والتوقيف [والتعريف].

{ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣)} يريد عز وجل أن الشركاء لم تكن ضلاله لهم عن الصدف إلا بأن جحدوهم، وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين.

إلى قوله عز وجل: {انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ}، [يريد اعلم وافهم كيف كذبوا على {أَنفُسِهِمْ}[1] وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (٢٤)} أي وذهب عنهم الذي كانوا يخدعون، ويصنعون من المحال ويبتدعون.

{وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} أي ومنهم من يصغي بسمعه إليك ويسمع كلامك ولا يقبل ما لديك، {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا (٢٥)} هذا جعل تسمية لهم بالصمم والعمى، إذا لم يقبلوا ما أتى به من الحق والهدى، قال عز وجل: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا}[الزخرف/١٩]، أي سموهم، وليس يريد غير التسمية، فافهم ذلك.

ومعنى قوله: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ (٢٦)} معنى قوله: ينهون عنه أي يبعدون عنه ويبينون، قال الشاعر:

فمالي أراني وابن عمي مالكاً متى أدنُ منه ينأ عني ويبعدِ

{قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا (٣٠)} أي بلى وحق ربنا، على سبيل القسم بربهم، وذلك عند تبكيت الله لهم، وتوقيفهم على كذبهم وجهلهم.

{وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ (٣١)} [أي يحملون ذنوبهم على ظهورهم][2]، وهذا مثل مضروب بالأحمال على الظهور، إذ هي أتعب ما يكون من الأمور، وأفظع وأنكى لأهل الفجور، إذ يحملون ما لا طاقة لهم به من الشرور.

{فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)} أي إنهم لا يأتون بحجة تكذب قولك، ولكنهم يجحدون.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكونوا لا يكذبونك بقلوبهم، ولكنهم يجحدون بألسنتهم، لعداوتهم لله وتكذيبهم وكفرهم.

{وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)} [أي ولقد جاءك بعض خبر المرسلين][1].

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

[2] ما بين القوسين سقط من (أ).

ومعنى قوله: {فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ (٣٥)} أي فافعل إن قدرت ولكنه اختصر، وإنما أراد الله سبحانه بهذا الخطاب أن الرسول لا يقدر على ما طلبتم منه، وإنما الآيات من عند الله وعنه.

والنفق الذي ذكر: هو المدخل في الأرض والممر، قال العالم صلوات الله عليه:

يُهْدَى لدار البلاء عن غير قد حُطّ في عَرْصَةٍ منها له نَفَقُ

أو سُلَّمَاً في السماء: يريد أو مطلعاً إلى السماء، **والسُّلَّم**: أعواد موشجة يرقى بها إلى المرتفع من الجدر والبروج.

ومعنى قوله عز وجل: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ (٣٨)} الآية، يريد عز وجل أنه ليس من دآبة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا سيبعث، لأنهم أمم وقبائل مثلكم، خلقناهم للرحمة كما خلقناكم، وجعلناهم للنعمة والثواب كما جعلناكم.

ومعنى قوله: بجناحيه: فهذا توكيد وبيان مثل قول القائل: أتيت إليك بنفسي، وجئت أمشي على قدمي.

ومعنى قوله: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ (٣٨)} أي لم نتوان في شيء في الكتاب، ولكنا جعلنا فيه أصول جميع الأسباب، ولم نتوان في الخبر عن رحمتنا حتى ذكرنا البهائم والطيور والدواب، {ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} أي يجمعون في ذلك اليوم إلى الله وينشرون.

{قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ (٤٠)} معنى أرأيتكم: هو أعلمتكم، وأدركت يا هذا خبركم، {إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ} يا هذا المخاطب {تَدْعُونَ} أجيبوا في ذلك، {إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} توقيفاً من الله لهم على ضعف ما يعبدون، وعجز شركائهم التي يعظمون، والعرب إذا قالت: أرأيت، فإنما تعني بذلك: اعلم يا هذا، وهل علمت؟ وكذلك قال الشاعر:

رأيتك إن جالت بك الخيل جولة وأنت على برذونة كيف تصنع

---

(١) ما بين القوسين سقط من (أ).

ومعنى قوله عز وجل: {فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ(٤١)} يريد لا يكشف الضر غيره عنكم، إذا نزلت إحدى مصائب الزمان عليكم، وأنتم تنسون عند ذلك شركاءكم.

ومعنى قوله عز وجل: {انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦)} أي انظر بعقلك كيف نقلب الآيات والدلائل ونكررها، ثم هم يصدفون، ومعنى يصدفون: هو يصدون عن الحق وينحرفون، ويعرضون عنه وينصرفون، قال الشاعر:

عجبت لحلم الله عنا وقد بدى ... لـه صـدفنا عـن كـل حـق مُنَـزَّلِ

ومعنى قوله: {بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً (٤٧)}، والبغتة: هي المفاجأة والمباغتة على غير علم ولا انتظار، ولا أمل ولا تعبية ولا خبر.

والجهرة: هي المجاهرة والبيان، والمكاشفة والمواجهة والعيان، قال الشاعر:

بانـت بقلبـك أم عمـرو جهـرة

أي صراخاً ومباينة، وقال آخر:

وسلّ حديدي جهرة ثم تباً لك

{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (٥٠)} هذا مثل ضربه الله سبحانه للعلماء والجهال، وكذلك ما أشبهه من سائر الأمثال، فقس عليه ما شاكله من المقال.

{وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (٥٢)} أي لا تطردوهم يا معشر الناس، ولهذه الآية نظائر في القرآن وفي كلام العرب، وهو تعريض لغير المخاطب، قال الشاعر:

وأريـد قتلـك لا محالـة عنـوة ... ولـك السـلامة أن تكـون كـذلكا

ومعنى قوله عز وجل: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ (٥٣)} [أي امتحنا بعضهم ببعض] [1]، {لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا (٥٣)} أي لئلا يقولوا، ويسلموا ويقبلوا ما أتاهم الله ولا يغتموا، ولكن اللام في الأفعال المستقبلة وهي لام كي وكيلا وهي تنصب من الأفعال ما كان مستقبلاً تقوم مقام قوله لئلا.

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

ويمكن أيضاً وجه آخر: أن يكون أراد ليقولوا هؤلاء مَنّ الله عليهم من بيننا ونحن نشهد بفضلهم، ونسلم في ذلك لأمر خالقنا.

ويمكن: أن تكون الألف من قوله أهؤلاء صلة وزيادة، وليس لها معنى غير ما ذكرنا، فكل ذلك جائز في قولنا.

ومعنى قوله عز وجل: **{مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ (٥٤)}** أي لم يتعمدها، ولم يقاطع الله فيها ولم يقصدها، **{ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ}** أي من بعد السوء وقصده، ورجع منه إلى طاعة ربه، فإنه غفور رحيم.

ويحتمل وجهاً آخر: وهو جهل التجاهل، قال الشاعر:

ألا ليت حقاً ما رأيت فإنني ... رأيت معي في نوم عيني محمدا
يجادل عني القوم عند خصامهم ... ويدني لجهلاتي قضيباً مهندا

ومعنى قوله: **{وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ (٥٥)}** أي لتنظر سبيلهم، وتطلع وترى أمورهم، وقصدهم لغير طريق الحق وميلهم، فتجتنب عند ذلك طريقهم.

واللام تقرأ بالنصب من قوله {سبيلَ المجرمين} لوقوع الفعل عليها.

ومن قرأها بالرفع جعلها هي التي تبين، وتصح لجميع الناظرين وتستبين، وكلا المعنيين صواب عند أهل العلم لا ينكر.

ومعنى قوله عز وجل فيما ذكر من قوله وأمره لنبيه صلى الله عليه وآله: **{مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ (٥٧)}**: أي ليس عندي الذي تطلبون من العذاب، وتستعجلون من مناقشة الحساب، **{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ }** أي ما الحكم إلا لله، **{يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)}** أي يخبر بالحق ويقصه قصاً، ويبينه للناس وينصه نصاً، **وهو خير الفاصلين**: أي وهو خير القاطعين الذين يقطعون الحقوق ويفصلونها ويبينون أمرها.

وقرئ أيضاً: **{يقضي بالحق}** مأخوذ من قضى يقضي قضاء، وكلاهما صواب.

ومعنى قوله: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ (٥٩)} أي وعنده علم الغيب الذي لا يعسر عليه عسير، ولا يحتجب عنه ظاهر ولا مستور، ولا يعزب عنه صغير ولا كبير، لكنه ضرب المثل بالمفاتيح لعلمه، كما ضرب المثل بالكتاب وحفظه، وليس [ثَمَّ] كتاب مكتوب، وإنما هو مثل مضروب، قال الشاعر:

في كفه من رُقَى الشيطان مفتاح

أي معه حيل من عزائم الشيطان حتى سهل عنده ما يتعذر على غيره فضرب المثل بالمفتاح.

ومعنى قوله عز وجل: {إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} أي في علم عليم.

{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ} أي يقبض أرواحكم بالليل عند المنام، {وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ} أي ما كسبتم في النهار، {ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ} أي ثم يرسلكم في النهار، {لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى} حتى حين يقضي أجلهم عند الممات، {وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً} أي حافظين لأعمالكم، {حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ (٦٠)} أي توفته وأخذت روحة ملائكتنا، وهم لا يقصرون ولا يتوانون في ذلك ولا يفترون.

ومعنى قوله: {تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً (٦٣)} أي تذللاً جهاراً وخفى.

ومعنى قوله عز وجل: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ (٦٥)} الآية، وصدق الله عز وجل إنه القادر على عذابهم، وعلى التخلية بينهم، حتى يلتبس بالتخلية والترك وبين شيعهم، والشيع هي الجمايع والفرق.

ومعنى قوله: {وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} فيحتمل أن يذيق الفاسقين بأس المؤمنين، ويأمر أولياءه بقتل الظلمة المجرمين.

ومعنى قوله: {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ (٦٧)} أي لكل خبر نهاية يصل إليها، ويستقر ويقف عليها، ويتبين حينئذ عند نهايته، وتكشف الدهور عن حقيقته وغايته.

{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا (٦٨)} أي يخوضون في رفض دلائلنا، ولكنه اختصر، والخوض هو الجولان في الشيء، قال الشاعر:

خاض المكاره مرضياً لإلآهه وسرى إليه بعزمه مع من سرى

أي سار في المكاره في طاعة الله عز وجل، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

وإذا غمرة المنايا اقمطرت خضتها بالقناة حتى تجلى

والعرب تقول: خضنا السيول والمياه خوضاً، ويقولون خضنا في الكلام وجلنا فيه، وقال الشاعر:

يخوضون في ذكر الحروب وأنتم لدى الحرب أنكاس وغير كرام

{وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)} إلى قوله:**{لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩)}**: يريد عز وجل أنه لا يجوز لك بعد تذكر فرض الهجرة أن تقعد معهم، ولا ينبغي لك أن تسمع أذاهم لله وكفرهم.

ومعنى قوله: **{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ (٦٩)}** أي ما على أولياء الله من عقاب أعدائه شيء لو جلسوا معهم ووعظوهم وزجروهم عن كفرهم، ولكن القيام والإعراض عنهم موعظة لطيفة بليغة لهم وتذكرة، ودليل على مقتهم.

ومعنى قوله: **{وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ (٧٠)}** أي ذكر بالقرآن لئلا تعذب نفس بما كسبت، والبسل: هو الهوان، قال الشاعر:

فَبَسْلاً لهذي النفس بَسلاً فإنها عصتني في ليلى وليلى تهينها

ومعنى قوله عز وجل: **{وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا (٧٠)}** أي وإن تنصف كل نصفة من وعدها، فليس يقبل ذلك منها ولا يردها، ولو وعدت تلك النفس بالتوبة في يوم بعثها، لأن الله لا يقبل ذلك من النفوس إلا قبل موتها.

ومعنى قوله عز وجل: **{كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ (٧١)}** أي لسنا نرجع مثل ذلك الذي أهوته الشياطين في الأرض وأوقعته في الضلال، ولا نرجع من الحق إلى قول الجهال، فهذا معنى ما حكى عز وجل من قولهم، وتفسير ما ذكر من كلامهم.

ومعنى قوله: **{حيران}** أي متحير عن الهدى، [مرتطم وجل]، داخل في الضلال والردى، **{لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا}** أي له قرابة يدعونه إلى الرشاد، والخلاص من الحيرة والفساد، فلا يجيبهم إلى هداهم، ولا يسمع ولا يقبل نداهم.

ومعنى قوله عزوجل: {وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣)} هذه الآية من التقديم والتأخير، والمعنى في ذلك: عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير، وله الملك يوم ينفخ في الصور.

{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥)} أي نريه ونطلعه على ملكتنا للسموات والأرض ليكون من الموحدين، العارفين بالله الموقنين.

{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا (٧٦)} أي لما هجم الليل عليه وستره، وتبين على النهار وغمره.

ومعنى قوله: {رَأَى كَوْكَبَاً قَالَ هَذَا رَبِّي} زعموا أنه لما عقل وفهم، وهو طفل يومئذ لم يتعلم، أخطر الله على قلبه الفكر في بدء خلقته:

مَن الصانع الذي صنعه وجاد بصنعته، فلما جن عليه الليل رأى كوكباً، فقال: يمكن أن يكون هذا ربي، ولعله الذي صورني وصنعني، فلما أفل وتصوّب على رأسه، قال: لا أحب الآفلين.

فأما الذي نعمل به ونقول، وإليه في تفسير هذه الآية نميل، فنقول:

إنه كان يناظر قومه في عبادتهم للنجوم، ويدعوهم إلى عبادة الواحد الحكيم، فقال: هذا عندكم ربي أيها الجاهلون، والنجم حينئذ يكاد يغرب وهم ينظرون، فلما أفل وغاب متصوباً، جعل تصوبه على رأسه له عيباً، لأنه لا ينتكس على أم رأسه إلا ذليل حقير، ولا يفعل ذلك إلا عابث أو مقهور.

وإنما أراد بقوله هذا ربي على سبيل الاستفهام وحذف الألف، لجواز الحذف في الكلام، والمعنى فيه معنى البيان والإفهام، والتوقيف لهم والهداية والإعلام، والأفول هو المغيب عند المغرب، والبزوغ هو طلوع الشيء إذا طلع، وتبين عن الحجاب أوله وانقطع.

ومعنى قوله: {لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧)} أي لإن لم يهدني بما فهمني من توحيده وعلمني، لأكونن ضالاً مثلكم، إن افتريت على الله فراكم وجهلكم، أو قلت عليه من الشرك به قولكم.

{فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ (٧٨)} يقول صلوات الله عليه: وإلا فإن شككتم في الكوكب لصغره أو في القمر، فانظروا وهبوا أن الشمس ربي لأنها أكبر وأعلى مقداراً، من جميع النجوم وأنواراً، ليس ترونها في الذل والضعف والمسير، مثل النجم الذليل الحقير، ولا فرق إن عقلتم بين كبر النجوم وصغرها، إذ هي سواء في المسير بنفوسها، وتعود صاغرة على رؤوسها، ولست أحب الآفلين، ولا أعبدها كعبادة الجاهلين، وإنما خاطبهم بذلك على قدر عقولهم، إذ لا يقفون على دفائن التوحيد بجهلهم.

ثم قال صلوات الله عليه: {إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)} فدل بقوله إني بريء مما تشركون، على برآءته من قومه ومما يعبدون، ثم قال: إني وجهت وجهي، أي توجهت إلى الله بكليتي، وصرفت إليه وجهي وهمتي، وليس يريد وجهه دون قلبه ولسانه، وغيرهما من جوارحه وبيانه.

ومعنى قوله: {للذي فطر السموات والأرض}، أي إلى الذي خلقهن وابتدعهن، وسواهن بقدرته واخترعهن.

والحنيف: هو الثابت الذي لا يميل، ولا يزيغ عن الطريق ولا يحول، قال الشاعر:

حمدتُ اللهَ حين هدى ... إلى الإسلام والدين الحنيف

وقيل أيضاً: في الحنيف أنه المائل عن الشرك إلى التوحيد، واحتجوا بالحنف الذي يكون في بعض الأقدام، وهو الميل، قال الشاعر:

والله لولا حنف برجله ... ما كان فيكم من غلام مثله

وقيل غير ذلك، والقول الأول قول سلفنا، وهو المعمول عليه، وهو قولنا.

ومعنى قوله: {وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} أي ما أنا ممن يشرك بين الله وبين المخلوقين، ويقسم عبادته بين المالك والمملوكين.

{وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ (٨٠)} أي ناظروه وجادلوه، وخاصموه في إبطال التوحيد وفالجوه.

ومعنى قوله: {وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ (٨٠)} أي ولا أهاب ولا أرهب الأصنام التي أشركتم بها، وشبهتم الرب العظيم.

{فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)} يريد أي الجماعتين أحق بالأمان، من اجترئ على الله وأمن عذابه، ولم يخف لعنته وعقابه، ومن اجترئ على الأصنام وأمن عقابها، ولم يخف غضبها وعذابها، فإذا نظرتم في ذلك علمتم أنا أحق وأولى بالأمان منكم، لأنا عبدنا الله فأمنا العذاب، وتخلصنا من خوف الجمادات والأنصاب، فنحن من كلا الوجهين آمنون، وأنتم في حكم الله معذبون، إذ أنتم بالله كافرون، ولأنفسكم ظالمون.

{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ (٨٢)} الآية، أي لم يخلطوا إيمانهم بظلم ولا عصيان، ولم يشوبوه بجور ولا عدوان.

{أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ}، وهو الأمان، قال الشاعر:

بالشام أمن ليس فيه خوف

ثم قال عز وجل: {وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ (٨٤)} عطفاً على قوله هدينا فكأنه قال وهدينا من ذريته فلاناً وفلاناً.

{وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ (٨٧)} أي من هدينا ولكنه اختصر.

ثم قال {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ} قيل: معناه توليناهم، {وَهَدَيْنَاهُمْ}، ومن حباه شيئاً واجتباه، فإنما هو رفعه وأخذه وتولاه، وحازه وضمه إليه وآواه.

{وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٨٨)} أي لو كانوا كافرين لما هديناهم، وإذاً لهلك عملهم ولما توليناهم، لانا لا نخص بولاتنا، ولا نحبوا أحداً بنبوتنا، إلا لمعرفته بتوحيده لنا، وصدقَ الله عز وجل فيما قال من ذلك ونزّل وجعل.

ثم قال عز وجل ذاماً لقريش وإخوانها، ومن اتبعها من أوباشها وأعوانها، الذين كفروا بالنبوة وقالوا بجحدانها: {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩)} يعني بذلك أمير المؤمنين وذريته الأخيار الطاهرين، الذين وكلهم الله بالدعاء إلى نبوة جدهم، بعد

أمير المؤمنين والدهم، فهم بالذب عن الحكمة والنبوة موكلون، وعلى الله سبحانه متوكلون، وبطاعته في ذلك عالمون.

ثم رجع إلى ذكر الأنبياء صلوات الله عليهم مخبراً لنبيه صلوات الله عليه عن هدايتهم، فقال عز وجل وأمره أن يقتدي بهم، ويسير في عبادة الله بسيرتهم[1]، **{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ (٩٠)}** وفي الكلام تقديم وتأخير، والمعنى في ذلك: أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده، **{فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ}**.

ومعنى قوله: **{وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ (٩١)}** أي ما عرفوه حق معرفته، ولا قالوا على الحقيقة بقدره الجليل ورفعته، وكرمه على العباد ورحمته.

{إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ} يقول عز وجل: إنهم أنزلوا الله في غير منزلته، لأنهم توهموا أنه لا يخص البشر بنبوته، ولا يعطف عليه لضعفه عندهم وقلته، وتوهموا أن الله متكبر جبار على بريته، ولم يعرفوا حقيقة لطفه ومودته، ورحمته للموقنين ومحبته، وتوهموا أنه لا يجب عليه إظهار حكمته، جهلاً بالله عز وجل وإرادته، وقصده للتدبير وهدايته.

ومعنى قوله قبل هذه الآية: **{قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠)}** أي قل لهم لا أطلب منكم مال على هدايتكم، وإنما هو تذكرة من الله ورحمة لكم، ثم رجع إلى ذكر اليهود بعد احتجاجه لموسى عليه السلام، وما جاء من النور والهدى للأنام، فقال: **{تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا (٩١)}** أي يخفون كثيراً من الروايات، ويظهرون ما ليس فيه ذكر محمد صلى الله عليه وآله من الآيات، كفراً بالله وتعمداً، وبغضاً لخاتم النبيين وحسداً، وكنت أعجب من اليهود وعداوتهم، ومكابرتهم للحق مع معرفتهم، حتى رأيت بالمشاهدة قوماً من شكلهم من أمة جدنا، اقتدوا بفعلهم، وما كنت أظن في هذه الأمة

---

[1] في (أ): ويسير في عباد الله بسيرهم.

مثلهم، ولا كنت أحسب أحداً يتجاهل كجهلهم، حتى رأيت ذلك جهاراً من فعلهم، فلعنة الله ولعنة ملائكته عليهم.

ثم قال عز وجل: **{وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ (٩١)}** يعني جميع الخلائق كلهم أن الله عز وجل علمهم من القرآن ما لم ينزل قط مثله، ولا يكون ذلك أبداً، ولم يكن قبله، ولكنهم جهلوا الله عز وجل ولم يعرفوا فضله، فجحدوا عند ذلك تنزيله ورسله، ولو أحبوا الله لأحبوا قوله، ولسارعوا وطلبوا رسوله.

{قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} أي قل الله ربكم وأنا رسوله إليكم، ثم ذرهم في خوضهم ولعبهم، وقوله ذرهم وخلهم ودعهم:تهدد ووعيد لهم.

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} أي هذا كتاب نافع مصدق لما قبله، وصدق الله عز وجل ولا شريك له، إن هذا القرآن مبارك غاية البركات، وأي بركة أعظم من قول فاطر السموات، وحكمة عظيمة لا يحصى ما فيها من الآيات، ولا ينقطع ما جعل الله فيها من الدلالات، بحر عميق ستره الله وأخفاه، وكتمه [واكتنزه] عن أكثر عباده وواراه، وسنكشف بعون الله عن بعض أستاره، ونظهر برحمة الله بعض أسراره، وعجائب حكمته وأخباره، وان كنا لا نحيط بغاية جمة أغواره، ولو رمنا شرح جميع ذلك طول أعمارنا، لخلت أنا لا نبلغ فيه الغاية بمرادنا، لأن كل كلمة منه تحتها كلام عزيز، وعلم واسع جم كثير، وكل تفسير منه له تفسير، فما نطلب من ذلك حكمة يسيرة، إلا وجدنا بحمد الله حكماً عزيزة [غزيرة]، وعلوماً هائلة كبيرة، يمدُّ بعضها بعضاً، ولا يجد ملحد أبداً لها نقضاً، ومع ذلك فليس يدرك جميع مقصوده، ولكن الله أعطانا الكفاية بتسديده.

ثم قال عز وجل خبراً صادقاً، وذكراً لمن يعقل نبأً حقاً، وهو قوله: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ (٩٢)}** الآية.

ومعنى ذلك: أن من أيقن بالآخرة وكونها، وصدق بآيات الله وبيانها، لأن الآخرة لا بد لها من دليل يدل عليها، وسائق من الهدى يسوق إليها، وإذا كان ذلك واجباً على الحكيم بعدله،

ورحمته لعباده وفضله، فلا نعلم دليلاً أبين من القرآن، ولا أشفى ولا أوضح من الفرقان، ولا أبهر ولا أنور في البيان، فما جاء به محمد وأهل بيته من البرهان، ولا بُدَّ عند من عقل من أن يقهر دين الحق جميع الأديان، فأين رحمكم الله دين أقهر من ديننا، وأين حجة أقطع من حجتنا، وذلك ببركة الله وبركة جدنا، ووصيه أمير المؤمنين والدنا، ونسله الطاهرين من أئمتنا.

ثم قال: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللّهُ (٩٣)}** يقول عز وجل لا يكون أحد في الظلم أظلم، ولا في الكبائر أكبر ولا أعظم، ممن يكذب على الله وينحله المحال، ويقول قال الله ولم يقل شيئاً من ذلك المقال، أو يجحد الله بالكذب والضلال، ويجتري بذلك على الواحد المفضال، أو يدعي الوحي فيهلك الجهال، أو يقول سأنزل مثل ما أنزل الله، فيجحد كتابه، ويشبه بجهله حكمة الله وصوابه.

{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ (٩٣)} أي لو تراهم لعجبت منهم، ولسرَّك ما نزل بهم، إذ هم في غمرات موتهم.

وغمرات الموت: هي غشواته حتى يعم الكرب عقولهم، ويقطع فكرهم وقولهم، والغمر للشيء في اللغة: هو الستر له حتى يغيب ويذهب.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ}** أي يشيرون بتلك الأيدي الظاهرة إليهم، ويمدونها -والله أعلم- لديهم، ويقولون لهم عند قبضهم يوم القيامة، أو عند موتهم، وإخراج أروحهم وأنفسهم: أخرجوا أنفسكم من العذاب، بعذر صادق عند رب الأرباب، فلما أبلسوا من العذر وانقطعوا، ولم يجدوا حجة ولم يشفعوا، قال سادتنا حينئذ لهم: اليوم تجزون عذاب الهون.

{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ (٩٤)} أي جئتمونا يوم القيامة وحدكم، وتركتم ما ملكناكم وراء ظهوركم، ولم ينفعكم جمعكم وذخائركم، إذ خرجتم من قبوركم وحفائركم، كما خرجتم من بطون أمهاتكم فرادى، لا تملكون مالاً ولا ولداً، ولا تسترقون من الخول أمة ولا عبداً.

ومعنى قوله: {الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} أي زعمتم: أنهم عندكم شركاء في قولكم.

ومعنى قوله: {لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ (٩٤)} أي تقطع ما بينكم من الوصال، عند انقطاع ما وعدناكم به من الآجال، وحلول المصائب من الله ذي الجلال.

{إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} أي فالق الحب والنوى عند النبات، لما في ذلك من عجائب الآيات، **والحب والنوى**: هما معروفان، وهما عند الناس لا ينكران.

ومعنى {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ (٩٥)} زعموا أنه يخرج المؤمن من صلب الكافر، ويخرج الكافر الميت عن الهدى من المؤمن الحي الذي اهتدى.

والمعنى في ذلك الذي هو أحب إلينا: أن الله أخرج الأحياء من الجمادات، ومن النطف الحقيرة الموات، وأخرج النطف الميتة من الحيوانات، لما في ذلك من الدلائل النيرات، وما جعل فيها من الحكمة والآيات.

ومعنى قوله: {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا (٩٦)} أي فالق الإصباح من الليل.

ومعنى قوله: {جاعل الليل سكناً} فهو جعله لليل مسكناً للعباد، يسكنون فيه من حركاتهم، وأما جعله للشمس والقمر حسباناً: فهو جعله لهما للحساب، ومعرفة الزمان وما فيه من معرفة الأسباب.

ومعنى قوله {فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ(٩٨)} أي فمستقر في الأرحام، ومستودع متروك في الأصلاب.

ومعنى قوله: {فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ (٩٩)}، معنى قوله: فأخرجنا منه خضراً: أي أخرجنا النبات ورقاً أخضر، ثم أخرجنا من ذلك الورق حباً متراكباً.

والخضر: هو الخضر الأحسن الناعم الناظر، قال العالم صلوات الله عليه:

دنياي ما زال همي فيك متصلاً وإن جنابك كان المزهر الخضرا

والحب المتراكب: هو الذي بعضه فوق بعض في السنبل، معروف ذلك عند من ينظر ويعقل.

ومن النخل من طلعها قنوان دانية: أي قنوان قريبة غير نائية.

والقنوان: هي جماعة الأقناء، وهي في بعض اللغة الأمطاء، والواحد منها قنو، والجماعة قنوان، على مثل قول القائل حب وحبان، ومثل قوله: نمر ونمران، قال الشاعر:

وأخرج قنواناً من البسر أحمرا

ومعنى قوله: **{وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ (٩٩)}** أي مشتبهاً ومختلفاً، فتفكروا في ثمره إذا أثمر وانظروا إليه بعقولكم، وانظروا إلى ينعه، وهو نضجه وبلوغ أوانه.

ومعنى قوله: **{وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ (١٠٠)}** هذا من التقديم والتأخير، والمعنى في ذلك: وجعلوا الجن شركاء لله، لأنهم كانوا يعوذون بهم كما يتعوذون بالله ربهم.

ثم قال: **{وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ (١٠٠)}**، أي اخترقوا ذلك محالاً وكذباً واخترعوه، واختلقوا زوراً منهم وابتدعوه.

ومعنى قوله عز وجل: **{نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ (١٠٥)}** أي ليقولوا درست على الملك وتعلمت منه وبذلك أمرناهم، وإلى قوله واعتقاده ندبناهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ (١٠٧)}** فصدق الله لو شاء لزمهم عن الشرك ومنعهم، ولكنه مكنهم من القوة ثم أمرهم.

{وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ (١٠٨)} أي لا تشتموا أصنامهم فيشتموا الله، عَدواً بغير علم يستحق الله به شتمهم، إلا ظلماً لأنفسهم لشتم ربهم، وإنما كره الله ذلك لأوليائه لئلا يعرضوا ذكره للسفل فيستخفوا بحقه، فيشاركهم من فعل ذلك في شتمه.

ومعنى قوله عز وجل: **{كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ (١٠٨)}** أي لما أملينا لهم كان إملاؤنا تزيينا لفعلهم وإن كنا لم نرض مع الأملاء بعملهم، وإنما هذا على المجاز لا على الحقيقة.

ويمكن أن يكون التزيين من الله هو لما جعل وركب في أنفسهم من الشهوات، التي جعلها محنة لهم، ليفرق بذلك بين أولياء الله وبينهم، فإما ما ذهب إليه أهل التشبيه من شتم ربهم، فلا نقول في ذلك إن شاء الله بقولهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٠٩)}** أي ويعلمكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، وما هاهنا صلة وزينة للكلام.

ومعنى قوله: **{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)}** قيل -والله أعلم-: أن الله كافاهم بذلك على ضلالهم، ولو كان ذلك حقاً لما دعاهم إلى الإيمان بعد أن منعهم، ولزمهم عن التوبة وقطعهم، **والمعنى في ذلك عندنا**: أنه قلب أفئدتهم وأبصارهم بالترك لها على تقلبها، إذ لم يحل بينها وبين جهلها، والدليل على أنه أراد تركهم.

قوله عز وجل في آخر الآية ونذرهم في طغيانهم يعمهون، معنى قوله نذرهم: هو نخليهم يعمهون، ويتحيرون في كفرهم ولا يخبرهم بالخبر عنه ولا يمنعهم.

ويمكن أن يقلب أفئدتهم وأبصارهم في الموت والعذاب، وكل ذلك لا يخرج من العدل والصواب، لأنه يليق بالله ولا ينكر في الألباب.

{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ (١١١)}: [يريد عزوجل أنه لو أنزل إليهم الملائكة وكلمهم] [1]، وجمع إليهم كل شيء من دلائله عنده، لما أيقنوا لشده ما أوزعوا أنفسهم من التجاهل والعمى، وعظيم كفرهم ومقتهم لأحكم الحكماء.

ثم قال عز وجل: **{إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ}** يريد إلا أن يشاء أن يجبرهم فهو قادر على ذلك منهم، وإنما قال ذلك عز وجل دليلاً على قدرته عليهم، وأنهم لم يمتنعوا بغلبة تغلبه منهم، ولكنهم اختاروا هلاك أنفسهم، إذ مكنهم من الاختبار لفعلهم، ثم قال عز وجل مخبراً عن سلامة قلوب المؤمنين وجهلهم بما في أنفس الكافرين، ولكن أكثرهم يجهلون، يريد بذلك التنبيه لأوليائه على قلة يقين المشركين، وفاحش ما استتر عنهم من قلوب الفاسقين، ولأن لا يصدقا هؤلاء المنافقين.

---

[1] ما بين القوسين زيادة من (أ).

ويمكن أن يكون أراد تجهيل المشركين.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ (١١٢)} يريد عز وجل أنه حكم على كل نبي من أنبيائه بعداوة من كفر من أعدائه، وسماهم بعداوة أوليائه، وليس على ما توهم الجاهلون من الخبر لهم على عداوة النبيين.

ومعنى قوله: **{يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا (١١٢)}** أي يوحي كل شيطان قوم إلى قومهم، شياطين الجن توحي إلى شياطينها، وكذلك شياطين الأنس توحي إلى إخوانها.

وقيل أيضاً: أن الجن كانوا يوحون إلى الآدميين زخرف القول غروراً.

والزخرف: هو الزينة في ظاهر الأمر، وأما الغرور فهو الخدع والمحال والزور.

{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)} هذا على وجه التهدد لهم، ولو شاء على الحقيقة منعهم لمنعهم، لأنه قارد على ذلك ولكنه تركهم ولم يرضى عز وجل بفعلهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ (١١٣)}**، [هذا يرجع إلى قوله: يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً لتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، الآية] [1]، ولكنه من التقديم والتأخير، والواو من قوله ولتصغى إليه ليس لها معنى إلا الصلة والزينة للكلام.

ومعنى قوله: **{وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ}** [أي فعل الشياطين ووحيهم وكلامهم، وزينوا كذبهم ومقالهم لتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة] [2].

{وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ} أي ليكتسبوا من الكفر ما هم مكتسبون، ومعنى ما هم مكتسبون أي ليكتسبوا ما كسب شياطينهم.

ومعنى هم – ها هنا– اسم لشياطينهم لا لهم.

{وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ (١١٨)} أي فهو حلال لكم.

---

[1] ما بين القوسين زيادة من (أ).

[2] ما بين القوسين سقط من (أ).

{وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ (١٢١)} ليس يريد أن البهيمة فسق في ذاتها، وإنما عنى بالأكل والتناول لذبائح المشركين وأخذها، وإنما يرجع ذلك إلى قوله لا تأكلوا، ومعناه لا تأخذوا ولا تناولوا.

{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)} روي أن شياطينهم قالوا لهم ناظروا محمدا وأصحابه، وقولوا لهم كيف تأكلون ذبائحكم ويتركون الميتة وهي ذبيحة ربكم، وهذا من جهل الشياطين وكفرهم ومكابرتهم وعمى قلوبهم، لأن الحكيم أمر بذبح البهائم لأسباب من حكمته، وحرم الميتة لكمال نعمته، لما فيها من الخبث الذي لم يطلع عليها أكثر بريته، ولو شئنا لذكرنا من ذلك طرفاً، ولكن في التسليم لأمر الله ما كفى، وليس من قليل ولا كثير من الدين، ولا حلال ولا حرام في الكتاب المبين، إلا وفيه علل معروفة عند أهلها، غفل عنها أكثر البرية لجهلها، وذلك أصل واحد يكفي من تعلق به وهو التسليم واليقين بحكمة الله ربه، والشرائع كلها لها علل جائزة في المعقول، وأصول واضحة عند أهل العقول، يكتفي أهل الإسلام عن ذلك بمعرفة الأصول.

ومعنى قوله عز وجل: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا (١٢٣)} أي لئلا يمكروا فيها فقامت اللام ها هنا مقام لئلا وإنما جعل الله المتشابه محنة للمكلفين، وفرقاً بين المهتدين والضالين، وتفضيلاً منه للعلماء على الجاهلين، [وكم من ناقل للعلماء على الجاهلين] [1]، وكم من ناقل لحديث يعرف ظاهره وقوله، ولا يميز ولا يفهم تأويله.

ومعنى قول سيدنا عز وجل: {وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)} أي ما يرجع وبال مكرهم إلا عليهم، ولا يحل ذلك المكر إلا بهم.

ومعنى قوله: {وَمَا يَشْعُرُوْنَ} أي وما يعلمون بما لهم في ذلك من النكال، ولا يوقنون بما أعد الله لهم من الوبال.

---

[1] ما بين القوسين زيادة من (أ).

ومعنى قول الله عز وجل: **{اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ (١٢٤)}** وكذلك الله سيدنا أبصر، وأعلم بجميع العباد وأخبر، وهو المطلع على القلوب والضمائر، والناظر لما في مغيب السرائر، فمن رآه الله أهلَ الرسالة أرسله إلى عباده، وجعله مصلحاً في جميع بلاده.

ومعنى قوله: **{سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ (١٢٤)}** أي سينالهم ذل وتصغير وعذاب، حتى يذهب بكبرهم وتجبرهم عند الحساب، والوقوف بين يدي الله رب الأرباب، وهم حينئذ أذل من التراب، وأصغر عند الله وأحقر من الذباب، لما عاينوا من الهول في يوم الإياب، ولما أتوا به في الدنيا من قبائح الأسباب.

ومعنى قوله عز وجل: **{فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ (١٢٥)}** أي يوسع صدره بالحكمة للسلام، ومعرفة الله ذي الجلال والإكرام، الذي من عرفه اضطلع بالأثقال الجسام، وسهل عليه ما تصعب على جهلة الأنام، **{وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ}** أي يسميه بالضلال أو بالترك له على ما هو فيه من المحال، **{يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء}** هذا جعل عقوبة من الله لعدوه بالعذاب، والمحن الذي يضيق صدره فيها من كرب العقاب.

ويحتمل أيضاً: أن يكون عز وجل ضيق صدره بما جعل لأوليائه من الفضل المبين، فضاقت صدور أعداءهم من الحق اليقين، وارتفاع أولياء الله في درج الدين، فلما كان الله هو الذي فضل أوليائه، وغم بتوفيقهم أعداءه، جاز أن يقول جعل صدره ضيقاً حرجاً، فأسالِ الله أن لا يجعل لهم من ذلك فرجاً.

والضيق والحرج معنى واحد، ولكنه ذكره وزاده بياناً ورده، وإذا اختلف اللفظ حسن التكرير مثل قول العليم الخبير ومعناهما واحد، ولكنه تكرير.

ومعنى قوله **{العليم الحكيم}**، وكذلك الرحمن الرحيم.

ومعنى قوله: **{كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء}** أي كأنه يتصعد في السماء، ولكن ما صلة للكلام، واختصر بحذفه للتاء.

قوله {كأنما يصعد في السماء}، ومعنى يصعد هو يتصعد، ولكن تشديده للصاد تقوم مقام التاء، وكأنما هي لغة عربية يراد بها من كان، ولكنهم وصلوها بما وجعلوها زينة لها وتماماً.

قال الشاعر يصف الركاب وتسييرهم لها:

فقالوا بححناهن حتى كأنما عليهن مابات في القار منقعا

يريد حتى كأن عليهن مابات منقعاً في القار.

ومعنى قوله: **{كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}** أي كأنه يتصعد ويطلع ويمشي في موضع مرتفع أعلى، وإنما ضرب الله ذلك مثلاً لتعب من يمشي صعداً مثقلاً، فكذلك هذا الحاسد لأولياء الله، كلما ازدادوا فضلاً ضاق صدره، وصار بمنزلة من يصعد جبلاً أو موضعاً منتصباً لا يجد فيه سهلاً، والعرب تسمي كل ما ارتفع من الأشياء سماء، وإنما سميت السماء بهذا الاسم: لارتفاعها، قال الشاعر:

وامدح أميرين وقل ملّاهما محمدين قد سما بختاهما
بالجود حتى كملا كلاهما

يريد بقوله سما بختاهما: أي ارتفع شانهما وملكهما وحظهما في الجود وحقهما، وعلى في الرفعة نصيبهما.

ومعنى قوله: **{كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٢٥)}** أي كذلك يجعل الله العذاب والسخط على الكافرين.

ومعنى قوله عز وجل في أولياءه المؤمنين: **{لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ (١٢٧)}** أي دار السلامة من جميع الآفات، والمصائب والنوائب والمهمات، لأنها دار جعلها الله للثواب، ونزهها وطهرها من الهموم والعذاب.

وقيل أيضاً: أن السلام هو الله، والدار فهي له وملكه.

{وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [أي هو وليهم وحبيبهم، بما كانوا يعملون، ومعناه من أجل ما كانوا يعملون] [1]، ويطيعون فيه من الأمر والنهي ولا يعصون.

ومعنى قوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ} أي قد استكثرتم من الفاسقين، الذين اتبعوكم في الضلالة وكانوا لكم تابعين، ولشياطينكم في الكفر والفساد مطيعين، حتى كثر أمثالكم من العاصين، وصاروا لكم في حكم العذاب مشاركين.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون أراد يا معشر الجن قد استكثرتم مع الأنس من الذنوب، وفعلتم مثل فعالهم من القبائح والعيوب، ولكن من قامت مقام مع لأنهما من حروف الصفات.

{وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا (١٢٨)} يريد عز وجل أنهم سيقولون في ذلك اليوم ربنا استمتع بعضنا ببعض، يريدون أن الأنس كانوا يتلهون عن طاعة الله بطاعة بعضهم، وكذلك الجن فيما بينهم، حتى بلغوا أجلهم الذي جعله وختمه لهم من موتهم وبعثهم وعذابهم.

ومعنى قوله عز وجل: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} أي نتركهم على ولايتهم، ولا نمنعهم من ذلك إلى حين موتهم، فذلك الذي يقطع بين مواصلتهم، ثم يعذبون على موالاتهم في غير طاعة الله خالقهم وربهم.

وقوله {بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}: يدل على أنه لم يجبرهم على ولايتهم، وأن ذلك باكتسابهم وإرادتهم.

ومعنى قوله: {وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)} يريد عز وجل أنهم ابتدعوا بدعاً لم يأمر الله بها، ولم يرضَ سبحانه بفعلهم لها، وذلك أنهم جعلوا من أموالهم طرفاً لله ولأصنامهم ومصالحها، التي هي عند الله من أقبح فسادهم، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله، أي لا يصل إلى ثواب الله ولا يرضيه، ولكنه

---

[1] ما بين القوسين زيادة من (أ).

يعذبهم فيه ويعاقبهم عليه، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون، يريد وما كان لله من الأموال التي خلقها وأوجدها لطاعته فهم يصلون ذلك إلى أصنامهم، ويلعبون به لجهلهم وخبالهم، في غير منفعة ولا فائدة لهم ولا لغيرهم.

ومعنى **{سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}**: هو قبح ما يفعلون ويحكمون به من الجهل ويقولون.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** (١٣٧)} يريد عز وجل أن شركاءهم زينوا لبعضهم قتل بناتهم، وهؤلاء الشركاء فهم الرؤوساء الذين يشركون بينهم وبين الله في عملهم وطاعتهم.

ومعنى قوله **{لِيُرْدُوْهُمْ}**: أي ليهلكوهم، ويوقعوهم في معاصي الله ويضلوهم، ويفسدوا بالتخليط والتلبيس دينهم.

ومعنى قوله: **{وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوْهُ}** فكذلك الله قادر على منعهم، ولكنه لم يحل بينهم وبين فعلهم، ليفرق بذلك بين مطيعهم وعاصيهم.

ومعنى **{فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُوْنَ}**: هو دعهم وخلهم واتركهم، واترك عملهم، وهاجر في أرض الله عنهم.

ويمكن أيضاً: أن يكون على سبيل الوعيد لهم، والعرب إذا تواعدوا بعض أعدائهم قالوا: ذره ودعه فنحن نعاقبه ولو طال الزمان.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ** (١٣٨)}، **أما الحجر**: فهو الحظر المحظور المحرم، **{وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** (١٣٨) **وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ** (١٣٩)}، كل ما حكى الله عز وجل بدع وشرائع كانت للمشركين.

ومعنى قوله عز وجل: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ (١٤٠)}، أي قد خسر الذين قتلوا أولادهم حمقاً وجهلاً، وحرموا ما رزقهم الله بالشرائع التي شرعوها، والمذاهب القبيحة التي ابتدعوها.

ومعنى قوله: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ (١٤١)}، أي ألفافاً من الشجر، وهي الجنات في لغة العرب.

ومعنى قوله {معروشات}: أي بأعماد معمودات، وهي الأعناب وما شاكلها، وما كان يحتاج إلى الأعماد مثلها، وأما ما كان غير معروش فهو معروف من هذه الأشجار التي تقوم بأنفسها، ولا تحتاج إلى عمد غيرها.

ومعنى قوله: {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ (١٤١)}، أي في أيام قطعه، فسمى الأيام يوماً، وهو جمعاً، والعرب تسمي الجماعة باسم الواحد.

وهذا يدل على أنه لا يحل أن تُحبس الأعشار والصدقات بعد أيام إخراجها، ولا يجوز لأحد أن يلزمها ويفرقها[1] على أهلها.

ومعنى قوله عز وجل: {وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا (١٤٢)}، أي وأنشأنا من الأنعام حمولة وفرشاً، ولكنه أضمر ونصب حمولة لوقوع الفعل عليها، وعطف ذلك على قوله أنشأنا جنات.

والحمولة: هي ما كان يحمل عليه من الإبل، **أما الفرش**: فهو ما يفرش من أصوافها وأوبارها وأشعارها.

ومعنى قوله: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} أي لا تتبعوا أثره، ولا تسيروا سيرته، **والخطوات** مثل مضروب، يراد به لا تفعلوا مثل فعله، والخطوات بالتخفيف: هي جماعة خطوة من الخطاء، وليس لجماعة الخطية، فاعلم ذلك.

ثم رجع عز وجل إلى تبكيت المشركين وتوقيفهم على بدعهم، وما افتروا على الله سراً من شرائعهم وشنعهم، فقال: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} أي ثمانية أصناف، وعطف ذلك ونصب ثمانية نسقاً

---

[1] في (أ): ويقترها.

على قوله حمولة وفرشاً، ونصب حمولة وفرشاً بالعطف على قوله **{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوْشَاتٍ}**، وإنما أراد التوقيف لهم بقوله عز وجل: **{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ (١٤٣)}**، أي من الضأن ذكر وأنثى، ومن المعز كذلك أيضاً ذكر وانثى، **{قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ}**، فجاء لفظه يشبه الاستفهام، ومعناه معنى التقريع لهم والتكبيت والتوقيف على ما ابتدعوا في الحلال والحرام، **{أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ}** يريد أم الذي وارته وسترته أرحام الأنثيين، وأم في هذا الموضع بمنزلة التفهم في اللفظ ومعناها معنى التوقيف، وما بمنزلة الذي ولكن أم أدغمت في ما وجعل بدلها التشديد في ما.

ومعنى قوله: **{نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)}**، [هو خبروني بعلم يقين، ولا تخبروني بالبدع والظنون، وثبتوا على دعواكم إن كنتم صادقين] [1]، وهذا أمر يأمر الله به نبيه صلى الله عليه وآله، فَجَادَلَهم في بدعهم وأخزاهم بذلك وقطعهم.

ومعنى قوله: **{أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ (١٤٥)}**، **أما الدم المسفوح**: فهو الدم المسال الذي أسيل أو خرج، وكل سائل فهو مسفوح في اللغة، قال الشاعر:

جون كأن العرق المسفوحا ألبسنه القطران والمسوحا

ومعنى قوله: **{أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ}** أي فإنه نجس وقذر ذو دنس، قال الله عز وجل: **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}**، أي يطهركم من النجس، ويذهب عنكم أوساخ الكفر والدنس.

والرجس أيضاً على وجه آخر قد ذكرناه فيما مضى من التفسير.

ومعنى قوله: **{أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ (١٤٥)}**، يريد أو خروجاً من الدين، ذُكر ونُطق به لغير وجه الله، يريد عز وجل أنه لا يحل لأحد أن يهل ولا يتكلم بغير ذكر الله على ذبيحة ولا غيرها، وسمى ذلك الكلام فسقاً أهل به ونطق لغير الله، **والإهلال في اللغة**: هو الجهر بالكلام، قال الشاعر:

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

أهلوا بذكر الله وامضوا فإنني مهل بذكر الغانيات وراجع

{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ(١٤٥)} أي من الحي، واضطرته الحاجة والضر إلى شيء من المحرمات، من ذبائح المشركين والميتات، غير باغ على نفسه بالظلم ولا عاد عليها، فإن ربك غفو رحيم.

ومعنى قوله عز وجل: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ (١٤٦)}، أي من السباع ذوات الأظفار، والجمال أيضاً لها أظفار، فلا أدري أحرمت عليهم أم ذلك خاص في كتابهم، ولسنا نبالي ما حرم الله عليهم ولا ما أحل لهم لأن شريعتنا ناسخة لشريعتهم.

ومعنى قوله: {وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا (١٤٦)} وهي أماصر محوية، وهي في بطن الشاة مطوية، وإنما سميت حوايا لتحويها، وهو تعرجها على الشحم وتطويها، والعرب تسمي الحضيرة من الدور حوية، لأنها تحوي ما دخلها وتؤيه، وتعطف عليه بأقطارها وتلويه.

ثم قال عز وجل: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ}، أي تحريمنا ذلك عليهم إنما هو مكافأة منا لهم على ظلمهم، ومجازاة وعقوبة على فسقهم، وإنما حرم ذلك بمنزلة النقص من أموالهم.

ومعنى قوله: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ (١٥١)}: هذا دليل على رحمة الله عز وجل للوالدين، إذ أمر بالإحسان إليهما، إذ ليس أحد أحق بالإحسان منهما، لأن الوالد يشقى على ولده، ويكون عنده بمنزلة كبده، وأراد الله عز وجل من عباده الرحمة للوالدين بما قد فعلا من الجميل والإحسان، وكفلا بتعب النفوس والأبدان، ثم لا يفارقها الغم والشفقة أصلاً، حتى يموت أقربهم أجلاً.

روي أن رجلاً عاتب ولده بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنشأ يقول:

أتزعم أني قد كبرت وعبتني ولم يأت لي في السن ستون كملُ
وسميتني باسم المفند رأيه وقلتَ ولم تعدل أنا منك أفضلُ
غذوتك مولوداً وعلتك ناشياً تعل بما أجني عليك وتنهل
متى ليلة بالشكو نابتك لم أبت لشكواك إلا ساهراً أتململُ

كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به فالعين بالدمع تهملُ
فلما بلغت الخير والغاية التي إليها رجا ما كنت فيك أؤملُ
جعلت جزائي غلظة وتجهماً كأنك أنت المنعم المتفضلُ
فليتك إن لم ترع حق أبوَّةٍ فعلت كما الجار المجانب يفعلُ

قيل فلما سمعه النبي صلى الله عليه وآله حزن لقوله ورحمه حتى تغرغرتا عيناه بالدموع، ثم قال صلوات الله عليه: ((أنت ومالك لأبيك))، ولم يقل ذلك عن نفسه، ولم يخبر عنه عليه السلام برأيه، لأنه صلوات الله عليه أورع وأصدق من أن يتكلم، أو ينطق بغير أمر الله أو يحكم، وإنما هذا حكم الله جعله، وأنطق به رسوله ونزله.

وأما قوله عز وجل: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ} فهو لا تقتلوهم خوفاً من الفقر، ثم قال: {نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ (١٥١)} يريد إذا أطعتم وأخلصتم سهلنا الأرزاق والخيرات لكم.

والإملاق: هو الإقلال، قال الشاعر:

وإني على الاقلال يا قوم ماجد أعد لأضيافي الشواء المصهبا

ومعنى قوله عز وجل: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} أي لا تقربوا القبائح، ما ظهر للناس وبان لهم، ولا ما بطن من ذلك عنهم.

{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}، أي لا تقتلوا الأنفس التي حرم الله إلا بحكمه وأمره، وهذه أنفس الناس خاصة، وبعد ذلك لا يجوز لأحد أن يقتل حيواناً عمداً جرأة على الله وتعمداً، وقصداً وعنتاً وتلعباً وسفاهة وظلماً، فأما ما أصاب العبد من الحيوانات لاجتلاب منفعة، أو لنفي مضرة فلا بأس بذلك - إذا كان الحال والأمر كذلك -.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((من قتل طائراً لغير حاجة حاسبه يوم القيامة بين يدي الله سبحانه)).

وهذه الحيوانات تألم كما نألم، وتفرح بالسلامة من الآفات وتنعم، فينبغي لنا أن نعرف لها ما نعرف لأنفسنا، ونرحمها ليرحمنا الله في دنيانا وآخرتنا، والناس أحق منها بالرحمة لضعفهم،

ولما هم عليه من ذكرهم للمصائب وفزعهم، إلا مَن وجب عليه حكم الله منهم، فلا يرحم ولا كرامة له لأن الله أمر بالغلظة عليهم، بعد الأعذار والإنذار والبيان لهم.

ومعنى قوله عز وجل: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى (١٥٢)} أي لا تميلوا عن الحق إذا تكلمتم، ولكن اشهدوا إذا شاهدتم وعلمتم، واعدلوا قولكم عدلاً سوياً إذا قلتم، ولو كان الذي تشهدون عليه ذا قربى، فاشهدوا بالحق عليه ولوكان أخاً أو أباً، أو غيرهما من سائر ذوي القرباء، ولا تميلوا مع القريب على البعاد، فذلك عند الله من أعظم الفساد، وقد رأينا من يفعل ذلك من سفلة العباد.

{وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ (١٥٣)}، أي لا تتبعوا الطرق فتفرق بكم عن طريقه، لأن الله عز وجل جعل الحق معتدلاً مستقيماً إلى الفلاح، فمن فارقة وقع في الهلاك والجناح، وتفرقت به طرق الضلال، واشتبهت عليه أنوار المجال.

ومعنى قوله عز وجل: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ (١٥٤)} أي وآتينا موسى الكتاب تماماً كاملاً على الفعل الذي أحسن فيه، ومن أحسن من العباد فالله يكافيه.

ومعنى قوله عز وجل: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(١٥٥)} [أي هذا كتاب مبارك أنزلناه فاتبعوه لترحموا، فمن اتبع الكتاب واقتدى به فقد نال بأصدق المواعيد رحمة ربه] [1].

ومعنى {أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦)} يقول عز وجل اتبعوا هذا الكتاب الذي أنزلنا إليكم، لئلا تقولوا يوم القيامة لربكم، ولئلا تحتجوا عليه يوم القيامة بقولكم، وتقولوا إنما أنزل الكتاب على جماعتين هما اليهود والنصارى من قبلنا، وإنا جهلنا دراستهم وغفلنا، فالآن قد أنزلنا إليكم كتاباً على كلامكم، وأرسلنا رسولاً من قومكم، فأي عذر بعد هذا لكم.

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

ومعنى قوله: {سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ (١٥٧)} أي سنكافي الذين يصدفون أنفسهم وغيرهم عن آيات الله عداوة لربهم، وحسداً وظلماً لأنبيائهم، ومن كان من بعد الأنبياء من ذراريهم، **والصدف**: هو الصد والإعراض، قال الشاعر:

عجبت لحلم الله عنا وقد بدا ... لـه صـدفنا عـن كـل حـق مُنَـزَّلِ

ومعنى قوله: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا (١٥٨)} قيل في تفسير هذه الآية وروي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أن بعض آيات ربك هاهنا طلوع الشمس من المغرب في آخر الزمان، وحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

وروي عن العالم صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين: أن بعض آيات ربك هاهنا غمرات الموت، فإذا جاء ذلك لم ينفع الإيمان نفساً لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، وهذا القول أحبهما إلي، لأن باب التوبة لا يغلق إلا بعد حضور الموت وغمراته، وغشواته ومنازعته وحسراته، فحينئذ لا تقبل توبتهم، ولا تقال عثرتهم، ولا ترحم عبرتهم.

ونستغفر الله ونتوب إليه قبل حضور موتنا، ونسأله الرحمة قبل خروج أنفسنا.

وأما الرواية في طلوع الشمس من المغرب: فإن صحت فيمكن أن يقع بهم العذاب، ويحل بهم عند ذلك الهلاك والعقاب.

ومعنى قوله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ (١٥٩)} أي الذين اختلفوا وكانوا فرقاً لست منهم في شيء من دينهم، بل أنت بري من بدعهم وقولهم.

ومعنى قوله: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)} يريد عز وجل أن من جاء بالحسنة من الحسنات، والأفعال المحمودة من الصالحات، فله عند الله عشر حسنات، ألوان وأصناف من رحمة الله فاطر السموات.

{فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا}: اي أمثالها في التسمية لا في المعنى، لأن حسنات الله لا مثل لها، والعرب تقول لمن يتكلم فيها بخير: لنجزينك مثل فعلك، فيعطونه على ذلك الأموال، والأموال لا

تكون مثل الكلم في المعنى، وإنما هي مثل ذلك في التسمية للإحسان، لا غير ذلك من المعاني والألوان، لأن الحسنات أمثال في التسمية، وليست بأمثال من شكلها في الحقائق والموازنة.

{فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)}: أي لا يكافأ إلا بشيء من شكلها، يستحقه ويستوجبه على فعلها.

ومعنى قوله: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ** (١٦٥)}، أي مالكين للأرض بعد أهلها.

ومعنى قوله: **{إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ}** أي سريع العذاب، إذا أراد ذلك لم يبط ولم يتعذر عليه، بل يسرع لمن قصد النقمة إليه، وإنه لغفور رحيم، وكذلك مولانا الواحد الكريم، واعلموا أن الرحيم لا يعذب مع رحمته إلا بذنب عظيم، فنستغفر الله ونعوذ به من العذاب [الأليم، ونستغيث بمولانا وسيدنا من عذاب] [1] الجحيم.

---

[1] ما بين القوسين زيادة من (أ).

تفسير غريب سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ (١)}، أي أوفوا بالعهود، والعقود: هي العهود التي يعقدها الناس بينهم، وهي المواثيق، وهي الأذمة والذمة والحقوق واللوازم، كل ذلك معنى واحد، قال الشاعر:

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

ومعنى قوله: **{أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ}**، أي أبيحت وأطلقت لكم بهائم الأنعام، والعرب تسمي الجماعة بالواحد، قال الشاعر:

تمنيت والإنسان لا يترك المنى

وإنما أراد: والناس لا يتركون المنى، وقول الله أصدق من قول الشاعر إذ يقول: قتل الإنسان ما أكفره، ويقول إن الإنسان لربه لكنود، ويقول إن الإنسان لفي خسر، ويقول يا أيتها النفس المطمئنة الآية، وهذا كثير في القرآن.

ومعنى قوله: **{إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ}** يريد إلا ما يقص عليكم ويخبركم به من الحرام، فكل بهائم الأنعام يحل إلا ما قص تحريمه.

{غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)}، أي غير محلين الصيد، ولكن النون ذهبت عند الإضافة لها إلى الصيد.

وأنتم حرم: أي وأنتم محرمون، قاصدون للحج إلى بيت الله تائبون، وإنما سمي المحرم حُرماً لأنه قد حرم عليه بالدخول في الحج ما كان يحل له، من النكاح واللباس والصيد وغير ذلك مما أحل الله لجميع الناس.

إن الله يحكم ما يريد: أي يحكم على عباده بما يريد.

ومعنى يريد: هو يقصد ويفعل.

ومعنى قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ}[أي لئلا يبيحوا شعائر الله وهي معالم الحج وحدوده، التي حظرها الله وحرمها.

وأما قوله: ولا الشهر الحرام:][1]، فإنما يريد بذلك ولا تبيحوا الأشهر الحرام، التي حرم الله فيها ما أباح في غيرها من الأشهر.

وأما الهدي: فهو ما يهدى إلى بيت الله من الذبائح.

[**والقلائد**: هي البدن التي تقلد وتهدى إلى بيت الله][2].

ومعنى قوله: {وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ}، أي ولا تبيحوا من قصد البيت الحرام وأمّ إليه، قال الشاعر:

يـؤم قصـد الكعبـة النجومـا ناهجـة منهجهـا المأمومـا

أي تقصد.

ومعنى قوله: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا (٢)} يريد إذا حللتم عقد الإحرام فاصطادوا.

ومعنى قوله: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا (٢)}، أي لا يحملنكم بغض قوم ومقتهم وصدهم لكم عن المسجد الحرام، فلا يحملنكم ذلك على ظلمهم، والعدوان بغير حكم الله عليهم، ولكن اعدلوا بحكم الله عليهم وعلى غيرهم.

{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} وهذا كلام بين من أبين البيان، ودلالة وفرض لازم بحكم الواحد الرحمن.

ومعنى قوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ (٣)}. **أما ما أهل به لغير الله**: فهو ما ذكر عليه عند الذبح غير ذكر الله عز وجل.

---

[1] ما بين القوسين زيادة من (أ).

[2] ما بين القوسين سقط من (أ).

والمنخنقة: هي الدابة ينشب حلقها بين أعواد أو في حبل أو غير ذلك مما ينخنق به فيموت.

والموقوذة: هي التي تُرمى على موقذتها، **والموقذة**: هي أصل الأذن، وهي أحد المقاتل، أو تضرب أيضاً فتموت.

وأما المتردية: فهي التي تردى من رأس الجبل، أو من بعض الجدر أو في البير فلا يلحق ذكاتها.

وأما النطيحة: فهي ما نطحته البقرة أو الشاة منهن فمات.

وأما ما أكل السبع: فهو الدابة يقتلها السبع ولا تلحق ذكاتها، فحرم الله ذلك كله إلا ما لحق فيه الذكاة، وأدرك فيه قبل ذبحه الحياة، فيكون حينئذ حلالاً لجميع الآكلين، وغير محرم على أحد من العالمين، إذا كان الذابح من المقرين بالله الموحدين.

ومعنى قوله: {**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**} أي وما ذبح للنصب وعلى ذكرها، وهي آلهتهم وأصنامهم.

{**وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ**}، **والأزلام**: هي القداح التي كان المشركون يستقسمون بها وبعلاماتها، ويحكمونها على حكم العدل ويعملون بها، محبة منهم للظلم والفساد، وميلاً إلى الباطل وظلم العباد، **والأزلام**: هي القداح، قال الكميت بن زيد رحمة الله عليه:

فـــي مـــن يـــدين مخطئـــين هـــدى الله ومستقســـمين بـــالأزلام

ومعنى قوله: {**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ** (٣)} أي يئسوا من إبطال دينكم، وهلاك مذهبكم، وانقطع رجاهم من رجعتكم عن الإسلام إلى دينهم، وتبين لهم قوة الحق وقهره لهم.

ثم قال عز وجل: {**فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ**} يريد بذلك النهي عن إفراط الجبن من جهاد الفاسقين، ويأمر بالشجاعة على الظالمين الكافرين، لأن من جبن منهم وهابهم، فقد خشع لهم بذلك وأطاعهم، وترك الجهاد في سبيل الله والغلظة عليهم، والله لا يرضى لأوليائه بالضعف والمهانة في الدين، ولا يحب لهم ترك الغلظة على المشركين، إذا وقعت المقاطعة بعد الدعاء لهم إلى رب العالمين، وليس بعد ذلك إلا الاجتهاد في نكاية المعتدين، حتى يعز الله أولياءه المسلمين، أو يلحقوا بالله شهداء مكرمين، وعلى العز والجهاد معظمين، فنسأل الله أن لا يحرمنا ذلك وجميع المؤمنين، وأن يرزقنا جهاد أعدائه المشركين، فهو أفضل ما يتقرب به إلى الرحمن، ويطلب به الفرار من النيران، ويرجى به الخلود في الجنان، والخلود في دار السلامة

والرضوان، فلمثل ذلك فليعمل العاملون، وله فليجتهد المجتهدون، ومثل ما نهى الله عنه من هيبة الظالمين، ما يقول العالم القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين:

يا هايب الموت ألا لا تهبه ... قد عصي الله فلم لا ترهبه
وحلّ بالعصيان فينا غضبه ... وقد ولينا بالمجون مغضبه
وهو خبيث دائب يحاربه ... كأنما بحربه نغالبه
فهايب الموت ضليل مذهبه ... مذمم غير كريم حسبه
أنى يهاب موته أو يرهبه ... وقد برى الله وعاث يغضبه
لما يكن يوقنه أو يحسبه

ومعنى قول الله عز وجل: **{فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)}** يريد فمن ألجي واحتاج في مجاعة غير مائل عن الحق إلى الإثم والظلم فإن الله غفور رحيم.

{قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ (٤)}، يريد عز وجل أنه أحل لكم ما لزمت الجوارح، وهي الكلاب التي تجرح، والجرح على وجهين:

أحدهما: الإكتساب واللزم والاجتراح.

والوجه الآخر: فهو إسالة الدم والجراح.

ومعنى مكلبين: فهو آمرين ومغرين، **والتكليب**: هو الأمر والإغراء، فما لزمت الكلاب المعلمة وقتلت فهو حلال ذكي، وأما غيرها من الجوارح والصقور فما قتلت فليس بذكي إلا أن يلحق فيه الحياة قبل موته.

ومعنى قوله **{تعلمونهن مما علمكم الله}**: أي تلهمونهن مما ألهمكم الله من معرفة الصيد والأمر الائتمار، وذلك برحمة الله الواحد القهار.

ومعنى قوله عز وجل: **{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ (٥)}** أي ما كان من طعامهم يابساً، فأما رطوبات أهل الكتاب فلا يحل أكلها للمسلمين، ولا يجوز ذلك لأحد من جميع المخلوقين، وكذلك قوله: **{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ**

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ}، فإنما يريد بالمحصنات: المؤمنات منهم، التائبات إلى الله عز وجل من مذهبهم، الخارجات المهاجرات عن كفرهم، لأن الله عز وجل حرم نكاح المشركات، وافترض الهجرة عن الفاسقين والفاسقات، فكيف يأمر بهجرها ويأمر بنكاحها، هذا متناقض فاسد عند ذوي العقول، لا يقول به إلا كل خبل مخبول.

ومعنى قوله: {**مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ**} أي متزوجين غير فاسقين، **والإحصان هاهنا**: هو الزواج الحلال، **والإحصان أيضا**: هو الإيمان وقوله المحصنات يعني في هذه الآية المؤمنات، وأما السفاح فهو الزنا، ومعنى قوله:**وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ** فالأخدان هم الأصحاب والأصدقاء المتصاحبون على الفجور المتأخرون على الفساد والشرور.

ومعنى قوله: {**وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**} أي إن كنتم مجانبين للنساء فاغتسلوا.

والجنب: هو الذي يخرج منه الماء الدافق عند الجماع.

وقيل: إنما سمي جنباً لمجانبته لزوجته، والمجانبة: هي المفارقة لها، والترك لجماعها عند قضائه لشهوته ونزوله عنها.

وقيل: في ذلك الماء أنه سمي جنباً لمجانبته لشهوته، ومفارقته لحركات لذته، وكلا القولين حسن معروف عند فصحاء العرب.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((إذا التقى الختانان وجب الغسل))، وإنما يجب الغسل في الكتاب بما ذكرنا على الجنب، فأما إذا التقى الختانان ولم يخرج مني ولا انقطاع نهمة، فليس ذلك في اللغة يسمى جنباً، وإنما لزمه الغسل بقول النبي صلى الله عليه وآله ((إذا التقى الختانان وجب الغسل))، ويقول الهادي إلى الحق عليه السلام: ولو دنا يقظان حتى لمس ختان ختاناً لوجب عليهما الاغتسال، وسواء ذلك في النساء والرجال.

ومعنى قول سيدنا عز وجل: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}، أي لا تنسوا نعمة الله [ولا تنسوا شكره، وطيعوه واحمدوه] [1]، ولا تعصوا أمره وميثاقه الذي واثقكم به، أي لا تتركوا ميثاقه وهو اللازم من أمره ونهيه.

ومعنى قوله: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا (١٢)} معنى أخذنا ميثاق بني إسرائيل أي أخذنا عهدهم إما بإقرارهم الذي يلزمهم به الوفا والتمام، واما بأيمانهم وقسمهم لموسى عليه السلام.

ومعنى قوله : {وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا}، أي أرسلنا منهم اثني عشر نبياً، ونقباء القوم[2]: ولاتهم ورؤوسهم.

ومعنى قوله: {فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}، أي فقد أخطأ وسط الطريق التي جعلها الله للحق المستقيم، ووعد من خالفها وتركها بالعذاب الأليم.

ومعنى قوله: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً (١٣)} أي فبنقضهم لعهدهم لعنّاهم، وعذبناهم وأبعدناهم، ولكن ما صلة للكلام من قوله فبما نقضهم ميثاقهم.

واللعن: هو الإبعاد.

ومعنى قوله: {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} أي تركناها على قسوتها ونشئتها إذ لم نجبر قلوبهم على الهدى، ولم نمنعها من الجهل والردى.

ومعنى قوله: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} أي يبدلونه ويقلبونه ويغيرونه.

ومعنى قوله: {وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} أي تركوا حظهم من وعظ الله وتذكيره.

ومعنى قوله عز وجل: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)} أي لا تزال ترى وتعلم خيانتهم وغشهم وعداوتهم، إلا قليلاً منهم يعني المؤمنين، ثم رجع إلى ذكر الخائنين فقال: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} أي لا تعجل في عقوبتهم.

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

[2] في (أ): اثني عشر رئيساً، ونقباء العرب.

وإنما عنا بالعفو من أساء منهم، لأن العفو لا يكون إلا بعد سوء فعلهم.

وتحتمل الآية وجهاً آخر: أن يكون أمره بالعفو عن هؤلاء المؤمنين الذين استثناهم، وقال: إلا قليلاً منهم، وأمره بالصفح والعفو عنهم إن جهلوا في بعض أحوالهم، أو أساؤوا خطأً في بعض أفعالهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}** أي خلينا بينهم، ولم نجبرهم بالقسر عن عداوتهم في ذات بينهم.

ومعنى قوله: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}**، أي ويعفو عن كثير من ذنوبكم، ولكنه اختصر.

ومعنى قوله: **{يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ}**، أي يهدي بالقرآن من اتبع ما يرضيه، وهرب إليه من سخطه ومعاصيه، ويدله على طرق السلامة ويهديه.

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ}، أي على قطيعة من الرسل وعدم.

وقيل: الفترات بين الرسل أربعمائة سنة، والله أعلم وأحكم.

ومعنى قوله فيما حكى عن موسى: **{يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ (٢١)}** أي أدخلوا الأرض المباركة المطهرة المنزهة التي حكم الله بها لمن آمن وصبر منكم.

ومعنى قوله: **{يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ}** أي يهيمون على وجوههم ويعسفون ويحسفون، والعرب تقول هام البعير على وجهه حتى لم نجده: إذا أفرط في المسير ولم يقف.

ومعنى قوله: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ}**، معنى القربان: هو مايتقرب به من جميع الأعمال إلى الرحمن فيتقبل الله ذلك من جميع أهل الإيمان ولا يتقبل من أهل الفجور والعصيان فيجب حينئذ عداوتهم بأبين البيان فلما لم يتقبل الله من عدوه هذا وتقبل من أخيه لحقه الحسد والضغن والحقد عليه.

ومعنى قول المؤمن رحمة الله عليه: **{إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ}**، أي ترجع بإثم قتلي مع مأثم كفرك ومعصيتك.

ومعنى قوله عز وجل: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ}، أي أطاعته نفسه إلى ذلك ودعته إليه وزينته له وحملته عليه.

ومعنى قوله عز وجل: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ} أي يعادون الله ويعادون رسوله {وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا}، أي يعملون ويجتهدون في الفساد، {أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا}، [يريد إنما جزاؤهم أن يقتلوا ويصلبوا] [1] من بعد أن يقتلوا، ولكن أو قامت مقام الواو، وإنما يجب ذلك عليهم إذا قتلوا ويجب عليهم إذا أخذوا المال وقطعوا الطريق ما قال الله عز وجل حين يقول: {أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ}، يريد إذا أخذوا المال وأخافوا الطريق.

ومعنى قوله: {أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ}، فذلك عند إخافتهم للناس وحملهم السلاح، فإذافعلوا ذلك وجب أن يشردوا ويطردوا بالخيل والرجال حتى ينفوا من الأرض ويبعدوا.

ومعنى قوله: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، يريد عز وجل إلا من تاب من هؤلاء المحاربين فلا يجوز قتله ولا صلبه ولا قطع يده ولارجله ولا نفيه من الأرض، لأن الله غفور للتائبين رحيم بعباده النادمين فإذا تاب هذا المحارب ورجع إلى الإمام قبل أن يقدر عليه وجب على الإمام أن يقربه ويقبل توبته ويمنع من أراد قتله وأما إن لم يتوبوا حتى أحاط بهم عسكر الإمام فادعوا أنهم تابوا فلا يلتفت إليهم بل يجب قتلهم وسفك دمائهم لأنهم لم يذكروا التوبة إلى الله حتى أحيط بهم وقدر عليهم.

ومعنى قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ}، أي خافوا الله واتقوا عذابه بطاعته واطلبوا القربة إليه، **والوسيلة**: هي القربة، قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه:

وترعوا حقوقي في بني ... وتبغوا بهم عندي الوسيلة في

ومعنى قوله: {يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا}، أي يتمنون يوم القيامة أن يخرجوا من النار ويشتهون ذلك قال الله عز وجل: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا}.

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

ومعنى قوله: {وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا}، أي من يرد الله عذابه، **والفتنة**: هاهنا هي العذاب، {فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا}، أي من الثواب، {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}، أي لم يرد بأن يطهرها بالجبر، ولكنه أراد من جميع خلقه الطهارة بالأمر.

ومعنى قوله: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} أي قائلون للكذب.

ومعنى قوله: {أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ}، **أي** أكالون للحرام، **والسحتُ**: هو الحرام، قال الشاعر:

يبذل ما أصاب ولا يبالي أسحتاً كان ذلك أم حلالا

ومعنى قوله: {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ}، يريد فاحكم بينهم أو ذرهم، وهذه آية منسوخة، والله أعلم، نسخها قول الله عز وجل: {وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ}.

ومعنى قوله عز وجل: {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ}، يريد عز وجل وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله بالنبوة ثم يتولون من بعد معرفتهم لذلك وما أولئك بالمؤمنين، ومن لم يكن من المؤمنين فهو من أعداء الله الكافرين المعذبين في حكم الله المقبوحين، وإنما أمره الله عز وجل أن يحكم بينهم إن استعدى منهم أحد إليه ببغضهم وسألوه الحكم والنصفة منهم وأمره أن يحكم بحكم الله فيهم.

ومعنى قوله: {وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ}، فهم العلماء منهم.

ومعنى قوله: {بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ}، **أي** بما استحفظهم الله من كتابه، وأمرهم عز وجل أن يحكموا به ووكلهم بحفظه، وأن لا يتوانوا ولا يفرطوا في أمره ونهيه، والعمل بما فيه من حكمه.

ومعنى قوله: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا}، **أي** في التوراة {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ}.

ومعنى قوله: {فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ}، **أي** من عفى وتصدق بحقه الذي جعله الله له فهو كفارة لهم لذنوبه.

ومعنى قوله: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}، **أي** مصدقاً لما كان قبله من الكتاب وشاهداً عليه.

ومعنى قوله: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}، أي للكل منكم جعلنا تعبداً مشروعاً مبيناً، ومنهجاً وطريقاً وسبيلاً، قال الشاعر:

وبَيَّنَ للإسلام شرعاً ومنهجَاً

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} يعني المقرين {مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ}، أي من يرجع منكم عن إقراره يعني المنافقين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أرادوا غير[1] أمير المؤمنين صلوات الله عليه، {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} الآية، أي من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، يثبتون أمركم وخلافكم لأمير المؤمنين وكفركم[2].

ثم قال عز وجل بعد أن وعظهم في ردتهم عن دينهم {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}، فدلهم بذلك على مولاهم أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وأسبق السابقين، وهو المتصدق في صلاته، المؤدي لقربة[3] إلى الله من زكاته، لم يختلف في ذلك أحد من الأئمة الطاهرين، ولا أنكره أحد من علماء المسلمين، ثم قال عز وجل يمدح من تولى الله ورسوله وأمير المؤمنين {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}، وإنما عنى بقوله والذين آمنوا أمير المؤمنين وذريته الأبرار الطاهرين.

ومعنى قوله عز وجل: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا}، أي هل تعيبون منا {إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ}، هذا توقيف لهم على تجنبهم للإيمان وكفرهم بما نزل من الفرقان.

ومعنى قوله: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً}، أي شر من ذلك مصيراً وثواباً عند الله.

---

[1] في (أ): الذين ارتدوا عن أمير المؤمنين.

[2] في (أ): وكفرهم به.

[3] في (أ): المؤدي لما يقربه إلى الله.

ومعنى قوله: {مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}، هذا من التقديم والتأخير، والمعنى في ذلك من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير {أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}.

ومعنى قوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ}، أي قالوا عليهم لعنة الله أن نعمته ملزومة، فرد عليهم كذبهم بقوله: {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}، أي لكن نعمتاه واسعتان، وهاتان النعمتان فهما نعمة الابتداء، ونعمة المكافأة، ويمكن أن تكونا نعمة الدنيا والدين.

ومعنى قوله: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}، أي تركنا وخلينا.

ومعنى قوله: {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ}، أي كلما أوقدوا شراً، ودبروا الحرب لأوليا الله تدبيراً، أطفأ الله شرهم وهدم عزهم وأبطل تدبيرهم ودمر كفرهم.

ومعنى قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}الآية، أي بلغ ما أمرك الله من الإشارة الكافية في إمامة أمير المؤمنين، وإن لم تفعل ذلك فكأنك ما بلغت شيئاً من رسالته، وصدق الله عز وجل أن رسوله لو كتم أكبر أصول الدين لما بلغ رسالات الله ولما نفعت، لأن الفروع لا تنفع إلا بمعرفة الأصول والإمامة أكبر شيء من الأديان عند ذوي العقول.

ومعنى قوله: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}، فهذه بشارة من الله لنبيه بالعصمة من شر الناس، ومعنى يعصمك هو يمنعك ويحوطك حتى لا ينالوك ولا يقدروا أبداً بالمكروه عليك.

ومعنى قوله: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ}، أي لستم على شيء من الحق، ولكنه اختصر.

ومعنى قوله عز وجل: {وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ}، أي ظنوا أن لا يأتيهم محنة واختبار من الله {فَعَمُوا وَصَمُّوا}، أي تعاموا عن الحق ولم ينظروا، وتصاموا عن استماع الهدى ولم ينصتوا، {ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}، أي رجع بالفضل عليهم وعطف بالدعوة عليهم ولم يعجل بعقوبتهم، {ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا} ولم يقبلوا فاستحقوا من الله العقوبة لما عطلوا.

ومعنى قوله: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ}**، أي لقد كفروا بالله وما عرفوه وهم النصارى عليهم لعنة الله، زعموا أن الله هو الأب، وأن عيسى هو الابن، وروح القدس معنى عندهم آخر فأكذبهم الله عز وجل وقال: **{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}**، أي قد مضت من قبله الرسل وحدث بعدهم صلى الله [عليه]، **{وأمه صديقة}** أي صادقة صلوات الله عليها وعلى آبائها الطاهرين.

ثم قال عز وجل في عيسى وأمه مريم: **{كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}**، أي كانا محتاجين مضطرين إلى أكل الطعام، ومن كان محتاجاً مضطراً إلى الأكل والشرب فهو ضعيف، مربوب مرزوق لهيف، إلى الأغذية فقير مخلوق مع أسباب تدل على حدث من يأكل الطعام، لا يغفل عنها أحد يعقل من الأنام.

ومعنى قوله: **{ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}**، أي انظر بعقلك كيف يصدفون، ويصدهم رؤساؤهم فلا يومنون.

ومعنى قوله: **{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}**، أي لعنهم الله في الكفر برسوله عليه السلام وقدم لهم الذم واللعنة والخزي على لسان داود وعيسى بن مريم عليهما السلام.

ومعنى قوله: **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}** يعني بذلك من أسلم وتاب من النصارى وليس يعني الكافرين منهم، ألا تسمع إلى قوله: **{ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا}**، يعني علماءهم وخيارهم ثم قال: **{وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(٢٨) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}**إلى آخر الآية.

ومعنى قوله: **{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ}**، أي لا يعاقبكم على اللغو في القسم والأيمان، وهو أن يحلف الحالف لقد كان كذا وكذا، ولم يكن ذا ولا ذا، وهو لا يتعمد كذباً ثم تبين له أنه خطأ، وأن الأمر يخالف ما حسب وتوهم، فليس

عليه في ذلك كفارة، ولكن يعاقبكم بما عقدتم من الأيمان، ثم لم تفوا إلا أن تكفروا فيغفر لكم ذلك ويتوب عليكم.

ومعنى ما عقدتم الأيمان: فهو أن يحلف الحالف ليفعلن ثم لا يفعل، أو يحلف لا فعل ثم يفعل.

قال الله عز وجل: **{فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ}**، وإنما سميت الكفارة كفارة لكفرها وتغطيتها للذنوب وسترها.

ومعنى قوله: **{مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ}**، أي من أمثل[1] ذلك وأطيبه، والأوسط في لغة العرب: هو الأجود، وربما كان بين ذلك.

ومعنى قوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**:

أما الخمر: فهو هذا الخبيث الذي يخامر العقل ويفسده وتستعمله سفل البرية وتشربه.

وأما الميسر: فهو القمار.

وأما الأنصاب: فهي الأصنام التي كانوا يعبدونها.

والأزلام: هي القداح التي يقتسمون بها.

ومعنى قوله: **{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا}** الآية، أي ليس عليهم مأثم ولا عقوبة فيما أكلوا أو شربوا من الحرام غير متعمدين، ولا عالمين بتحريمه مكابرين، ولا يعاقبهم الله إذا أصابوا ذلك جاهلين.

ومعنى قوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ}**، أي ليختبرنكم الله بشيء من الصيد ليعلم عز وجل من يخافه بعد البلوى كما علم ذلك سبحانه قبل خلق الأرض والسماء.

---

[1] في (أ): من أوسط.

ومعنى يخافه بالغيب: أي في غيب ضميره كما يخافه يرآئي الناس في ظاهره بلا نفاق ولا تمويه في شيء من دينه.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون معنى يخافه بالغيب أي يخافه لما غاب من عذابه، وأيقن به هذا المؤمن من عقابه.

ثم ذكر النهي عن الصيد ورده وكرره عليهم ووكده فقال: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ}الآية**: أما عدل الشي فهو مقداره وقيمته، وقد أقام الهادي إلى الحق صلوات الله عليه ذلك، وهو موجود في كتاب الأحكام في أبواب الحج فاستغنينا بذلك عن ذكره في هذا الكتاب.

ومعنى قوله عز وجل: **{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ}**، **أي** مقاماً لهم ليقوموا عنده لطلب الثواب والرحمة من الله وصرف النقمة والعذاب.

{وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}: أي جعل الهدي والبدن المقلدات لمنافعكم، لتعلموا أنه يعلم مصالحكم، ويعلم ما في السموات وما في الأرض.

ومعنى قوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}** الآية: أي لا تسألوا عن أسباب من العموم التي إن بدت لكم سآءتكم وغمتكم، مثل سؤال من سأل عن عمله أمقبول هو أم غير مقبول، فلو أظهر الله ذلك لفضحهم، وإنما عنى المتسمين بالإيمان، من هؤلاء المقرين باللسان، **{وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ}**، **أي** تبين لكم الذنوب التي يعذب من فعلها، وتجدون ذلك في القرآن لمن عملها.

ومعنى قوله: **{عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}**، **أي** عفا عن إظهار فضائحكم، وما تخفون عن الناس من كفركم وقبائحكم، التي لو أظهرها لسآءكم ظهورها وشنعكم.

ومعنى قوله: **{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ}** الآية: يريد عز وجل أنه ما جعل تلك البدع التي ابتدعها الجاهلون، وتلك الشرائع القبيحة التي شرعها المشركون، وهم في شرائعهم وبدعهم على الله كاذبون، وروي أن فاسقاً مشركاً يقال له قصي بن كلاب، كان أول من بحر وسيب ووصل وحمى، ثم اتبعته على ذلك قريش ومن كان على دينها من العرب، فكانوا يجعلون ذلك نذراً، ويزعمون أن الله حكم به حكماً، فأكذب الله عز وجل في ذلك قولهم.

والبحيرة: التي كانوا جعلوها هي ناقة من الإبل يسمونها بحيرة، إذا كانت خامسة أولاد أمها ويشرمون أذنها، ويخلونها تذهب حيث شاءت، ولا يملكونها أبداً إلى أن تموت، فيشترك الرجال والنساء في لحمها.

وأما السائبة: فهي أيضاً من الإبل كان الرجل منهم إذا مرض فشفي، أو سافر فأدى، أو سأل شيئاً فأعطي، سَيّبَ من إبله ما شاء أن يسيبه شكراً لله، ويسميها سائبة ويخليها تذهب حيث شاءت مثل البحيرة، ولاتمنع من كلأ، ولا حوض ماء ولا مرعى.

وأما الوصيلة: فهي من الغنم كانوا إذا ولدت الشاة خمسة أبطن عندهم فكان الخامس جدياً ذبحوه أو جديين ذبحوهما، وإن ولدت عناقين استحيوهما، وإن ولدت جدياً وعناقاً تركوا الجدي ولم يذبحوه من أجل أخته وقالوا قد وصلته فلا يجوز ذبحه من أجلها.

وأما الأم فيكون لبنها ولحمها بين الرجال دون النساء، فإن ماتت أكل الرجال والنساء منها، واشتركوا في لحمها.

وأما الحام: فهو الفحل من الإبل كان إذا ضرب عشر سنين وضرب ولد ولده في الإبل قالوا هذا قد حمى ظهره فيتركونه مثل البحيرة والسائبة.

ومعنى قوله عز وجل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}**، **أي** ليس عليكم عقوبة في فعل من أذنب من قرابتكم، وليس يضركم من ضل منهم إذا اهتديتم، وقد ذهب كثير من الجهال إلى أن هذه الآية لا يجب معها على أحد أن يأمر بالخير غير نفسه، ولا يبالي إذا اهتدى بضلال غيره، ولو كان ذلك على ما توهموا لسقط

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما أصلان عظيمان في الخير والشر، وإنما هذه الآية خبر من الله عز وجل للمؤمنين، أنه لا يعذبهم بضلال قرابتهم الكافرين، ولايأخذ أحداً بذنب غيره من المسلمين، لأنه عدل رحيم بجميع المخلوقين.

ومعنى قوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ}**، أي منكم أيها المؤمنون المعروفون عندكم بالإيمان المسلمون.

ومعنى قوله: **{أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ}** من المجهولين الذين ليسوا منكم أيها المعروفون، **{إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ}**، يريد إن سافرتم فأصابكم الموت، ثم قال في هذين المجهولين اللذين أمر بإشهادهما على الوصية بعد عدم المعروفين، **{تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ}**، أي من بعد أن يصليا، ويعرف الناس أنهما من أهل الصلاة، فإن صليا وعرفا حدود الصلاة، أقسما بالله، **{إِنِ ارْتَبْتُمْ}**، أي إن شككتم في أمرهما، فيجب أن يستحلفا بالله لا كتما شهادتهما التي جعلها الله أمانة في رقابهما.

وإن هما جهلا حدود الصلاة لم يلتفت إلى شهادتهما، وتبين عند ذلك فسقهما وكفرهما.

وقد قيل إن الله عنى بقوله: **{مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ}**، أي من بعد الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وليس ذلك بشيء، لأن اللفظ بالصلاة على محمد لا يبين أمرهما، وإنما يبين ذلك عند سؤالهما عن حدود صلاة الإسلام التي لا يجهلها إلاكافر فاسق من الطغام، لأن المجهول لا يخلو من أحد وجهين:

إما أن يكون من المؤمنين فتصح شهادته.

وإما أن يكون كافراً فتبطل عدالته.

وإذا كان مجهولاً فسؤاله عن الصلاة يكشف بعض أمره، فإن استتر بالصلاة وجبت عليه اليمين، وإنما الشهود في مثل هذه الوصايا والحقوق والمعاملات ثلاثة:

فاسق لا يتكل عليه، ولا يصدق في درهم ولا يركن إليه.

أو مجهول مستتر بصلاته عالم بحدودها يجب عليه أن يستحلف لتصحيح الشهادة وتأكيدها.

أو مؤمن معروف بحقائق الإيمان، مشهور عند الناس بالورع والإحسان، فيجب تصديقه حينئذ بأبين البيان، ولا يصح لأحد حق إلا بشهادة رجلين من المصلين يستحلفان بالله، أو بشهادة مؤمن معروف مع يمين المدعي.

فأما الفاسقون: فلا تقبل شهادتهم ولا كرامة لهم ولا يصدقون، لأنهم عند الله كافرون منافقون.

{فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ} يريد عز وجل فإن ظُهر واطُّلِع وعُلم أن هذين المجهولين لا يعرفان حدود الصلاة فيطلب هذا الوصي غيرهما من المجهولين، الذين يقدم عليهما الأوليان.

والأوليان: هما العدلان، المؤمنان المعدلان، اللذان هما أولى بالشهادة من المجهولين فإذا عدما أقسم هذان المجهولان بالله: **{لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا}**، من شهادة هذين الأوليين اللذين تبين كفرهما بجهلهما الصلاة، أو بغير ذلك من الفواحش المنكرات.

ومعنى قوله عزوجل **{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا}**، أي ذلك أقرب أن يأتوا بها على حقيقتها.

ومعنى قوله: **{أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ}**، أي ويخافوا أن ترد عليهم أيمان أخرى بعد أيمانهم للمشهد لهم، ولعلهم إذا استحلفهم الميت وخافوا أن يُستحلفوا بعد موته أيماناً بعد أيمانهم له، أن يشهدوا بالحق ويخافوا من ترديد الأيمان عقوبة ربهم، إن لم يشهدوا بالحق ولو على قرابتهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}**، يريد عز وجل أنه يوم القيامة يجمع الرسل صلوات الله عليهم، ثم يقول بماذا أجابكم قومكم؟ أبحقيقة كانت إجابتهم لكم، فيقولون صلوات الله عليهم لا علم لنا بما كان في أنفسهم، فيبين الله حينئذ نفاق من كان زعم لهم أنه قد صدقهم وأجابهم، من سفساف هؤلاء المقرين بألسنتهم، الكاذبين في عملهم وفعلهم، الذين أقروا وشهدوا باللسان، وهم كاذبون مرتكبون للعدوان، وقد شاهدنا كثيراً ممن يقر بخاتم النبيين، وهو جاهل بالله وبجميع

المرسلين، فإقرار ذلك محال وزور، وعمله كله هباء منثور، فنعوذ بالله من دعاوى المحال، والإقرار الكاذب الذي لا يصدق بالفعال.

ومعنى قول سيدنا عز وجل: **{إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ}**، **أي** قويتك ونصرتك بجبريل عليه السلام، **والقدس**: هو النزاهة والبركات، والرفعة والفخر والجلال والحسنات.

ومعنى قوله: **{تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ}**، **أي** وأنت طفل في المهد، وهو الفراش الممهد الذي يفترشه الأطفال.

ومعنى قوله: **{وَكَهْلًا}**، **أي** وتكلمهم بعد ذلك رجلاً كاملاً، **والكهل**: هو الكامل الذي بين الشيخ والغلام.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ}**، أي تُصَوِّرُ من الطين كمثل صورة الطير.

ومعنى قوله: **{وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ}**، **أي** تبرئ الأعمى، قال الشاعر:

كمهت عيناه حتى ابيضتا

ومعنى قوله: **{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ}**، أي جعلت الوحي إليهم على لسان النبي صلى الله عليه **{أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي}**.

ومعنى قوله عز وجل: **{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ}**الآية: يمكن -والله أعلم- أن يكون قال اتقوا الله ووعظهم في قولهم: هل يستطيع ربك، لأنه لفظ قبيح لا معنى له، ولم يعظهم في طلبهم للمائدة، لأنه لا بأس بذلك، وإنما جاء الخطأ في قولهم: هل يقدر ربك على أن ينزل عليهم مائدة؟! والله يقدر على أكثر من ذلك، ولكنهم أخطؤوا في اللفظ على غير يقين، فزجرهم ووعظهم في ذلك، ولا أحسب إلا أنهم جهلوا في اللفظ ولم يتعمدوا.

ومعنى قول سيدنا عز وجل: **{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ**

فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦)**}**، أي ولا أعلم ما تعلم بنفسك التي هي ذاتك وهي علمك وقدرتك ما قلت لهم إلا ما أمرتني به إلى آخر الآية: يريد أن هذا الخطاب منا لعيسى عليه السلام وهو يوم القيامة على تكذيبهم، عند تبكيتنا لهم، وتوقيفنا لعيسى عليه السلام على تكذيبهم، ليكون ذلك أكمل لحجتنا عليهم، وأقطع لمعاذيرهم وعللهم، وأعظم لحسرتهم وندامتهم.

وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً.

تفسير غريب سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى قول سيدنا ومولانا: {الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (١)}، أي من طينة آدم، وخلق من تلك الذات زوجها، يعني حواء رحمة الله عليهما جميعاً.

ومعنى قوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ (١)} أي احذروا الله أن يعذبكم، واحذروا الأرحام أن تقطعوها فيسخط عليكم ربكم.

ومعنى قوله: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} أي إن الله رقيب عالم بجميع أفعالكم، لا يخفى عليه سبحانه صغير ولا كبير من أعمالكم.

ومعنى قوله عز وجل: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢)}، أي لا تأكلوا أموالهم مع أموالكم، فقامت إلى مقام مع.

ومعنى قوله: {إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} أي مأثماً عظيماً.

ومعنى قوله: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ (٣)}الآية، يريد عز وجل بقوله وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى أي إن خفتم أن لا تعدلوا فيهم فاتقوا الله، ولكنه اختصر، وقد ذكرنا كثيراً من شكل هذه الآية فيما مضى من تفسيرنا.

ثم ابتداء ذكر النكاح، فقال عز وجل: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} أي وأنكحوا ولكن الفاء قامت مقام الواو، وقد فسر مولانا الهادي إلى الحق صلوات الله عليه ذلك على وجه حسن، وهو موجود للمرتضى لدين الله عليه السلام في كتاب الإيضاح، ولكن رأيت هذا الوجه أقرب إلى أفهام المتعلمين، وكلا الوجهين حسن عند أهل النظر العالمين.

ومعنى قوله: {مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} أي اثنتين وثلاثاً وأربعاً، {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا}، أي فإن خشيتم أن لا تعدلوا بينهن في القسمة، وخشيتم المأثم في جمعهن، {فَوَاحِدَةً} أي فانكحوا واحدة، {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} من السراري، وهن اللواتي يصلحن للنكاح من الجواري.

ومعنى قوله: {ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} أي ذلك أقرب أن لا تجوروا، والعول هاهنا هو الجور، قال الشاعر:

إنا تبعنا رسول الله واطَّرَحُوا قولَ النبي وعالُوا في الموازينِ

أي جاروا ولم يعدلوا في الموازين.

ومعنى قوله عز وجل: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}أي أعطوهن مهورهن هبة وعطية.

ومعنى قوله: {فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} أي فإن طابت أنفسهن عن شيء من الصداق الذي لهن عليكم، فكلوه هنياً مرياً، إذا وهبنه وأحللنه لكم.

ومعنى قوله: {هَنِيئًا مَرِيئًا}أي طيباً حلالاً ليس فيه عقوبة، ولا يجعل الله فيه وبالاً، والعرب تسمي كل شيء لا أذى فيه ولا غائلة هنياً، قال الشاعر:

هنياً مرياً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

{وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥)}: أي لا تعطوا السفهاء أموالكم التي جعلها الله قواماً لأنفسكم، ورزقكموها لتقيم أرواحكم في أجسامكم، لأنكم متى أعطيتم السفهاء أموالكم، لم تأمنوا لسفه عقولهم وضعفها، أو لسفه أدياهم وقلتها أن يذهبوا بأموالكم، فيكون فقركم سبباً لهلاك أنفسكم وعيالكم، ولكن أطعموهم واكسوهم، وقولوا لهم قولاً حسناً جميلاً، وأنيلوهم فعلاً من كرم أخلاقكم نبيلاً.

ومعنى قوله عز وجل: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ (٦)} يريد عز وجل بقوله: وابتلوا اليتامى، أي اختبروهم، فإن رأيتم وعلمتم منهم رشداً عند بلوغ النكاح فادفعوا إليهم أموالهم.

ومعنى قوله: {رُشْدًا} أي فهماً وعقلاً، وإن كانوا مجانين لا يعقلون لم تدفع إليهم أموالهم.

ومعنى قوله: {وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا}، فهذا نهي من الله عز وجل لعباده عن أكل أموال اليتامى سرفاً وإفراطاً، ومسابقة ومبادرة وبداراً، **والبدار**: هو

السباق لئلا يكبروا فيجدوها، فنهى عزوجل عن مسابقة الأيتام في هلاك أموالهم قبل بلوغهم وقت النكاح وكبرهم.

ومعنى قوله: **{وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ}** أي من كان غنياً ذا مال فيتورع ويتعفف عن أكل أموال اليتيم الذي معه، ومن كان فقيراً فليقم بمال اليتيم ويأكل منه بالمعروف ولا يسرف، ولا ينفق من مال اليتيم نفقة كبيرة ولا يجحف، وإنما أطلق الله للفقير أن يأكل من مال اليتيم لأنه بمنزلة الأجرة، وإذا قام بالمال اشتغل بذلك عن الكسب لنفسه وضاع، إلا أن يقتات بعضه، فأطلق الله ذلك برحمته وعدله.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨)}** قيل في ذلك: أن الله عز وجل أمر عباده عند قسم الميراث إن حضر هناك أحد من قرابتهم، أو من اليتامى والمساكين أن يتفضلوا عليهم بطرف من ميراثهم، ويقولوا لهم قولاً معروفاً، وهو القول اللين الكريم، الحسن الطاهر المحض الصميم، وإنما أمر الله بالكلام الجميل لما فيه من سرور العباد، والتألف لهم إلى دين الله ذي العزة والأياد، ولأن ذلك يدعوا إلى المودة وللائتلاف، وينفي بعد الضغائن والاختلاف، فلم يرض مولانا عز وجل لأوليائه الكرام، بطبائع الكفرة الفجرة الجفاة اللئام، الذين لا يلفظون بطيب من الكلام، لما هم عليه من الخساسة وسفه الأحلام، والتجبر والتكبر على ضعفة الأنام، والاحتقار والجفاء للمساكين والأيتام، بل الواجب علينا أن نعرف للناس ما نعرف لأنفسنا، ونهوى لهم كالذي نهوى من غيرنا من البِشر والرحمة والبشاشة واللين، والخلاف لطباع هؤلاء الشياطين، الذين شابهوا بسوء أدبهم آداب الحمير، من الغفلة والغلظة والجهل والفجور، فتنزهوا -رحمكم الله وهداكم- من أفعالهم، وتطهروا بجهدكم من دنسات أعمالهم، وفضائحهم وركاكتهم في كل أحوالهم.

وقيل في تفسير هذه الآية بقول آخر ولم نقل غير ما ذكرنا، وهو أحسن ما رأينا في ذلك وسمعنا.

ومعنى قوله عزوجل: {وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} أي قولاً سديداً، أي قولاً حسناً مصيباً، قال الشاعر:

وإن قال قولاً كان فيه مسددا

ومعنى قوله عز وجل: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}، هذا من التقديم والتأخير، والمعنى فيه من بعد دين أو وصية يوصي بها.

ومعنى قوله: {آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا}، أي آباؤكم وأبناؤكم مشتبهون في النفع لكم، والعرب إذا اشتبهت الأشياء عندهم قالوا: ما ندري أي هذه الأشياء أنفع؟، ويقولون: ما ندري أي هذه الخيل أجود إذا اشتبهت في الجود، قال الشاعر:

فليته لو أرسلت فيهن مطلقاً ... وقالوا تخير ما عليك جناح
لحُرتُ فلا أدري أَبِكْرٌ عزيزة ... هتكته ربا العظام رواح
وإلا فغيدا ذات بعل مليحة ... لها أرج يشفي الصدا ورياح

ومعنى قول سيدنا عز وجل: {وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ}.

قيل: إن الكلالة هم غير الولد والوالد من القرابة.

والكلالة: هم الوارثون من ذوي القربى إذا لم يترك الميت والداً ولا ولداً.

ومعنى قوله عز وجل: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ}الآية، يريد عز وجل أن من فعل الزنا، وهو الفاحشة التي ذكرها هنا، وجب أن تحبس في البيوت حبساً حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً، فكان ذلك حكم الله فيمن زنا منهن، حتى نسخت هذه الآية بما حكم الله عز وجل من الحدود في سورة النور، وهو السبيل الذي قال الله عز وجل، فكان السبيل هو الحد الذي أوجبه عليهن.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا}**، أي واللذان يأتيان الفاحشة والزنا، يعني الزاني والزانية -لعنة الله عليهما- فيجب أن يعنفا، ويستخف بحقهما[1] ويضربا، وينكلا بالضرب والكلام ويعذبا.

{فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا} يريد عز وجل أنهما إن تابا من الطلاح، ورجعا إلى الحياء والعفة والصلاح، وجب أن يعرض عن شتمهما، ولا يحل لأحد بعد ذلك أن يذكر شيئاً من قبيح فعلهما، ولا يحقد بعد التوبة إلى الله عليهما، بل يجب إذا تابا إلى الله أن يعظم قدرهما، ويعتقد مودتهما وكرامتهما، لأن الله رحيم بالتائبين، غفور ساتر لعيوب المذنبين، إذا كانوا إلى الله عز وجل راجعين.

ومعنى قوله عز وجل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ}** أي لا يحل لكم أن تلزموهن رجاء لميراثهن من غير ما رغبة لكم في لزمهن، والعجب كل العجب لمن يلزمها طمعاً لميراثها، وهو لا يعلم لو عقل أن يموت قبلها، فنعوذ بالله من ضعف العقل والعمى، والرغبة فيما يزول من حطام الدنيا.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ}**، أي تلزموهن عن النكاح إذا لم تكن لكم رغبة فيهن، وكان لَزْمُكم لهن إنما هو لتضيقوا عليهن، حتى يُبرءنكم من بعض ما آتيتموهن من الصداق الذي أوجبه الله لهن.

{إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}، أي فيجب حينئذ أن يهجرن، ويستخف بهن ولا يكرمن، فإن افتدين أنفسهن ببعض حقهن، وأبرأن أزواجهن ببعض مهورهن جاز ذلك، لأن الفسخ كان في يدي الآمر منهن.

ثم قال عز وجل يوصي بضعفة النسوان، اللواتي لا يؤمن فيهن العقوبة من الرحمن، **{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}**، أي اصحبوهن بالفعال الكريم، وحسن الأخلاق، ولين الكلام، وحسن العشرة والصحبة والبر والإكرام.

---

[1] في (أ): بقدرهما.

ثم قال عز وجل: **{فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}** أي فلا تأمنوا إن كرهتم بعض نساءكم أن يجعل الله فيهن حسن النسل والبركة لكم، والذرية المطيعة لله ما يسركم، فدلهم بذلك على الأناة بهن، وترك العجلة على فراقهن، وإنما هذا فيمن كان مطيعاً لله منهن، أو كان غير مجبور بالمشاهدة لبعض أمورهن، فأما كافرة منهن غير مطيعة للرحمن، ولا قابلة لما يتلى عليها من آيات القرآن، ولا شاكرة لله ولزوجها على الإحسان، فهي حقيقة بالإبعاد والطلاق، مستحقة للتخلية والترك والفراق، وكذلك إذا كانت غير موافقة في بعض الأحوال، وكانت غير قريبة إلى النفس في جميع الخصال، فتركها أحق من لزمها عند من يعقل من الرجال، ولو شاء ربك أن يوفق بينهما لما نفرهما، ولكنه أراد بذلك فراقهما، ولكنه إنما يجب في الحكمة أن يحمل كل شكل على شكله، ويوصّل كل فن من الأفنان إلى مثله، فمن كان طيباً حرمت عليه الخبائث، وحلت له الطيبات، ومن كان خبيثاً حرمت عليه الطيبات، ولم يجز له -ولا كرامة له- نكاح المؤمنات.

ومعنى قول سيدنا عز وجل: **{وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا}** يريد عز وجل إذا أردتم أن تستبدلوا أزواجاً مكان زوج فلا تأخذوا منهن شيئاً، ولو كنتم أعطيتم أحداهن قنطاراً.

والقنطار: هو الشيء الكثير من المال، فأراد عز وجل أن لا يفعل أولياءه مثل فعل الأنذال، اللئام الخبث الأشرار من الرجال، الذين إذا كره أحدهم زوجته باعدها ولزمها وضيق عليها، حتى تفدي منه نفسها بأن تبريه مما جعل لها من صداقها، فحرم الله ذلك ونهى عنه في هذه ومثلها.

وقيل: إن القنطار مائة رطل من الذهب والفضة، قال الشاعر:

وكانوا ولاة الروم تجبى إليهم قناطيرها ما بين حق وزائد

ثم قال عز وجل: **{أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}** أي كيف يجوز لكم أن تأخذوه بهتاناً وظلماً، وإثماً بَيِّنَاً، هذا ما لا يجوز ولا يحل لكم.

ثم قال عز وجل: **{وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}**، يريد عز وجل التقرير لهم على أنه لا يجوز ولا يحل لهم بعد الإفضاء منهم إليهن، وهو: الركون، والأسرار التي تكون، وأصل الإفضاء في اللغة: هو الانبساط بالسر المكتوم، قال الشاعر:

ولا أرفد المولى العنود بصحبتي إذا هو لم يسند إلي ولم يفضي

ومعنى قوله عز وجل: **{وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}**، أي أخذن بحكم الله منكم حقاً لازماً، واجباً شديداً وثيقاً، لأن حكم الله سبحانه أوثق المواثيق والعهود، وأوكد ما يكون من اللوازم والعقود.

ومعنى قوله: **{وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا}**، يريد عز وجل إلا ما قد مضى من أفعال الجاهلية، إن ذلك الذي مضى من أفعالهم كان فاحشة عند الله قبيحاً، وكان ذلك عنده مقتا مكروهاً، وقبح فعلاً وطريقاً، وكل ما سلف من هذا ومثله فقد غفره الله بالتوبة والإسلام، والإقلاع منه والترك له آخر الأيام.

وكذلك حرم عزوجل ذوات البعول من النساء بقوله: **{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}** من السبايا ذوات البعول المشركين، فلا يحرمن إذا استبريت أرحامهن وأسلمن، ورجعن عن كفرهن، ولولا أنه استثنى هاهنا ما ملكت اليمين، لحرمت كل محصنة بالزواج من نساء العالمين، ولكنه أحل السبايا من نساء الكافرين، فأما ما ملكت اليمين من نساء المسلمين فلا يحل نكاحها إلا بعد أن يطلقها زوجها، وتعتد وتخرج من عدتها، ثم يحل وطئها بعد ذلك لسيدها.

ومعنى قوله عز وجل في الفتيات المملوكات: **{فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ}**، أي فعليهن نصف ما على الحرائر من الحد الذي هو الضرب، وليس عليهن رجم، لأن الرجم لا ينقسم، لأنه يودي إلى التلف، ولا نصف للقتل يفهم، ولا يعمل به عند أهل الحد ولا حكم، لأنه إذا خرج الروح

والنفس من محل الدم لم يخرج إلا معاً، وانقطع من الجسم كله مجتمعاً، لأن النسمة والروح والنفس إذا خرجن كلهن فارقن الجسم ولم يبق بعضهن.

ومعنى قوله عز وجل: **{ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ}**، أي ذلك الجواز الذي أحله الله من نكاح الإماء المملوكات بإذن أهلهن، إنما هو لمن خشي العنت والتعب، وخاف أن يقع في الحرام فيأثم، ولم يستطع كما قال الله عز وجل: **{وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ}**، فإذا لم يكن معه طول ولم يقدر على نكاح الحرائر المؤمنات، جاز له حينئذ نكاح الفتيات المملوكات.

والطول: هو الغنى والمال، الذي ينال به نكاح كرائم الرجال، لأن أكثر الناس لا يرغب إلا في الحطام، إذا كانت رغبتهم في ذلك أكثر من رغبتهم في الإسلام.

ثم قال عز وجل: **{وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ}**، أي وأن تصبروا عن نكاح المملوكات خير لكم حتى يغنيكم الله عز وجل، وتنكحوا من هو من شكلكم إذا اكتسبتم من حلال رزق الله ما أباح لكم.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ}**، أي لكم جعلنا مماليك من ميراث الوالدين والأقربين، ولكل وارث من الرجال والنساء نصيب يتولونه ويملكونه ويحوزونه بحكم الله ويقبضونه.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ}**، فهذه الآية منسوخة فيما قيل والله أعلم.

وكان فيما روي قوم من الجاهلية يتعاقدون ويتحالفون ويتوارثون، فقيل: إن الله سبحانه ورث بينهم بهذه الآية، ثم نسخها بمواريث ذوي الأرحام فقال: **{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}**.

ومعنى قوله عز وجل: **{فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}**، أي فالصالحات المؤمنات من النساء، قانتات لله داعيات إليه، حافظات لأنفسهن من

الكفر عند مغيب أزواجهن غير منافقات، لأن المنافقة الفاسقة الخاينة تحفظ الله لنفسها بحضور زوجها، ولا تحفظ نفسها من الكفر عند مغيبه عنها.

ومعنى: **{بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}**، أي بأمر الله الذي حفظهن أزوجهن به، وهذا حفظ أمر فيه تمكين، وليس بحفظ جبر لا بد أن يكون، ولو جبرهن كذلك لما قدرن على الكفر، ولكنه على ما ذكرنا من الأمر.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ}** يعني اللواتي يباعدن أزواجهن وينفرن منهم، فأمر عز وجل بوعظهن وتذكيرهن، فإن لم ينفع الوعظ فيهن، فالهجر والضرب والأدب الذي يرد إليهن عقولهن، وينفي سوء فعلهن وتدبيرهن، فإن رجعن وأطعن فلا سبيل عليهن.

ومعنى قوله: **{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا}**، يريد إن خشيتم أن لا يتفقا، وأن يتشاق أمرهما ويتقاطعا، فأرسلوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها، حتى يكشفا جميع أمورهما، ويحكمان بالحق على من ظلم منهما، فإن اصطلحا وتم الصلح بينهما وإلا دخل هذان الحكمان في التفريق بينهما.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}**، فإن الله أوصى بهؤلاء كلهم، **والجار الجنب**: هو الضيف، **والجار الأجنبي**: الذي ليس بقريب النسب، **وما ملكت أيمانكم**: فهو الخادم المملوك.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يشدد في المماليك، ويحض على كرامتهم، ويغلظ على من أساء عليهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا}**، يريد عز وجل أن الكافرين يوم القيامة يودون ويتمنون أن تسوى بهم الأرض، حتى يكونوا تراباً مثل ترابها، وتستوي أجسامهم عند الموت بها،

ويصيروا تراباً مختلطاً مستوياً بها، لشدة ما يعاينون من الأهوال، والمصائب الجسام والحزن والنكال، فنعوذ من ذلك بذي الجلال.

ومعنى قوله: **{وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا}**، أي لا يقدرون على الكتمان لما فعلوا إذا ختم على أفواههم، وتكلمت جوارحهم بما عملوا.

ومعنى قوله عز وجل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}** أي لا تقربوا الصلاة حتى تفيقوا من سكرة الموت المنام.

{وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ}، أي ولا تغتسلوا إذا كنتم جنباً إلا قاطعي طريق حتى تغتسلوا بالماء، فهذه الآية تدل على أنه عز وجل أمر بالتيمم بعد النهي عن الصلاة في وقت الجنابة، كما نهى عن الصلاة في وقت سكر المنام، ثم بين بعد نهيه عن الصلاة في وقت الجنابة أنه يجب عليهم التيمم إذا لم يجدوا الماء وكانوا مرضى، فقال عز وجل: **{وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ}** ومعنى قوله أو جاء أحد منكم من الغائط، هو المكان المستتر المنغاط، الذي لا يرى من دخله من الناس، وهذا تعريض يكفي من عقل عن ذكر الأفحاش.

ثم قال: **{أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ}** يدل بذلك على وجوب الغسل على من لامس أنزل أو لم ينزل، كل ذلك لا بد فيه من الاغتسال، واجب فرض من الله على النساء والرجال، إلا أن السنة أتت عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله أنه لا غسل على من قَبَّلَ أو ضَمَّ أو لمس أو شم، إلا أن يجري مني فيجب الغسل، أو مذي فيغسل موضعه فقط.

ومعنى قوله: **{فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا}**، أي فاقصدوا تراباً طيباً، والتيمم فهو القصد في لغة العرب.

ومعنى قوله عز وجل: **{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ}**، يريد عز وجل أنهم عليهم لعنة الله

يحرفون الكلام عن معانيه، ويصرفونه على غير ما يلفظون به وفيه، فيقولون للنبي صلى الله عليه وآله سمعنا واعتقاهم عصينا، ويقولون له اسمع واعتقادهم لا سمعت، ويقولون راعنا واعتقادهم فيما روي راعناً بالتنوين من الرعونة التي هي الحمق والسفه، وهم عليهم لعنة الله أحق بالحمق والسفه والجهل، والخبث وضعف التدبير والعقل.

ومعنى قوله عز وجل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا}** يريد عز وجل آمنوا من قبل العذاب الذي نطمس ونمحو به وجوههم حتى نردها مثل أدبارها، أي مثل أقفيتها، لأن الوجه إذا محي بالنار ومقامع الحديد رجع مثل القفا ليس فيه أنف ولا عين ولا حاجب، ولكن على قامت مقام مثل لأنهما من حروف الخفض.

ومعنى قوله: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ}** أي يمدحون أنفسهم ويحكمون لها بالطهارة وهم كاذبون ومنافقون في ذلك غير صادقين.

ثم قال عز وجل: **{بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ}**، أي لكن الله يطهر من يشاء، فأما من يمدح بالمحال، فالله لا يطهره مع كذبه في المقال، بل يستحق المقت في حكم ذي الجلال، ويتبين جهله وسوء أدبه لأجهل الجهال، فكيف بمن يعقل من علماء الرجال، لأنه لا شيء أقبح من المدح والافتخار، إذا لم يكن لذلك موضع من الاضطرار.

ومعنى قوله عز وجل: **{يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}** قيل إن الجبت والطاغوت: هما كل معبود من حجر وصورة أو شيطان، فهو جبت وطاغوت.

وروي عن العالم صلوات الله عليه القاسم بن إبراهيم عليه السلام أنه قال:

الجبت: هو السحر، **والطاغوت**: هو كل ما أطغى وأضل عن الحق، من الأصنام وغيرها، وإيمانهم بذلك هو تصديقهم به.

ومعنى قوله عز وجل: **{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا}**، أي كلما أحرقت جلودهم، بدلناهم جلوداً حية غير تلك الحراقة، وهي هي بعينها، ولكنها بدلت حية بعد ما احترقت، وأنشأت على غير الصفة الأولى وبدلت.

ومعنى قوله عز وجل: **{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا}** هذا من التقديم والتأخير، والمعنى في ذلك فعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ثم أعرض عنهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}**، أي فيما التبس عليهم، **والمشاجرة**: هي الاختلاف واللبسة، قال الشاعر:

وهم الحكام أرباب الندى وسراة الناس في الأمر الشجر

ومعنى قوله عز وجل: **{وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}** أي حسن أولئك أصحاباً، **والرفيق**: هو الصاحب، قال الشاعر:

وكن مثل طعم الماء عذباً وبارداً على الكبد الحرا لكل رفيق

ومعنى قوله عز وجل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}** من النار، ولا تخلفوا عن النفير إلى الجهاد، وخذوا حذركم واحذروا من أعداء الله بالخيل والعدد والسلاح، **{فَانْفِرُوْا ثُبَاتٍ}** أي جماعات متقطعات مفترقات مروعات، **{أَوِ انْفِرُوْا جَمِيعَاً}**، معاً، وسيروا إن أردتم ذلك جميعاً.

واحد الثُبَات: ثبة، وجماعة الثبة: ثبات وثبين، قال الشاعر:

وإما يوم لا نخشى عليهم فتصبح أرضنا عصياً ثباتا

أي جماعات.

ومعنى قوله عز وجل: **{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ}**، يريد سبحانه فقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا وجاهدهم، فخاطبه عز وجل وهو شاهد بمخاطبته للغائب، في قوله فليقاتل في سبيل الله، والمعنى فقاتل.

ويمكن: أن يكون أمر الذين يشترون الحياة الدنيا بالتوبة ثم بالقتال في سبيل الله.

ويحتمل أيضاً: أن يكون أراد فليقاتل المؤمنون في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ويمكن أن يكون اختصر.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ}** هذا يرجع إلى قوله: **{وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}**، **{وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ}** الآية، وإنما عطف المستضعفين بالواو على ميعاده لأهل القتل والقتال، فوعدهم بالأجر العظيم، ثم قال: {والمستضعفين} فنصبهم بواو العطف على قوله: **{فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}** فكأنه قال: ونؤتي المستضعفين أجراً عظيماً، ولكنه قدم وأخر، وهو تقديم وتأخير غبي لا يكاد يفهم، ولو كان المستضعفون في موضع الابتداء لرفعهم ولما نصبهم لأن ذلك يوجب الرفع والله أعلم وأحكم.

ومعنى قوله عز وجل: **{فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ}** أي جاهدوهم على شركهم، إن كيد الشيطان ودينه كان ضعيفاً لا تقوم لأوليائه حجة، ولا يثبت لهم على الباطل محجة.

ومعنى قوله عز وجل: **{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ}**، يريد عز وجل أن العباد أينما كانوا فلا بد لهم من الموت، سواء كانوا في عز ومنعة، أو كانوا في ذل وضعف وضعه، فلا بد من الموت ولو كانوا في الملك والعز.

والبروج المشيدة: فهي الحصون والدروب المرفوعة المنصوبة المطولة، وإنما قال ذلك ليزهدهم في عزهم، ويعظهم في طول غفلتهم، فهم لم يتعظوا بذلك في عصرهم وبعد عصرهم حتى خلت منهم قصورهم وديارهم، وانقطعت بعد طيب الحياة أعمارهم، وبقيت أعمالهم عند الله وأخبارهم، ولم يعتبر آخرهم بأولهم، لما هم عليه من مكابرة عقولهم، فنأياً وبعداً للقوم الظالمين، والحمد لله رب العالمين.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ}**، يريد عز وجل أنهم ينافقونك إذا حضروا بين يديك فإذا خرجوا من عندك بدلوا قولاً غير الذي قلت لهم ليشنعوا بذلك عليك.

وقيل: التبييت: هاهنا هو التبديل، قال الشاعر [الأسود بن عامر الطائي]:

بَيَّتَّ قولي عند المليك قاتلك الله عبداً كفورا

أي بدلت قولي عند الملك.

وقيل: معنى التبييت: هو ما كان في الليل، مأخوذ من المبيت عند الليل، قال الشاعر[عبيدة بن الهمام]:

أتوني فلم أرض ما بيتوا وكانوا أتوني بشيء نكر

ومعنى قوله **{أَذَاعُوا بِهِ}** أي أظهروه ونشروه، والذائع: هو الأمر المنشور الظاهر الشايع.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}**، هذا يرجع إلى قوله: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}**، ثم أدخل خبراً آخر فقال: **{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ}**، ثم رجع إلى ذكر القرآن وما يتوهم فيه الملحدون من الاختلاف والنقصان، جهلاً بعجائب حكمة الواحد الرحمن، فقال: **{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ}**، **يعني بقوله أولي الأمر**: أمير المؤمنين، وذريته من الأئمة الطاهرين، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

يريد عز وجل أنهم لو ردوا علم التأويل والتفسير إلى أهل هذا البيت الذين اصطفاهم الله، وجعلهم أولى بالأمر من غيرهم، **{لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}**، أي لعلم تأويله الذين يستخرجونه.

والاستنباط: هو الكشف والبحث والاستخراج لبواطن الأمور، بحسن النظر وثبات العقول ولطف التدبير، الذي هو بأسباب الله اللطيف الخبير.

{وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} على القتال، أي حثهم وأمرهم ونشطهم على قتال الفاسقين، وحرضهم على قتال أعداء الله المشركين.

ومعنى قوله عز وجل: **{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا}**، أي ما بالكم وما شأنكم في المنافقين جماعتين مختلفتين، منكم من يقول هم مؤمنون، ومنكم من يقول هم منافقون، بل الواجب أن تجمعوا ولا تنازعوا في أمرهم، وتعتقدوا عداوتهم، فهم منافقون في الكلام الذي أعجبكم من قولهم، ولا تختلفوا ولا تشكوا في نفاقهم.

ومعنى قوله: **{وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ}**، **قيل**: نجاهم من النار ونكسهم، **وقيل**: حشرهم وضمّهم معاً وجمعهم، قال الشاعر:

وأركسوا في جهنم إنهم كانوا عتاة يقولون الكذب والزوراء

[قيل: معنى أركسهم: أي جمعهم في النار معاً، وضمهم في العذاب] [1].

ومعنى قوله: **{حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ}** أي ضاقت صدورهم، **والحصر**: هو الضيق.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ}** أي لو شاء لكثرهم عليكم، ولم يحل بينهم وبينكم، ولكنه عاقهم عن ذلك لرحمته لكم.

ومعنى قوله: **{سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا}** إلى آخر الآية.

أي ستجدون قوماً آخرين يريدون أن يأمنوكم بالنفاق، ويأمنوا إخوانهم وقومهم الكافرين، وهم مع ذلك كلما ردوهم أصحابهم المشركين إلى الفتنة - أي الضلالة - دخلوا ناكسين فيها، والفتنة أيضاً مع ذلك الحرب، فهم يسالمون مرة، وينافقون ويدخلون مرة أخرى مع إخوانهم ويقاتلون، فإن لم يعتزلوكم ويسالموكم ويلزموا أيديهم فاقتلوهم أينما ظفرتم بهم.

{وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا} وعلى قتلهم حجة وسلطاناً، وبياناً من الله لسفك دمائهم وبرهاناً.

---

[1] ما بين القوسين زيادة في (أ).

ومعنى قوله عز وجل: {فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} ليس يريد عز وجل أن المؤمن عدو للمؤمنين، وإنما المعنى في ذلك أن الرجل ربما أسلم وهو يريد الهجرة وهو من العدو في النسب، وليس منهم في الكفر، فيلقاه المسلمون ولم يعلموا بعد بتوبته وإسلامه، فيقتلونه ثم يعلمون بعد ذلك أنه قد تاب ورجع إلى الله وأناب فتجب التوبة على من قتله.

ومعنى قوله عز وجل: {تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ}، أي جعله للكفارة، وهي توبة من الله على المؤمنين، وفايدة ورحمة منه بالتفضل على المسلمين.

ومعنى قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}، أي إذا ضربتم في سبيل الله عدوكم، فتبينوا ولا تعجلوا حتى تدعوهم إلى الله قبل أن تقتلوا، ولا تقولوا لمن أقر بالشهادة من عدوكم لست مؤمناً وقد سالمكم، وطرح إليكم قياده وأطاعكم، لأنكم لا تعلمون الغيب، ولا تأمنون أن يكون صادقاً فيما ذكر لكم، وإنما يجب قتل من قاتلكم ومانعكم، وليس يجب ولا يحل لكم قتل من أطاعكم.

ومعنى قوله: {تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، أي إنما يفعل ذلك من يرغب في الحطام، فيكذب حينئذ من أقر بالإسلام، لتجعل ذلك وطريقاً إلى الحرام، وإلى سفك دماء من حرم قتله من الأنام، وأخذ ماله بالتأويل الكاذب والآثام.

ومعنى قوله: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}أي إن الذين تأخذهم الملائكة وتلزمهم إما عند الموت وإما عند حسابهم.

{قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ} أي في أي معنى كنتم قبل موتكم، وأي سبب عاقكم عن الهجرة والغضب لربكم، فردوا على الملائكة واعتذروا بضعفهم فقالوا لهم {كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ}، فلم يقبل الملائكة عليهم السلام عذرهم حتى ردوا عليهم وأكذبوهم، {قَالُوا

أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا}، إذا ضعفتم عن الأمر بالمعروف والغضب لربكم، ولم تطيقوا الخروج إذا لم تقدروا على التغيير عليهم.

قال الله عز وجل في هؤلاء بأعيانهم، ومن كان مرخصاً في ترك الهجرة مثلهم، **{فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}**.

ثم علم بضعف عباده المؤمنين والمؤمنات والأطفال فاستثناهم فقال عز وجل: **{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا** (٩٨) **فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}** فدل سبحانه بقوله لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً على أن من قدر على الهجرة بحيلة من الحيل، أو بسبب من الأسباب، ثم لم يهاجر فهو مستحق للسخط والعذاب، بريء من الله عدو لرب الأرباب.

ثم قال عز وجل: **{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً}** فدل بذلك على أنه أراد عز أوليائه، وإرغام كل عدو له ولأوليائه، لأن في الحلول بين أظهر الفاسقين سروراً لهم بما يرون من ذل المؤمنين، وفي الهجرة عنهم إرعابهم بما يرون من عز المسلمين.

والمراغم: فهو المكان الذي يغمهم ويسوؤهم، ويبعد المؤمنين من ضيمهم وجوارهم، فيجب على المؤمن أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإن لم يقدر على نفي ذلك وجب عليه أن يهاجر في أرض الله عن ذلك الموضع، فإن لم يقدر لكثرة عياله ولم يمكنه أن يهاجر بهم، كان يهاجر مرة في بلاد الله، ومرة يتعهدهم حتى يأتي الله بأمره وهو على كل شيء قدير.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ}**، أي ليس عليكم مأثم، لأن الله خفف بذلك عنكم لعلمه بثقل مؤونة الضرب في الأرض والسفر عليكم.

ومعنى قوله: **{إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا}**، أي إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا إذا طولتم في الصلاة حتى يظفروا بكم، ولكن اقصروا واخفوا ولا تمكنوا أعداء الله منكم.

ومعنى قوله عز وجل: {لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ}، أي بما أراك الله من دينه، وعلمك من حكمه ويقينه، وليس يريد بذلك اجتهاد الرأي كما يتوهم الجاهلون، ويذهب إليه من الجهل والتخبط هؤلاء الغافلون، لأن رأي الله أحق من رأي العباد، وحكمه أقرب إلى الحق والرشاد، وأنفى للاختلاف، وأبعد من الفساد.

ومعنى قوله: {وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}، أي لا تخاصم عنهم، ولا تجادل دونهم، وذرهم في لعنة الله هم وأشكالهم، ولا تمدحهم فليسوا بأهل ذلك ولا كرامة لهم.

وقد يحتمل أن يكون نهى عن كثرة الحديث معهم، وأمر بالإعراض والاحتراز منهم، والخصام في بعض اللغة هو الحديث والكلام.

ومعنى قوله عز وجل: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}الآية: يريد عز وجل أنه لا خير في كثير من كلامهم، ولا فائدة عند من يعقل في كثير من حديثهم وهذيانهم، لأن أكثر الحديث الذي سمعتم من هؤلاء الجهال، إن لم يضرهم فليس ينفعهم لأنه هذر بعيد من الصواب ولعب ليس فيه قربة إلى رب الأرباب.

ثم قال عز وجل واستثنى عباده المؤمنين، الآمرين بالمعروف من الأبرار الموقنين: {إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}، فجمعت هذه الكلمات أصول جميع الخيرات، لبُعدها من القبائح والشنع والمنكرات، لأن في الأمر بالصدقة إشباع البطون وكسوة الظهور، والأجر لمن فعل ذلك عند الواحد العليم القدير، لما في الصدقة على الضعفة لهم من السرور، والفرح والراحة من النكر والشرور، فنسأل الله أن يبلغنا ما نأمل من سرور عباده المستضعفين، وكشف ما نالهم من بخل هؤلاء السفلة الجائرين.

[وكذلك الأمر بالمعروف ففيه المصلحة للآمر والمأمور، وخمول القبائح المستقبحة من جميع الأمور] [1].

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

وكذلك الإصلاح بين الناس فيه حقن دمائهم وصلاحهم، وسلامتهم من التعب وسرورهم وفلاحهم، فسبحان الله ما أرحمه للعباد، وما ألطفه في الدلالة لهم على البر والرشاد، فنسأل الله أن يهلك من عصاه، وأن يعجل بنصر دينه على من كره قبول أهل هداه.

ومعنى قوله عزوجل: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}**، يريد عزوجل أنه لا يغفر لمن مات وهو على الشرك، ويغفر ما دون الشرك من الزلل الذي لم يتعمده المؤمن ولم يرد به مقاطعة الله عز وجل، والشرك هو العمد، ألا ترى أن من تعمد مقاطعة الله فقد استخف بحقه، ومن استخف به فقد آثر طاعة إبليس على طاعته، وإن قدم طاعة الشيطان فقد كفر وأشر ك بالرحمن، وقاطعه وباينه وعاداه بأبين البيان.

ومعنى قوله: **{فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ}**، أي فليقطعن آذان الأنعام، وذلك لعمري موجود حتى الآن في هؤلاء الأعراب الطغام، **والبتك**: هو القطع في اللغة، قال الشاعر:

طارت وفي كفه من ريشها بَتَكُ

أي قطع.

ومعنى قوله عز وجل في التوقيف لعباده على أنه أصدق خلقه: **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}**، أي ومن أصدق منه قولاً، أو من يكون أيها الجاهلون أوفى منه وعداً، ولكنكم لم تحيطوا بمعرفة فضائله تبارك وتعالى، لأنه عز وجل أعظم الأشياء فضلاً.

ومعنى قوله: **{وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}**، أي اتخذه ولياً وحبيباً.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ}**، أي يسألونك عن يتامى النساء اللواتي لا يعطونهن أموالهن التي جعلها الله وكتبها، وحكم بها لهن وهم راغبون عنهن وعن أن ينكحوهن.

والرغبة أن ينكحوهن معناه: أن لا، ولكن أن تقوم مقام أن لا، ثم وعظهم تبارك وتعالى وأن يقوموا لليتامى بالقسط، أي بالعدل.

ومعنى قوله عز وجل: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} يريد عز وجل أن المرأة إذا خافت من زوجها أن يكون قد مقتها وأبغضها وخشيت أن يبعد ويهرب ويفر منها فلا جناح عليهما أن يتصالحا بشيء من الواجب، ويفترقا إذا رضيت بشيء معروف ورضيت منه بفراقها وأخذت منه ولو بعض صداقها، فأما إن طلقها هو من ذات نفسه فالواجب عليه جميع حقها، وكذلك لا يحل له أن يضطرها إلى ذلك إذا كرهها، بل الواجب عليه إذا أبغضها أن يسرحها وأن يوفيها، وأن أحبها لزمها بالمعروف وأحسن إليها، لا بد من أحد هذين الوجهين: إما إمساك بمعروف كما قال الله عز وجل، أو تسريح بإحسان.

ومعنى قوله: {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ}، أي فطرت وقرب إليها محبة الشح واللوم، ليمتحنهم بذلك حتى يصبروا عما تدعوهم إليه أنفسهم، ويخالفوا أهواهم المركبة في قلوبهم، فيستحقوا الثواب من الله على صبرهم وزجرهم لما ركب وفطر من محبة أنفسهم، وكثير من الأسباب فطر الله النفس على محبتها، ثم أمرهم بتركها وجعل لهم الاستطاعة إلى مفارقتها، ليثيبهم على صبرهم عن الأنفس وشهواتها.

ومعنى قوله عز وجل: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ}، أي لن تقدروا على العدل بينهن في محبة قلوبكم، إذ هن مختلفات في أعيانكم وشهواتكم، فلما علم بذلك لم يعتب عليكم، لعلمه عز وجل بما ركب فيكم، لأن الرجل إذا كانت عنده زوجتان فكان يحب إحداهما أكثر من محبة الأخرى، وكان يميل إلى محبة هذه وإلى الحديث معها، ومحبة النظر إلى محاسنها، وتخف نفسه وجوارحه إليها، فليس يقدر على أن يفعل ذلك لغيرها، لأن هذا تركيب من الله جعله لها، ونعمة أنعم بها عليها، لما جعل سبحانه من زينة جوارحها، وحسن صورتها، وخفة روحها.

ومعنى قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}: قيل: إنه أمر الذين آمنوا باللسان أن يؤمنوا بقلوبهم.

وقد يمكن أن يكون هذا أمراً منه بالثبات على الإيمان، والمواظبة والحرص على طاعة الرحمن، والصبر والاجتهاد في البر والإحسان.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا}** أي لن يجعل عز وجل لأعدائه سبيلاً إلى الاحتجاج عليهم ولا يقدر أعداء الله على الظهور عليهم، لأن الحق مؤيد قوي، والباطل ضعيف مخذول غوي.

ومعنى قوله في المنافقين: **{مُذَبْذَبِينَ}**، أي متحيرين مضطربين، غير مستقرين ولا ثابتين ولا مقيمين في فن واحد ولا تائبين.

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ}: أي في العذاب المدرك لهم من أسفل النار، وهو أشد ما جعل الله لأعدائه الفجار، الخونة المنافقين من الأشرار.

ثم قال عز وجل منبهاً لعباده على أنه لا يحتاج إلى عذابهم، ولا يريد سبحانه شيئاً من عقابهم: **{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ}** أي ليس له حاجة إلى عذابكم، لأنه خلقكم لينفعكم، ولم يرد بذلك عذابكم، إلا من أراد مقاطعته منكم فهو صادق فيما به وعدكم وأوعدكم.

ومعنى قوله: **{قُلُوبُنَا غُلْفٌ}**، أي مغلقة ومقفلة بقفال يمنعها ويغطيها، ويحول بينها وبين الهدى ويعميها، هذا اعتلال منهم، لما تركوا الهدى، ومالوا إلى الجهل والحيرة والردى، فأما الله فبريء من ظلمهم، ولم يحل سبحانه بين الهدى وبينهم، ولكنهم لما عموا عن الحق طبع على قلوبهم.

ومعنى طبعه عليها: هو تركه لها على جهلها، إذ لم يخرجها من حيرتها، ولم يحل بينها وبين قبيح فعلها.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ}**، وروي في ذلك أنهم لما حبسوه أخرجه الله من حبسهم، ورفعه حياً سوياً إلى حيث شاء ونجاه منهم، وقيل: إن الله رفعه إلى السماء.

وروي أن معنى قوله عز وجل: **{وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ}**: أن الله عز وجل صور بعض أعدائه على صورة عيسى، فكان شبهَهُ في الخلق، فلما رآه إخوانه الكافرون حسبوه المسيح، فقتلوه وصلبوه، وقالوا: قتلنا عيسى، فهذا معنى قوله: **{وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ}**، كما قد ترون اليوم من الناس المشتبهين في الألوان والصور والهيئات، فإذا نظر بعضهم إلى بعض لم يكد يفرق بينهم إلا بالشيء اليسير، فكذلك هذا الكافر كان شبه عيسى المسيح في الصورة والقدر، ولم يشبهه - والحمد لله رب العالمين - في الدين والفخر.

ثم قال مولانا عز وجل مكذباً لهؤلاء الكافرين، عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين: **{وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا(١٥٩)}**، وهذا الكلام يحتمل ثلاثة أوجه:

إما أن يكون عنا بقوله {ليؤمنن به}: أي عند غصة موتهم يؤمنون كإيمان فرعون عند يقينه بالغرق، حين لا تنفعهم توبة، ولا تقبل منهم معذرة.

والوجه الآخر: هو أن يكون أراد بقوله {ليؤمنن}: أي ليس منهم أحد إلا وقد آمن بالمسيح قبل أن يموت إيمان الإقرار.

ويمكن أن يكون قوله {ليؤمنن}: أي قد آمنوا، لأن المستعمل في اللفظ ربما كان ماضياً في بعض اللغة، قال الشاعر:

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخا دم وذبائح

فقال يكون، وإنما أراد فلقد كان أخا دم وذبائح.

الوجه الثاني: هو ما روي عن الأئمة صلوات الله عليهم من أن الله عز وجل يظهره في آخر الزمان، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به في ذلك الوقت، عند نزوله إلى المهدي، حين يدعو الناس إلى طاعته، ويصلي فيما روي خلف الإمام عليهم السلام.

وقيل: إنه يقيم بعد موت الإمام سنتين ثم يموت.

وروي أنه إذا ظهر كثر إسلام الناس ورجعوا إلى الحق، والله أعلم بصحة ذلك.

ومعنى قوله عز وجل: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} إلى آخر الآية، ثم ذكر داود وموسى فليس في هذه الآية شيء يحتاج إلى تفسير وبيان إلا الأسباط فيمكن أن يكون نبياً، ويمكن أن يكون اسماً لجماعة أنبياء.

ومعنى قوله عز وجل: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ}، أي هو عليه السلام رسول الله إلى عباده.

ومعنى قوله {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ}: أي إرادته التي يقدر في خلق المسيح، فسمى الإرادة التي هي خلقه لعيسى كلمة، ولعمري إن كلمه [نافذة ومنه تامة، والكلمة عبارة عن تكوينه بلا كلام، ولكنه ضرب][1] الكاف والنون مثل لنفاذ الإرادة، التي هي التكوين والفطرة.

ومعنى قوله: {وَرُوحٌ مِنْهُ}، أي وروح من خلقه وفضله، وكل خير فمن الله وتدبيره، وحكمته ورأفته وحسن تقديره، والروح هو الحياة والبركة والنجاة والسلامة والنعمة والخيرات، وكذلك سيدنا المسيح صلوات الله عليه روح من أرواح الهدى، وحياة ونعمة ونجاة من الردى.

---

[1] ما بين القوسين زيادة من (أ).

تفسير غريب سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى قول سيدنا عز وجل: **{مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ (٧)}**، أي هن أصول الكتاب، والأصول: هي الأمهات، والفروع المتفرعة هي الأولاد والبنات، فمن أحاط بالأصول لحقته وانقادت إليه الفروع، والأصول المحكمة من الأمهات، مثل سورة التوحيد ومثل قوله: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**، وما أشبه ذلك مما لا يحتاج إلى تفسير.

وأما المتشابه: فمثل ما لا يليق بالله، ويكون لفظه مخالفاً للأصول، والواجب أن نعتقد الأصل ونتأول في الفرع.

{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ (٧)} يعني أهل الشك والجهل والكفر.

{فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ (٧)}، والفتنة هاهنا هي الضلالة في تعسفهم للتأويل، قال الله عز وجل مبعداً لهم من معرفة تأويل الكتاب، ومنبهاً لعباده ذوي الألباب، ودلالة لهم سبحانه إلى الرشد والصواب.

{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (٧)} يعني الأئمة عليهم السلام.

ثم قال عز وجل: **{يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ}**، **والراسخ**: هو المتمكن في بحبوحة الشيء الذي يدخل ولا يطيش، والعرب تقول: رسخت الحجر في الماء، إذا تمكنت، ووقعت في أسفل الماء ودخلت، فكذلك عقول هؤلاء تدخل في الأسباب إلى مستقرها، وترسخ حتى تستقر إلى نهايتها، فضرب الله الرسوخ مثلاً.

ومعنى ما ذكر عز وجل من دعاء المؤمنين **{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا (٨)}**، **فمعنى ذلك**: ربنا لا تتركنا من توفيقك فنزيغ عن طاعتك، ولكن ثبت قلوبنا بقوتك ورحمتك، حتى لا نزيغ أبداً عن إرادتك وطاعتك.

ومعنى قوله عزوجل في الكافرين: **{وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠)}**، أي حطب النار.

ومعنى قوله: {وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ (١٤)}، أي الخيل ذات الأعلام والغرر والتحاجيل والعلامات، **والسومة**: هي العلامة، قال الشاعر:

جرداء صافية الأديم مسومة

وقد يكون المسوم: هو الذي يعجب السائمين حتى يكون مطلوباً نفيساً غالياً، قال الشاعر:

وما طعم عنقود أحم زبيبهُ غلا عند واليه فليس يسام

أي فليس بمطمع فيه، ولا يُطلب للبيع.

ومعنى قوله عز وجل: {وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ (١٥)}، أي مطهرة من الذنوب، ومما لا يحسن ذكره من أصناف العيوب.

ومعنى قوله عز وجل: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ (١٨)}، أي شهد لعباده وكفى بشهادته أنه ليس ثَمّ إله سواه.

ومعنى {شهد} أيضاً: هو علم أنه لا رب غيره، وكذلك شهادة الملائكة.

{وأولي العلم}: هو علمهم جميعاً بالدلائل الواضحة، أنه لا إله إلا هو، وشهادتنا له بالوحدانية والدلائل موجودة في كتبنا التي وضعناها في (التوحيد والرد على من ألحد في صنع الله الواحد المجيد).

وأولوا العلم هاهنا: هم الأنبياء والأئمة الطاهرون، وأتباعهم الأخيار المؤمنون.

ومعنى قوله: {قَائِمًا بِالْقِسْطِ}، أي مقيماً للعدل والإحسان، والعرب تقول للرئيس من رؤسائها: قام بأمور الناس، إذا أقام أمورهم وعدلها، وليس يريدون أنه قام على رجليه، وإنما القرآن عربي مبين.

ومعنى قوله: {فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ (٢٨)}، من الثواب، ولا ينال من الله إلا السخط والعقاب.

ومعنى قوله عز وجل: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ (٢٨)}، أي ويحذركم الله ذاته أن تعصوه، فيعذبكم إذا لم تطيعوه.

ومعنى قوله: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا (٣٥)}، أي قالت: رب إني أوجبت لك هذا الولد معتقاً من أمر الخدمة، لا أشغله بشي سواء طاعتك، وهكذا يفعل الصالحون، وأولياء الله المشمرون المجتهدون من تعليم أولادهم للدين، والمعرفة لله الحق اليقين، لا يشغلونهم كما يفعل الجهال بأشغال الدنيا، وطلب ما يزول قريباً ويفنى.

ومعنى قوله في ذكر مريم رحمة الله عليها {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ (٣٧)}، أي قبل فعلها وشكره، ونزهه ورفعه وطهره.

ويمكن أيضاً: أن يكون جعل لها قبولاً حسناً، وروحاً خفيفاً، والعرب تسمي الخفيف الروح من الناس مقبولاً، ويقولون: رأينا لفلان بهجة وقبولاً، إذا قبلته نفوسهم، وأسرعت إلى محبته قلوبهم، قال الشاعر:

من الناس ممنوح القبول ومنهم عليه من البغضاء ضربة لازم

ومعنى قوله عز وجل: {وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا (٣٧)}، أي خلقها خلقاً مزيوناً صبيحاً، وأنشاها منشأً وشباباً مليحاً، لأسباب من الحكمة جعلها، وكرامة من الله ونعمة فعلها، وفي الآخرة أحسنها وأجملها، وأتم لخلقها وأكملها.

ومعنى قوله: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا}، أي تولى أمرها، وأصلح شأنها، وقام بجميع مصالحها، وكان فيما روي بينه وبينها قرابة.

ومعنى قوله لها: {أَنَّى لَكِ هَذَا}، أي كيف وصل إليك هذا، إذا وجد عندها رزقاً.

وقيل: أنه كان يجد عندها ثمار الصيف في أيام الشتاء، وثمار الشتاء في أيام الصيف، والله أعلم وأحكم.

وأما كتاب الله فيوجب أن الله أسبغ عليها [رزقه، ووسع عندها نعمه] [1] وأرفاقه، رحمة منه وكرامة لها، لمعرفتها لله وطاعتها وتوكلها.

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

ومعنى قوله عز وجل في قصة خبر زكريا وما وعده الله به من خلق يحيى صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته عليهما:

{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً (٤١)}، أي دلالة على خلقه وعلامة.

{قَالَ آيَتُكَ (٤١)}، أي دلالتك على خلقه وعلامتك، أن ينقطع صوتك ثلاثة أيام فلا تقدر على خطاب الناس، {إِلَّا رَمْزًا (٤١)} أي تحريكاً لشفتيك وإشارة.

{وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ (٤٤)}، يمكن - والله أعلم -: أن يكونوا تساهموا وطرحوا الأقلام، وجعلوها بمنزلة السهام، أيَّ هؤلاء القرابة يقوم بكفالتها، فكفلها زكريا عليه السلام.

{وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}، يريد أنك ما حضرتهم وما كنت عندهم حين كانوا يتفاتحون ويتحدثون.

ومعنى قوله عز وجل: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (٤٥)}، أي له جاه عند الله وعند الملائكة والأنبياء والمرسلين والصالحين، وله عندهم شرف عظيم، وحق جسيم، لما هو عليه من السياحة والفضل المبين، والقربة إلى الله الواحد الحق اليقين، فزاد الله مولانا شرفاً وقدراً إلى قدره، ونسأل الله أن يقوم في الدنيا والأخرة بنصره.

ومعنى قوله عز وجل: {كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ (٤٩)}، أي كمثل صورة الطائر.

ومعنى قوله: {تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ (٤٩)} أي وما تخبون في منازلكم.

ومعنى قوله عز وجل: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ إلى قوله وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٢)}، ليس يريد عز وجل أن الحواريين مكروا، وإنما هذا من التقديم والتأخير، والمعنى في ذلك {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ}، أي رأى كفرهم، وسمع قبح لفظهم.

ومعنى قوله: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} أي من ينصرني لله ولطلب ثوابه، فنصره الحواريون رحمة الله عليهم.

ومعنى قوله عز وجل: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٥٥)}، أي متوفيك وفاة قبض وأخذ من غير موت، فيما روي إلا وافياً بكليتك وجميعك، وهو مأخوذ من أخذ الجميع، قال الشاعر:

ولا توفاهم قريش في العدد

أي يحسب جميعهم في عددها.

وقيل: إن الله رفعه إلى السماء، وإذا قد رفعه الله إليه وإلى حيث شاء فلسنا نبالي كان في سماء أو في أرض، والله أعلم بذلك.

ومعنى قوله عز وجل فيما أمر به نبيه صلى الله عليه وآله من المباهلة للنصارى - عليهم لعنة الله - **فالمباهلة**: هي الملاعنة، **والبهلة في اللغة**: هي اللعنة، فأراد الله من نبيه أن يجمع النصارى إن حاجوه، ثم يدعوهم إلى أن يلعنوا من كذب على الله، ومن فعل ذلك ولم يرجع إلى الحق نزلت به عقوبة وخزي من الله عز وجل في هذه الدنيا، وعجلت له النقمة في هذه الأولى.

ومعنى قوله عز وجل: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ}، أي هلموا إلى كلمة النصفة والحق، فهي سواء ليس فيها شطط على أحد ولا ميل، وهي: {أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ}.

ومعنى قوله عز وجل: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ}، أي أحق الناس بإبراهيم عليه السلام وأقربهم إلى اتباعه والاقتداء به الذين اتبعوه من ذريته وشيعته، ثم هذا النبي أولى به وأحق للمشابهة له، من هؤلاء اليهود والنصارى - عليهم لعنة الله والمؤمنين - فهم لإبراهيم أولياء لأنهم اتبعوه، وأما اليهود والنصارى فهم خالفوه، ولم يتبعوا دينه بل جانبوه.

{وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ}، هذه حيلة علمها الله من أهل الكتاب فأخبر بها المؤمنين لئلا

يقبلوا بنفاقهم، لأنهم قالوا - عليهم لعنة الله-: أعطوا المسلمين الرضى بدينهم في أول النهار ثم أكفروا في آخر النهار، ليقول الناس قد تبين لليهود والنصارى سبب أوجب الوقوف.

ومعنى **{أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ}**: فهذا من التقديم والتأخير، والمعنى في ذلك: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، لا يؤتى أحد ولا يعطى مثل ما أعطيتم من العلم، أو يحاجوكم في ربكم، -ولكن عند تقوم مقام في - وهذا قول اليهود والنصارى إلا إنهم تواصوا أن لا يؤمنوا، فيكون غيرهم في العلم مثلهم حسداً للمؤمنين، فرد الله عليهم سبحانه: **{قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ}** ولكن الآية على ما ذكرنا من التقديم والتأخير.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ}**الآية: أي ولا يكلمهم على ألسن الملائكة صلوات الله عليه بالبشارات، ولا ينظر لهم برحمة ولا يريدها لهم بشيء من الخيرات، ولا يطهرهم ولا ينزههم في ذلك اليوم من السيئات.

[ومعنى قوله **{كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}**: أي علماء معلمين، بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون] [1].

ومعنى قوله: **{وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي}**: أي عهدي.

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ}، أي مسجد، **{وُضِعَ لِلنَاسِ}** أي بُين لهم وجُعل **{لَلَّذِيْ بِبَكَّةَ}**، أي بمكة، والأصل بكة، ولكن الناس جعلوها مكة.

وقيل: إنها سميت بكة لبك الناس بها، وهو ورودهم وازدحامهم ودخولهم لها، قال الشاعر:

إذا الشريف أخذته أَكَّه فخلّه حتى تبك بَكَّه

أي فذره حتى يورد ورده وإبله، والله أعلم وأحكم.

{مَقَامُ إِبْرَاهِيْمَ} أي مكانه الذي قام فيه الطاعة لله، وإنفاذ أمره.

ومعنى قوله: **{وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}**: أي ومن دخله لأداء فرض الله الذي فرض عليه كان آمناً من عذاب الله.

---

[1] ما بين القوسين زيادة من (أ).

ومعنى قوله: **{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}**: أي خافوا الله واتقوا عذابه بحقيقة طاعته، التي لا تقصير فيها عن الحق والاجتهاد، فيما أمر به من الصدق.

ومعنى قوله: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}** أي وامتنعوا بدين الله بجميعكم، ولا تختلفوا ولا تفرقوا في دينكم.

ومعنى قوله: **{وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا}**: أي وكنتم على جانب حفرة من النار قد أشرفتم على الهلاك فنجاكم منها، **وشفا الموضع**: هو شُرْفُه المطل عليه، ويقال أشفا على الموت إذا أشرف على التلف.

ومعنى قوله: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}** أي أنتم خير الأمم كلها، يعني من اتبع رسول الله وأطاعه، وفضل التابع على قدر فضل المتبوع، لأن أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأوا من الهدى ما لم يُرَ قبلهم، فكأنهم أعلم من تلك الأمم لأن معلمهم ونبيهم صلى الله عليه وآله وسلم أعلم الأئمة الذين مضوا قبله وبعده، وإنما قال كنتم خير أمة أخرجت للناس ولم يقل خير أمة تخرج.

وأمة نبينا الذين اقتدوا به خير الأمة، وأمتنا نحن أفضل منهم، لأنهم إذا اقتدوا بنا، وساروا بسيرتنا، أعلم من الأمم كلها، لا ينكر ذلك أحد يعقل، ولا يكابره إلا مَن يجهل، فنحمد الله على ما خصنا به من اليقين، والمعرفة لله الواحد الصمد المتين.

ومعنى قوله: **{إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ}**: فالحبل هو الزمام والميثاق.

ومعنى قوله: **{يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ}**: أي في أوقات الليل.

ومعنى قوله: **{كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ}**: أي فيها برد، **والصر**: هو البرد، قال الشاعر:

ليلُك يا واقدُ ليلٌ قُرُّ ... أوقدْ فإنّ الريحَ ريحٌ صِرُّ
حتى يَرَى نارَك مَن يَمُرُّ ... إن جلبتْ ضيفاً فأنت حُرُ

وقال آخر:

لا يبرمون إذا ما الأرض حلّ بها ... صر الشتاء من الأمحال كالأدم

ومعنى قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ}: أي لا تتخذوا خاصة من غيركم، ومن هو معرض عن مذهبكم ودينكم.

ومعنى قوله: {لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا}أي لا يطيقون محبتكم بغضاً وضلالاً، وجهلاً منهم وخبالاً.

{هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ}: أي تحبون لهم التوبة والخير، وهم لكم ماقتون، لأن أولياء الله لا يبغضون أحداً في بدء أمرهم، لما هم عليه من كرم طباعهم، وبرهم وتعطفهم، ولطفهم وفضلهم، حتى يجب من الله على أعدائه السخط بعد مكابرتهم.

ومعنى قوله عز وجل: {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ} أي من وقتهم ذلك، ومن آخر ساعتهم، {يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ}: أي معلمين بعلامات مزينين، **والمسوم** هو الذي قد علم بعلامة يبين بها عن غيره، قال أبو طالب يمدح النبي صلى الله عليه وآله:

أمين نجيب في العباد مسوم بخاتم رب قاهر للخواتم

{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}: أي وما جعل لله هبوط الملائكة لقتلهم، وإنما أهبطهم الله ليثبت قلوبكم بنزولهم، ولينصركم الله ببركتهم وقربهم وحضورهم، وما النصر إلا من عند الله، لأنكم لم تكونوا لتقتلوا عسكراً معقوداً مع قلتكم وضعفكم، لولا أن الله أعانكم ونصركم، فلا تحسبوا ولا توهموا أن ذلك النصر منكم.

ومعنى قوله عز وجل: {لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ}: يريد أنه فعل ذلك ليقطع طرفاً منهم بالقتل، و{يَكْبِتَهُمْ}: أي يردهم ويغيظهم ويخزيهم حتى يرجعوا منهزمين خائبين، ولا يظفروا بما أرادوا من هلاك المؤمنين.

ومعنى قوله عز وجل: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ}: **القرح**: الجراح في لغة العرب.

ومعنى قوله: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}: أي يعطي كل قوم دولة من الأيام، فيحيي قوماً ثم يميتهم ويحيي آخرين، فلكل دولة من حياة الأنام، حتى يقبض الله عز وجل جميع الأنام، بمداولته بينهم لليالي والأيام.

ولا يشكل في تفسير هذه الآية على قول الطغام وما ذهبوا إليه من دول الجبارين، وسلطان ملك الظلمة الكافرين، لأن الله لم يجعل الدولة لأعدائه، ولم يُحَكِّمهم على أحد من أوليائه.

ومعنى قوله: **{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا}**: أي يمتحنهم بهذه الدول في الحياة، حتى يكتسبوا عند المحنة والاختبار من الطاعة قبل الوفاة، ما ينجون به من عذابهم أعظم النجاة، لأنه لم يعمرهم إلا ليمتحنهم بشكره، ويمحصهم بالصبر على طاعته وأمره.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا}**: أي ما كان أحد ليموت إلا بترك الله له عز وجل، لأنه ركب النفس على الضعف، وتركها ولم يحصنها بالقوة ويمنعها، وجعل ذلك الضعف كتاباً ووقتاً مؤقتاً إن أبطل وأفسد فسد، وان ترك ثبت.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون أراد بقوله أن الأنفس لا تموت إلا بإذنه لها بالخروج، فالقتل فعل القاتل، وإخراج النفس في ذلك الحين من الله.

ويمكن: أن يكون العذاب للقاتل على الضرب لا على إخراج النفس والأجل.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون أراد أن أنفس أوليائه لا تتلف إلا بعد أن علم أنهم قد بلغوا من أجلهم وقتاً يكون في مثله موتهم، فيخليهم للقتل ولا يمنع بالجبر منهم، ليكون ذلك أعظم لثوابهم وأجرهم، مع أنه لم يرض بقتلهم، ولم يأذن للكافرين بقبح فعلهم.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا}**: أي ومن قصد وجه الله وطلب منه أن يعطيه من الدنيا أعطاه منها، لأنه عز وجل غني عنها، وهو يثيب أولياءه ثوابين: ثواب في الدنيا وثواب في الآخرة، وأما من قصد الدنيا وهو زاهد في الآخرة فليس يضيع له شيء عند الله، وهو يثيبه على حسن فعله في هذه الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب ولا حُسنى.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ}**: أي وكم من نبي قتل معه.

ومعنى قوله **{رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ}**: أي جمائع كبيرة وعساكر، **والربة** - فيما قيل-: هي الجماعة، وكذلك الرُّبِّيّ، قال الشاعر:

إذا معشر تجافوا عن القصـ ـد أهلنا عليهم رِبِّيَّا

أي جمائع كبيرة.

ثم رجع إلى ذكر الأنبياء صلوات الله عليهم ومدحهم بالصبر على القتل، كلما قتل منهم قوم قام آخرون ولم يضعفوا لذلك، فقال عز وجل: **{فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا}**: يريد أنهم لم يذلوا من أعداء الله ولم يضعفوا ولم يجبنوا، **والاستكانة**: هي الذل والجبن، قال المرتضى لدين لله عليه السلام:

إني لأكرم نبعة من هاشم لا تستكين لحرب من ناصاها

ومعنى قوله: **{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ}**: أي تضربونهم بالسيوف بأمره عز وجل وحكمه، قال الشاعر:

نحسهم بالبيض حساً كأنه حريق لظى في غابة يتضرم

{حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ}أي اختلفتم في الأمر ولم تتفق إرادتكم، يعني يوم حنين بين مكة والطائف عند جهاد المشركين.

ومعنى قوله: **{وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ}**: أي عصيتم الله في الهزيمة عن المشركين، من بعد ما أراكم ما تحبون من كثرة جماعة المسلمين.

{ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ} أي صرفكم بتركه لكم في الهزيمة عنهم، صرف تخلية، إذ لم يجبركم على الوقوف لهم.

{وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} أي بعد توبتكم.

{إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ}: أي ولا تعطفون على أحد.

{وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ}، **واللي**: هو العطف، قال الشاعر:

كَفَتْ ثوبي لا ألوي على أحد إني سليب القنا كالبكر يحتطم

{فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ}: أي غماً بعد غم، كافأكم بالغم على هزيمتكم وتوليكم عن العدو وإدباركم.

ومعنى قوله: **{لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ}**: أي لئلا تغتموا على ما فاتكم من الدنيا، ويكون همكم لطلب ثواب الله، ويكون هذا الغم عقوبة لكم على هزيمتكم،

ومحرضاً لكم على التوبة إلى ربكم، **{ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ}**: أي ثم جلى عنكم الغم بالعطف على النبي صلى الله عليه وآله والأمان من العدو، بعد صبركم ونعاساً، ولكنه حذف الواو، وإنما جعل النعاس لأوليائه يغشاهم ليذهب تعبهم ونصبهم، ويريح بذلك من الحركة جوارحهم.

{قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}: أي قل لهم لو كنتم في بيوتكم لما نفعتكم البيوت من الموت، ولبرزتم يا هؤلاء الذين كتب وفرض عليهم القتل والقتال، إلى قبوركم حتى تضجعون فيها، ولا تنفعكم النجاة من القتل، لأنكم لو سلمتم مما كتب عليكم من القتال أو القتل وفرضه الله وحكم به، لما سلمتم من الموت وخرجتم صاغرين إلى القبور.

ومعنى **{كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ}**: أي فرض عليهم القتل لأعداء الله، ولكنه اختصر، وجعله متشابهاً لما أراد من محنة جميع البشر.

ومعنى قوله: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ}**: أي فبرحمة من الله لنت لهم وحسن خلقك، ولان قولُك وفعلُك، واتسع لهم صدرك وفضلك.

{وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}: أي لو كنت جافياً غليظ الطباع، لافترق عنك المؤمنون، ولما تبعك أحد من المسلمين، ولكن برحمة الله وتأديبه حسن فعلك، ولان لعباد الله جانبك وقلبك، حتى رحمتهم برحمة الله وأمره وتأييده، وتوفيقه وتسديده.

{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ}: أي وما كان لنبي أن يلزم عنه حقه الذي جعله الله واجباً له.

{وَمَنْ يَغْلُلْ}: أي يلزم ما افترض الله عليه.

{يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}: أي يأتي بوزر فعله ومأثمه يوم القيامة.

ومعنى قوله: **{وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ** (١٦٦) **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا}**: أي وما أصابكم من لقاء الجهاد، فإنما هو بأمر الله ليميز لرسوله بين المؤمنين والمنافقين حتى يعلم ذلك، ولكنه اختصر.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}**: **يحتمل وجهين**:

إما أن يكون أراد حياتهم في الآخرة.

وإما أن يكون أراد حياة أرواحهم في هذه الدنيا.

فقد قيل: إن الله خص الشهداء بحياة أرواحهم، وصبرهم على محن الجهاد وتضحيتهم.

وروي بعد ذلك أن أرواح المؤمنين في البشارات في هذه الدنيا، **وقد يمكن ذلك**: لأن الله رحيم بعباده المؤمنين.

وقيل: إن أرواح الفاسقين في التهدد والوعيد، والغموم والعسر والعذاب والتبكيت، فزادهم الله عسراً ونكداً، ولا فرج عنهم من العذاب المهين أبداً، وزادهم الله ناياً عن رحمته وبعداً، بما خالفوا الله وعصوه تمرداً، واجتهدوا في إماتة الحق والدين والهدى، وإذاعة الفواحش والظلم والردى.

ومعنى قوله عز وجل في هؤلاء الشهداء: **{فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ}**الآية: يريد عز وجل أن الشهداء يستبشرون ويسترون بأولياء الله الذين تركوهم وراءهم في الدنيا لم يموتوا بعد ولم يلحقوا بهم، فلما عاينوا السرور فرحوا لإخوانهم الذين لم يموتوا بعد بأنهم إذا ماتوا في الجهاد، وجَدُوا من السرور مثل ما وجدوا، وعاينوا منه برحمة الله كالذي عاينوا، مما هو أكثر مما ظنوا وتوهموا، فنسأل الله أن يبلغنا ما نأمل من الجهاد، وقتل من أفسد وأوعث في البلاد.

ومعنى قوله عز وجل: **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ}** إلى قوله **{ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}**:

روي أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه صلوات رب العالمين، وذلك أن أبا سفيان فيما قيل نادى وهو منهزم في يوم بدر إلى رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله أن ميعادك إلى هذا الموضع للقتال في وقت كذا وكذا، فلما كان ذلك الوقت سار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لميعاده، وجعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات

الله في مقدمة العسكر، فجعل المنافقون يقولون للناس: إن قريشاً قد جمعوا لكم فاحذروهم، ولا تأمنوا شرهم، فلا يزيده كلامهم إلا إيماناً بالله وبصيرة وعزيمة، وهو يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، فلما وصلوا إلى بدر لم يجدوا أحداً من المشركين، فأقاموا بها وقتاً، ثم انقلبوا راجعين إلى المدينة، فمدح الله أمير المؤمنين بهذا الكلام كرامة له من الله ذي الجلال والإكرام.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا}**: أي لا يحسبن تركنا لهم من المعاجلة لكرامتهم، ولا يظنوا ذلك، فلم نتركهم من المعاجلة لكرامتهم، ولا لخير نريده لهم، وإنما أنظرناهم وأملينا لهم، ليكون ذلك حجة عليهم، ولئلا يزدادوا إثماً، ويتوبوا إلى الله ربهم فقامت اللام مقام لئلا.

ومعنى قوله: **{سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}**: أي سيطوقون في رقابهم المآثم ويتقلدونها يوم القيامة، وهو مثل مضروب بالطوق الذي يلزم الرقبة والحلق لزوماً وثيقاً.

ويمكن: أن يطوقهم الذهب والفضة التي كانوا يتحلون بها عن الإنفاق في سبيل الله، فتكون في رقابهم يعذبون بها في ذلك اليوم.

وروي أن من غل الزكاة وبخل بها صورها سبحانه شجاعاً أقرع من هذه الحيات -التي يسميها أهل اليمن الحنشان- فروي أن ذلك الحنش يكون في رقبة من غل الزكاة، وهو يصيح أنا الزكاة.

فإن يكن أراد المآثم فكفى به عذاباً.

وإن يكن أراد تطويقهم في رقابهم الذهب والفضة ويعذبهم في النار بها، فذلك البلاء الجسيم.

وإن يصح ما روي في هذا الحنش الذي يصيح أنا الزكاة، فهو الهول العظيم، فنعوذ بالله من البخل وأهله، فما أحقهم من الله بعذابه ونكاله.

ومعنى قوله: **{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ}** الآية: هؤلاء قوم أطغاهم حطام الدنيا وأسكرهم، حتى شتموا الله وقتلوا أنبياءه عبثاً وتلعباً وأشراً وبطراً وكفراً، فوعدهم الله بالخزي واللعنة والعذاب، بما قدمت أيديهم من قبائح الأسباب.

ومعنى قوله: **{فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ}**: أي من أزيح عن النار وأبعد منها.

ومعنى قوله: **{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**: معنى يفرحون بما أتوا: أي بما أتوا من الذنوب وفعلوا، ويحبون أن يمدحوا بالكذب، ويرضون بذلك، فذمهم الله على ذلك، وأخبر أنهم ليسوا بمفازة من العذاب، أي ليسوا ببعيد منه، **والمفازة**: هي التنوفة، **والمفازة**: البعد، كل ذلك بمعنى واحد.

ومعنى قوله عز وجل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}**: أي احبسوا أنفسكم على المكروه، وحاسوا أعداء الله في الجهاد، ولا زموهم ولا تتركوهم، وكذلك **المرابطة** فهي الملازمة التي لا رخاوة فيها ولا ركاكة ولا جبن ولا هلع، ولا خيفة ولا جزع، فنسأل الله أن يرزقنا الملازمة لأعدائه، وأن يجمع كلمة من يصطفي من أوليائه، إنه قريب مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً.

تفسير غريب سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تأويل قول سيدنا عز وجل: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ}**: أي لا شك فيه عند العلماء الطاهرين، ولكنه اختصر، يدل على ذلك قوله عز وجل: **{هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}** فدل بذلك على أنه لا يهدي إلا الذين لا يشكون فيه ولا يمترون.

ومعنى قوله: **{يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}** أي يصدقون بما غاب عن أبصارهم من الوعد والوعيد.

ومعنى قوله عز وجل في أعدائه الكافرين: **{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}**، فهذا وما كان مثله من الطبع والران إنما هو ترك الله لهم على عماهم فلما تركهم على ذلك وخلاهم، جاز أن يقول ختم على قلوبهم وأعماهم ولو كان هو الله الذي جبرهم لما دعاهم ولما وعظهم في الكفر وما نهاهم، لأن من ربط عبده وأذهب قواه، ثم أمره بعد ذلك ونهاه، فقد ظلمه عند كل عاقل، وجار عليه، وعبث وتلعب فيما دعى إليه، ومن وصف باللعب والخساسة فليس بحكيم تعالى عن ذلك ربنا الواحد الكريم.

ومعنى قوله: **{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا}** أي يتأولون في كفرهم من العذر ما لا يقبل، وما لا حجة فيه لهم عند كل من يعقل، فصارت تأويلهم في معاصي الله كالمخادعة لبعض الآدميين، مثل مخادعة أهل السبت لله في صيدهم، وذلك أن الله حرم عليهم الصيد في يوم السبت، فضربوا الشباك يوم الجمعة، وأخرجوا الحيتان يوم الأحد، وإنما وقعت في يوم السبت، فهذا ومثله لا يجوز على رب العالمين، بل ذلك لا يجوز على جهلة الآدميين، فكيف بالله أحكم الحاكمين.

قال الله عز وجل: **{وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}**: أي أنهم لا يخدعون بذلك إلا أنفسهم ويلعبون بها بجهلهم، فأما ذلك فلا ينفعهم من عذاب ربهم.

ومعنى قوله: **{وَمَا يَشْعُرُونَ}**: أي وما يعلمون بما لهم في ذلك من العذاب، والنكال والنصب والعقاب، وكذلك قوله: **{أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ}** المعنى واحد لا فرق بينه.

ومعنى قوله عزوجل: {وإذا خلوا إلى شياطينهم}: يعني شياطين الإنس من كبرائهم.

ومعنى قوله عزوجل: **{اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}**: أي يمكر بهم، **ومكره**: هو أخذه لهم من حيث لا يشعرون، حتى يدهاهم بالنقم وهم آمنون.

ومعنى قوله: **{وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}**: أي يملي لهم في ضلالهم ويطيل لهم الأمل.

ومعنى **{يَعْمَهُونَ}** أي يخبطون في الجهل والعمى، قال الشاعر:

ومهمهٍ أطرافه في مهمَهِ أعمى الهدى بالجاهلين العُمَّهِ

ومعنى قوله عز وجل: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى}** أي تبدلوا الضلالة بالهدى، قال الشاعر:

عجبت لمن يشري الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

وهو مثل مضروب بالبيع والشراء.

ومعنى قوله عز وجل: **{أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ}**: يعني بالصيب: المطر الغزير، قال الشاعر:

وصيب هاطلة سماؤه يبرق حيناً ويثج ماؤه

وراعد تمده ظلماؤه

ومعنى قوله: **{بُكْمٌ}** أي خرس لا ينطقون بخير، والأبكم: هو الأخرس الذي لا ينطق ولا يتكلم، قال الشاعر:

أصبح صوت عامر خفيا أبكم لا يكلم المطيا

وكان حداءً قراقريًّا

ومعنى قوله عز وجل قبل هذه الآية: **{فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}** أي فهم عن جهلهم لا يرجعون، ولا يستفيقون من ضلالهم ولا يهتدون.

ومعنى قوله عز وجل في ما ضرب من المثل: **{وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا}**: أي وقفوا قياماً ولم يسيروا.

ومعنى قوله: **{وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}** قيل: حجارة من الكبريت [يجعلها الله وقوداً للنار لأن حجارة الأرض تبدل وتغير.

ويمكن: أن يخترع الله حجارة وتكون وقوداً للنار من الكبريت] [1]، أو من الحديد، أو من غير ذلك.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا}** أي متشابهاً في الفضل، أو في بعض الأحوال.

ومعنى قوله عز وجل: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}**: أي لا يستحي من ذكر الحق، وضرب الأمثال في الصدق، فنفى عن نفسه الحياء والخجل الذي يفعله من لا خير فيه، يخاف أحدهم من تعنيف الناس إن تكلم بحق، فيمسكه خوفاً لهم ويصير عند ذلك إلى إرادتهم، ويكون من حيث لا يشعر متصرفاً تحت مشيئتهم فنفى عز وجل عن نفسه ذلك، وأخبر أنه لا يستثقل من الحكمة ذكر البعوضة التي هي عندهم لا تذكر، ولا يلتفت إليها الطغام ولا تنظر، بل يستخف بها عندهم وتهان وتحقر.

ومعنى قوله: **{فَمَا فَوْقَهَا}**: أي فما دونها فيما روي، **وقيل**: إن فوق كلمة تقوم مقام دون، لأنهما من حروف الصفات.

ومعنى قوله عز وجل: **{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا}** يريد عز وجل:

فأما أولياء الله فيعلمون أنه حكيم لا يحقر من الحكمة حقيراً، ولا يترك من الصواب شيئاً كثيراً ولا يسيراً، وأما الذين كفروا بآيات الله وجهلوا حكمته، فيقولون ماذا أراد الله بهذه الأسباب الحقيرة وذكرها، وما له لم يتكبر وينزه نفسه عن ضرب الأمثال بها، ما هذا من الله، ولا هذا إلا قول محمد وتوهمه، وكَذَبَ أعداءُ الله في قولهم، وأعظموا الفرية على دين الله بكفرهم، فرد الله عليهم سبحانه في قولهم فقال عز وجل: **{يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}**: أي يبين ضلال كثير من أعدائه، بذلك الكلام الذي أنكروا، ويسميهم بالضلالة لما ضلوا وكفروا، ويهدي به كثيراً من الناس إذا فكروا واعتبروا بما فيه من الحكمة وتدبروا.

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

ومعنى قوله عز وجل: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ}**: اي استوى تدبيره إلى الهوى فسوى، وخلق سبع سماوات وهو بكل شيء عليم.

ومعنى قوله: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}**: أي خلفاً بعد آدم عليه السلام، وليس يعني بالخليفة آدم، **لأن الخليفة**: هو الذي يخلف من سلف قبله، ويقوم بعد ذلك مقامه، وليس آدم كذلك بل الخلفاء هم الذين يخلفونه، ويقومون مقامه ويتولونه.

فقالت الملائكة عليهم السلام مسترشدين: **{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}** ولم يقولوا ذلك منكرين، ولا مشيرين على الله ولا كافرين، بل سائلين لسيدهم ومتفهمين، فقال عز وجل: **{إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}**، يريد إني أعلم أن فعلي وخلقي لم يسفك دماء المؤمنين، حكمة جليلة فيها من العجائب ما لا تعلمون.

ومعنى قوله: **{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ}**: أي أسماء ما بين السماء والأرض مثل النجوم والشمس والقمر.

ومعنى قوله عز وجل للملائكة: **{ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}**، أي عرض عليهم وأراهم حكمته في جميع ما خلق بين السماء والأرض، ثم سألهم عن أسماء تلك الأسباب، ليبين لهم أنهم لا تنال عقولهم الأسماء وهي أسهل الأشياء، فكيف بغير ذلك مما لا يعلمون.

ومعنى قوله: **{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}**: فهو إذا أنتم صادقون، ولكن إن قامت مقام إذ، وقام كنتم مقام أنتم، يريد: أنتم صادقون لا تكلمون بما تجهلون، توقيفاً لهم على جهلهم بما لا يعلمون.

ومعنى قوله: **{فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ (٣٧)}**: أي قبل من ربه ما علمه، فتاب عليه لما قبل ذلك وفهمه، وعمل بما فيه مما آتاه الله وألهمه.

ومعنى قوله: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي (٤٠)}: أي أوفوا بما وعدتم الله من الطاعة يوف بما وعدكم من الثواب في الدنيا والآخرة.

ومعنى قوله: {وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ (٤٨)} أي ولا يؤخذ في ذلك اليوم قيمة عادلة، كما تؤخذ القيمة في هذه الدنيا.

ومعنى: {فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ (٥٤)}: أي اقتلوا بعضكم في الله عز وجل مثل قوله: {رَسُوْلٌ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}، أي من بعضكم.

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦)}: أي فجعلنا القرية تحذيراً وتنكيلاً لمن حولهم وغيرهم من الناس العاصين، ليتنكلوا إذا علموا بما نزل بهم، ويكونون أيضاً تحذيراً ونكالاً لمن بعدهم وخلفهم من أشكالهم وأمثالهم.

ومعنى قوله: {إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ (٦٨)} أي لا كبيرة السن هرمة ولا بكر صغيرة، ولكنها وسط عوان.

والفارض: هو الهرم من الدواب، قال الشاعر:

لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضاً تساق إليه ما تقوم على رجل

ومعنى قوله: {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا)٦٩(}: أي صفراء شديدة الصفرة، قال الشاعر:

ما بين أصفر فاقع ودقان

ومعنى قوله: {لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ (٧١)}: يريد أنها صفة لم تذلل ولم يحرث بها بعد، ولم يسنَ بها الماء للحرث من البئآر، ولكنها مسلمة من التعب والعمل.

ومعنى قوله: {لَا شِيَةَ فِيهَا (٧١)} أي ولا شيء فيها من البياض ولا غرة ولا تحجيل، ولكنها مبهمة بلون واحد غير موشى ولا مختلف.

{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا (٧٢)}: أي فتدافعتم في أمرها، ولم يقر أحد منكم بقتلها، فأراد الله عز وجل أن يحيي هذا القتيل حتى يخبر بمن قتله، ويفصح من تعدى عليه وظلمه،

فلما ضرب القتيل ببعض لحمها حي فسأله موسى عليه السلام: من قتلك يا هذا؟ فقال: فلان، فأمر به موسى، فضربت عنقه.

ومعنى قوله في ذكره للحجارة: **{وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (٧٤)}** أي لو ركب فيها ما ركب فيكم من العقول لهبطت من خشية الله، وليس يريد أنها اليوم تخشى الله في هذه الدنيا، لأنه لا يخاف إلا مَن غَيّر وتحرك وتألم، والحجارة موات لا تنعم ولا تألم، قال الشاعر:

قد امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

يريد أن الحوض قد امتلأ من الماء، حتى لو كان يتكلم أو يعقل إذن قال: بطني وحسبي، فعبر عن حوض الماء بما لا يقوله إلا عاقل شاعر.

ومعنى قوله عز وجل: **{قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ (٧٦)}**: هذا خبر من الله عز وجل عن نفاق اليهود في ظاهر قولهم، وحسدهم للمسلمين في باطن أمرهم، وقول بعضهم لبعض لا تحدثوا المسلمين بما فتح الله عليكم من العلم في صفة محمد، فتحتجوا بذلك عليه عند ربكم.

ويحتمل: أن يكون حسدوهم على المعرفة خوفاً من أن يحتجوا عليهم في ربهم، فقامت عند مقام في.

ومعنى قوله: **{وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ}**، أي من اليهود **{لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ (٧٨)}**، أي إلا ما سمعوا من الأماني: وهي التلاوة التي يأخذونها تقليداً لرؤسائهم وشياطينهم، الذين يظنون أنهم على الصواب، ويتلون منهم ما تمنوا وقرؤوا عليهم من الكتاب، تفريطاً منهم وقلة خوف من العذاب، ولو خافوا الله لاجتهدوا، ولما رضوا بقول أحد ولا قلدوا.

وأنا أرى أن الأمي في غير رحمة الله إذا كان راضياً بأميته، مجمعا على الرضا بجهله وخبرته، وينبغي للأمي أن يتوب عن الرضى بالأمية، كما يتوب عن الكفر والخطية.

ومعنى قوله: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا (٧٩)}: يعني عز وجل أنهم يكذبون على الله بما يكتبون من المحال، ويزينون الكذب للأوباش الجهال، ويأكلون بذلك ما حرم الله من الأموال.

ومعنى قوله: {وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ (٨٥)}: أي تأخذوا منهم فدية، وهي حرام عليكم، لأن الله حرم عليكم إخراجهم وأموالهم.

ومعنى قوله: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ (٩٣)}: أي أشربهم السامري حب العجل، ولكنه اختصر.

ومعنى قوله: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ (١٠٢)}: أي اتبعوا السحر الذي ادعى الشياطين تلاوته على ملك سليمان كذباً منهم، وقالوا إنما ملك سليمان ملكه الذي نال من قبل أنا سخرنا له وملكناه، فأكذب الله قولهم في ذلك، لأنه عز وجل قد حكى عن سليمان عليه السلام أنه طلب من الله ودعى إليه أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأجاب الله دعوته، وأعطاه من ذلك مسألته وأمنيته، قال الله عز وجل: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ (١٠٢)}.

معنى {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ (١٠٢)} أي وما أنزل السحر عليهما، وما فعل الله ذلك بهما، ولكنهما اخترعا ذلك من أنفسهما، وما في هذه الآية حرف نفي.

وروي عن العالم صلوات الله عليه: أن معنى هاروت وماروت اسمان نبطيان، معروف ذلك للنبط من اللسان، لأن ماروت البلاد هو عندهم قيم القرية وواليها، وهاروت القرية هو مستخرجها وجابيها، وهذان الملكان هم ملكان من ملوك الدنيا ساحران.

ومعنى قوله: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ} أي ضلالة {فَلَا تَكْفُرْ (١٠٢)} يتأولان في ذلك: أنهما قد أمرا بالخير ونهيا عن الشر، ويخدعان أنفسهما بالتأويل الفاحش المستنكر، ولو أنصفا عقولهما لعلما أنهما يخدعان أنفسهما، وأنهما قد نقضا ما تكلما به عند تعليمهما، وهدما أمرهما بالخير عند تعليمهما للشر.

{فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}: أي من السحر والخدع الذي يباعد بين الناس والكذب والنمائم والحيل.

{وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}: أي وما يضرون أحداً إلا بترك الله لهم، ولو شاء سبحانه لمنعهم، ولكنه تركهم وأنظرهم وأملى لهم، ليكون تركه وإنكاره وحلمه أقطع لحجتهم، وأبين لفضل الله سبحانه عليهم.

ومعنى قوله: **{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا (١٠٦)}** هو ما نبدل من آية أو نتركها على حالها، **{نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}** معنى خير منها أي أخف على العباد من الآية المنسوخة.

ومعنى قوله: **{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ (١١٥)}**: روي أن قوماً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا في سفر لهم فعميت عليهم القبلة فصلى بعضهم إلى المشرق وبعضهم إلى المغرب، فأراد الله أن يخبرهم أنه قد قبل صلاتهم واجتهادهم.

ومعنى قوله: **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ (١١٥)}** أي فأين ما تستقبلوا فثم الله عالم بإرادتكم، وليس بداخل سبحانه في الأماكن مثلكم.

ومعنى قوله: **{إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**: أي غني واسع الغنى، ليس بمعسر فقير ولا محتاج إلى تعبكم، ولكنه واسع الغنى واسع الرحمة لكم، عليم سبحانه بضعفكم، لا يكلفكم إلا دون طاقتكم.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)}**: أي لا تُسأل عن ذنوبهم، ولا تُحاسب على شيء من أعمالهم، وإنما عليك الإنذار لهم والإعذار إليهم.

وإن كانت القراءة {وَلَا تَسْأَلْ} بنصب التاء وتسكين اللام، فالمعنى في ذلك: لا تسأل عن قبائحهم، ولا تبحث عما استتر من فضائحهم، وعاقبهم على ما ظهر من ذنوبهم.

ويحتمل وجهاً آخر: وهو على التكثير لا على وجه النهي، والعرب إذا استكثروا شيئاً قالوا: لا تسأل، فالشيء كثير، فكذلك ما أكثر عذاب أهل الجحيم، لا تسأل عن كثرة ما مر بهم من الشقاء، وهذه لغة أهل الحجاز إذا أخبر أحدهم بخبر خرج لفظه لفظ النهي ومعناه معنى الخبر، فيقول أحدهم: لا تسأل ما مر بنا من الخير، ولا تسأل ما مرّ بنا من التعب، قال الشاعر:

وصاحب الصيد كصاحب العسل يوماً على شيء ويوماً لا تَسَلْ

ومعنى قوله عز وجل: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (١٢٤)}: أي وإذا أنعم على إبراهيم ربه بكلمات ووعده بهن فأتمهن له، {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} قال إبراهيم: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِي}، يا رب فاجعل أئمة، فقال عز وجل: {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} أي لا ينال وعدي بالإمامة من كان ظالماً غاشماً من ذريتك، ولكن الأئمة منهم من سار بسيرتك، واحتذى بحذيك ودينك وملتك.

{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا (١٢٥)}، أي مصيراً لهم وأماناً، قال الشاعر:

إذا حل لم يُقْصِ المحلةَ بينه ولكنه الأدنى بحيث يثوب

أي بحيث يصير.

وقد تكون المثابة هي الكعبة التي جعلت لثوابهم، ولصرف نقمتهم وعذابهم.

ومعنى قوله: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ (١٢٧)}: هي الأساس من البناء، وهو الموثر بلغة اليمن، ورفعهما لذلك يحتمل وجهين:

إما أن يكون رفعاها: أي نزهاها وطهراها، وعظما قدرها.

وإما أن يكونا رفعا بناها بعد ما انهدم، لأن البيت الحرام الذي هو الكعبة أول بيت من بيوت الله وضع للناس، فحج إليه آدم صلى الله عليه، ثم لا يؤمن أن يكون تهدم لطول الزمان والحوادث، والله أعلم وأحكم.

ومعنى قولهما: {وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا (١٢٨)}: أي علمنا يا رب معالم ديننا، وأصل النسك فيما قيل: هو الغسل والطهارة، ثم استعمل بعد ذلك فيما اشتهر من التطهر والتنزه والتقرب إلى الله عز وجل، قال الشاعر:

ولا تنبت المرعى سباخ عراعر ولو نسكت بالماء ستة أشهر

أي ولو طهرت وغسلت بالماء.

ومعنى قوله: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ (١٣٠)} أي ليس يرغب عن دين إبراهيم إلا من يستخف بنفسه ويلعب بها، لسوء أدبه وضعف تمييزه وعقله.

ومعنى قوله: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً (١٣٨)} أي دين الله، ومن أحسن من الله ديناً وتعليماً.

ومعنى قوله: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا (١٤٢)} أي ما الذي صرفهم عن بيت المقدس وردهم إلى الكعبة، وذلك أن الله سبحانه نسخ الصلاة إلى بيت المقدس بالصلاة إلى الكعبة.

ومعنى قوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا (١٤٣)} أي خياراً، وقد مضى تفسير هذا في غير هذه السورة فيما تقدم.

ومعنى قوله: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ (١٤٤)}: روي في تفسير هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه تحدث مع جبريل فقال: وددت أن الله يختار لنا قبلة، فقال جبريل عليه السلام: فادع إلى الله فأنت كريم عنده، فدعى، وكان يقلب وجهه في السماء ينتظر هبوط جبريل عليه السلام متى ينزل عليه بالوحي، فنزل عليه بهذه الآية.

ومعنى قوله: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}: أي أقبل وجهك نحو المسجد الحرام، ونحو الشيء هو نحو شطره عند العرب، قال الشاعر:

ألا مـن بلـغ عمـراً رسـولاً ... ومـا تغنـي الرسـالة شـطر عمـرو

ومعنى قوله: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا (١٤٨)}: أي لكل ملة هو مستقبلها، **والوجه**: هو الملة، قال الشاعر:

أضحت وجوههم شتى فكلهم ... يـرى لوِجهَتِـه فضـلاً عـن الملـل

ومعنى قوله: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ (١٤٨)}: أي استبقوا وبادروا واشرعوا وعجلوا إلى الخيرات.

ومعنى قوله: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ (١٥٨)}: أي من معالم دين الله.

ومعنى قوله: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا (١٦٥)}** أي أرباباً يجعلهم لله في العبادة أمثالاً وأشباهاً، يحبونهم كحب الله: أي يعبدونهم كعبادة الله، ويدعون إليها كدعائهم إلى الله، ويرغبون إليها كما يرغب إلى الله.

وحبهم لله: هو من رغبتهم إليه في الدعاء عند الاضطرار فقط.

ويمكن أن يكون أراد كحب المؤمنين لله، ثم اختصر فقال عز وجل: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ (١٦٥)}** يريد أنهم أشد رغبة إلى الله من هؤلاء الكافرين، لأن رغبة الكافرين في أصنامهم، إنما هو تقليد وشك، ورغبة المؤمنين يقين وخوف.

{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً (١٧١)}: هذه الآية من الاختصار، والمعنى في ذلك: ومثلك ومثل الذين كفروا إذا دعوتهم إلى الحق كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، أي كمثل الراعي إذا نعق بالغنم ودعى إليها لم تميز من كلامه شيئاً إلا دعاه ونداه وصوته، وهي لا تميز ألفاظه وقوله، فإن أجابوك فإنما ذلك مثل إجابة الغنم التي تتبع كل من نعق بها، ولا تتكل عليهم، ولا تثق بقولهم، فإنهم كالأنعام التي تجيب كل من نعق بها، ولا تعقل ولا تفرق بين من يريد نجاتها أو يريد هلاكها، بل هما عندهم سواء، لا يكادون يفرقون بينهما إلا باليسير، فلا تقبل مواعيدهم، ولا تثق أبداً بشيء من ترهاتهم.

والناعق: هو الذي ينادي بالغنم، قال: الهادي إلى الحق صلوات الله عليه يذم قوماً من الفساق:

همج نوك رعاع كلهم وهم أتباع أيضاً من نَعَقْ

الهمج: هم الأوباش الذين هم بمنزلة الذباب، **والنوك**: هم الجهال [والحمقاء]، الذين أذهلوا عقولهم في اللعب حتى صاروا نوكاً لا يعقلون.

ومعنى قوله عز وجل: **{فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)}** هذا تعجيب من سيدنا لذوي الألباب، على صبر هؤلاء على العمل الذي يقرب إلى النار، وإني لأعجب منهم كيف صبروا وأقاموا على معاصي الله؟! وكيف لم يرهبوا نقمة الله؟! وربما أطلتُ الفكر في ذلك ثم أعلم أن الله مع ما هو عليه من الكرم والرحمة والعطف ما كان ليعذب إلا من يستحق العذاب، بما هم عليه -لعنهم الله - من المباينة لرب الأرباب، والتهجم على كل قبيح من الأسباب.

ومعنى قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ (١٧٨)}: يريد عز وجل أن من عفي له من القتل وجبت عليه الدية، إلا أن يوهب له الجميع من ذلك فيجوز، ويكون تفضلاً من الواهب.

ومعنى قوله عز وجل: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)}: أي لكم في قتل القاتل، وسفك دم الجراح سلامة من شر الفاسقين إذا خافوا على أنفسهم، قال الشاعر:

أبلغ أبا خالد عني مغلغلة وفي القصاص حياة تورث النعماء

يريد أن في القصاص نكالاً.

ومعنى قوله: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨٢)}: هذا من المنسوخ نسخه الله بفرائض المواريث.

ومعنى قوله: {جَنَفًا (١٨٢)} أي ميلاً عن الحق وظلماً.

ومعنى قوله: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ (١٨٤)} أي وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مساكين، ولكنه حذف لا وهو يريدها، فمن كان من البرية ذا ضعف وهلاك، وجب عليه أن يطعم ثلاثين مسكيناً.

ومعنى قوله عز وجل: {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ (١٨٧)} الآية: أي علم الله أنكم كنتم خائنين لأنفسكم، غير ناصحين لها من عذاب ربكم، وإنما كانت خيانتهم لأنفسهم عند ما حرم الله وطء النساء في شهر رمضان، ولم يطلقه في ليل ولا نهار، فعصوا الله ثم تابوا، فنسخ الله ذلك وأحلهن في وقت الإفطار.

{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ (١٨٧)} الخيط الأبيض هو الفجر والخيط الأسود هو الليل، قال الشاعر:

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق

ومعنى قوله: **{وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ (١٨٨)}** أي ولا تدلوا بها عند الحكام وتلقوا بها عندهم، ولا تجادلوا عندهم بالظلم، **{لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**.

ومعنى قوله: **{وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (١٨٩)}**: لما حرم الله تغطية الرأس في الإحرام كانوا لا يدخلون البيوت ولا يتسوره أحدهم، فأمرهم الله أن يأتوا البيوت من أبوابها.

وروي عن العالم في تفسير هذا الآية: أنهم إنما فعلوا ذلك عندما أمر الله بالأذن فكانوا يدعون [بالأذن] من ظهور البيوت.

ومعنى قوله: **{وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ (١٩١)}** أي الضلال والشرك أشد عند الله من قتلهم وهلاكهم.

ومعنى قوله: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ (١٩٣)}**: أي قاتلوهم حتى لا تكون بدعة ولا ضلالة ولا شرك ويكون الدين خالصاً.

ومعنى قوله: **{الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ (١٩٤)}**: أي الشهر الحرام يجوز فيه القصاص فمن ظلم في الشهر الحرام، وكذلك جميع الحرمات يحل الاقتصاص فيها ممن ظلم واعتدى.

ومعنى قوله: **{فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ (١٩٦)}**: أي إن حبستم عن الحج بعد ما أحرمتم، فوجهوا بما استيسر من الهدي، فإذا أحصر المحرم وجب عليه أن يرسل بما أمكنه من الذبائح، ويواعد رسوله أن ينحر ذلك الهدي أو يذبحه في وقت من أيام النحر ثم يحلق بعد ذلك الوقت.

ومعنى قوله: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ (١٩٦)}: أي من كان مريضاً يحتاج إلى لبس ثوب من الثياب التي لا يجوز للمحرم لبسها، أو به علة من رأسه من برد أو غيره، وجب عليه إذا لبس ذلك الفدية، وهي الكفارة من الصيام أو الصدقة أو النسك، وذلك صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، والنسك: فأقله شاة، حتى يأمن على نفسه من علته، فإذا أمن ذلك، فسخ ذلك وفدى.

وأما المتمتع بالعمرة إلى الحج فهو الذي يعتمر في أيام الحج ثم يحج في تلك السنة فيجب عليه الكفارة.

ومعنى قوله: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ إلى قوله: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ (١٩٨)} قيل: معناه ليس عليكم جناح في طلب الرزق في أيام الحج، فإذا أفضتم من عرفات أي سرتم منها إلى مزدلفة.

ومعنى {أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ (١٩٩)}: أي سيروا من حيث سار من كان قبلكم من الناس.

وقيل: يعني بالناس أهل اليمن.

ومعنى قوله: {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا (٢٠٠)}: يريد وأشد ذكراً، ولكن أو تقوم مقام الواو، فأراد عز وجل أن يُمدح ويُشكر بأكثر من شكر الآباء، لأنه أحق بالشكر منهم، ولولا رحمته لعدمت رحمتهم.

ومعنى قوله: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ (٢٠٣)}: أي من نفر في النفر الأول بعد يومين من النحر فلا أثم عليه في ذلك، ومن تأخر إلى النفر الثاني وهو يوم الرابع من يوم النحر فذلك له.

ومعنى قوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ (١٠٧)}: أي ومن الناس من يبيع نفسه من الله، وقد مضى ما هو شبيه بهذا فيما تقدم من تفسيرنا.

ومعنى قوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)}: أي هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام، ولكن في تقوم مقام الباء الزائدة، والغمام - والله أعلم - غمام الدخان عند نقض السماء.

ومعنى قوله عز وجل: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ (٢١٣)}: أي كانوا أمة واحدة في الجهل والعمى، فبعث الله أنبياءه إليهم ليستنقذوهم من جهلهم، ويعلموهم ما ينجون به من عذاب ربهم.

ومعنى قوله: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)}: يريد عز وجل أنهم لا يدخلون الجنة حتى يأتيهم مثل ما أتى الأولين، ويمسهم وينالهم ما نال أولياءه الماضين، من الباساء والضراء، والفقر والبلاء، والخوف الذي يزلزلهم، ويحرك جوارحهم، حتى يدعوا إلى الله بالنصر قال الله عز وجل: {أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}.

ومعنى قوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (٢١٧)} الآية: أي القتال في الشهر الحرام عظيم عند الله، والصدُّ عن سبيل الله والكفرُ منهم به وإخراجُهم لأهل المسجد المؤمنين أعظمُ عند الله من قتالهم في الشهر الحرام.

ومعنى قوله عز وجل: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا (٢١٩)}: أما الميسر: فهو القمار، وفيه وفي الخمر منافع للناس من حطام الدنيا وزينتها وربحها، وأثمهما أكبر عند الله من نفعهما.

ومعنى قوله: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ (٢١٩)}: أي قل أنفقوا العفو، وهو ما فضل عن كفايتكم.

ومعنى قوله: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ (٢٢٢)} أي عن الحيض، وهو الدم الخالص، وإنما سمي حيضاً ومحيضاً لخلوصه.

ومعنى قوله: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ (٢٢٢)}: يريد فإذا اغتسلن بالماء فأتوهن في أقبالهن ومواضع حرثهن، دل بقوله من حيث أمركم الله على أن فيهن مواضع لم يأمر بها ولم يحلها، وهي أعجازهن التي حرمها على أزواجهن.

ومعنى قوله: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ (٢٢٣)} أي حرث جعلهن الله للأولاد، ولا يكون الحرث ولا ينبت الزرع إلا في موضعه المعروف وهو القبل.

ومعنى قوله: {فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ}: أي كيف شئتم؟ ومتى أردتم؟ ولا تقربوا غير موضع الحرث مما حرم الله عليكم.

ومعنى قوله: {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ (٢٢٤)} أي لا تحلفوا إذا عصيتم، ولا تجعلوا اليمين عرضة تعرض بينكم وبين طاعة ربكم، فتحلفوا ألا تبروا وألا تصلحوا بين الناس، بل كَفِّرُوا عن أيمانكم، وبروا واتقوا وأصلحوا.

ومعنى قوله: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ (٢٢٥)}: أي لا يؤاخذكم باليمين على الظن خطأ غير متعمدين، وهو أن يحلف الحالف على شيء لم يتعمد فيه الكذب، ثم يتبين له أنه لم يكن على ما ذكر، ولكن يؤاخذ بالكذب، وهو كسب القلب، ويعذب مَن فَعله.

ومعنى قوله: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ (٢٢٦)} الآية: **فالمؤلون من نسائهم**: هم الحالفون ألا يقربوهن، فإذا هجروهن أربعة أشهر وجب على الإمام أن يحبس من فعل ذلك، [ويأمره بأن يفي إليها ويصالحها، فإن فعل ذلك][1]، وإلا فيطلقها، فإن لج ولم يفعل جبره على طلاقها، وحمله صاغراً على فراقها.

ومعنى قوله عز وجل: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (٢٢٨)}أي لهن من العدل في حكم الله عز وجل مثل الذي أوجب عليهن، وللرجال عليهن درجة وفضيلة، يجب عليهن معرفتها والقيام بحقها.

---

[1] ما بين القوسين سقط من (أ).

ومعنى قوله: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا (٢٣١)}: أي إذا بلغن المدة التي جعل الله لهن فأمسكوهن بمعروف إن رغبتم فيهن، وإلا فاتركوهن، ولا تراجعوهن ضراراً ليطول حبسهن وتعبهن.

ومعنى قوله عز وجل: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا(٢٣٤)}: فهذه الآية ناسخة لقوله: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ}، فنسخ الله ذلك بما ذكر من الأربعة الأشهر والعشر التي ذكر سبحانه.

ومعنى قوله: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ (٢٣٦)} الآية: هو أن الرجل إذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهراً بعينه ثم طلقها قبل أن يدخل بها، وفارقها قبل أن يمسها، فيجب عليه المتعة لها على قدر ما يطيق.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله متع ابنة أبي أسيد بثوبي كتان.

ومعنى قوله عز وجل: {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ (٢٣٧)}: يريد إلا أن يعفون عن أزواجهن المطلقين لهن ويهبن لهم ما يجب من نصف الصداق لهن، **أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح**: يعني الرجل إذا أراد العفو عن أخذ بعض المهر وأوفاها جميعه، والزوج هو الذي بيده عقدة النكاح، ثم ندب الرجال إلى العفو فقال: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}: أي أقرب إلى التقوى ثم قال: {وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}: يعني المروءة.

ومعنى قوله عز وجل: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى (٢٣٨)}: أي حافظوا على الصلوات ولا توانوا ولا تفرطوا، ثم وَكَّدَ في صلاة الجمعة وهي الصلاة الوسطى.

ومعنى قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٢٤٣)} الآية: روي أن هؤلاء قوم من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم هاربين من الطاعون، لما أتلف الله به جزؤاً منهم، فلما امعنوا في الهرب وانقطعوا من البلد أماتهم الله عز وجل ثم أحياهم، ليعلموا أنه لا مهرب من أمره، والله عز وجل غالب قاهر لمراده.

ومعنى قوله: {وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)} أي يقبض العطاء مرّة ويبسطه أخرى، لما أراد من المحنة والخيرة لمن اتقى، فإن رزق فلحكمته، وإن منع فلرحمته.

ومعنى ما حكاه عز وجل من قول بني إسرائيل: {هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا (٢٤٦)}: يريد التوقيف لهم: هل عساكم أن لا تقاتلوا إن كتب عليكم القتال، ولعلكم تضنون بأنفسكم ذلك الوقت فأخبروني الآن ما الذي تقولون: {فقَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ (٢٤٦)}.

{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ (٢٤٧)} كان القوم يريدون ملكاً كثير المال، يستعينون بماله على أمورهم، وكانوا زاهدين في ولي الله لغفلتهم وجهلهم، فرد عليهم نبيهم {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ (٢٤٧)} أي اختاره وعلم أنه خير منكم، فملكه البلاد وجعله حجة عليكم.

{وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} **والبسطة**: هي السعة في العلم، وهو مأخوذ من بسط الشيء وسعته، ونشره من بعد انقباضه، ومن ذلك البساط سمي بساطاً لتبسطه وسعته، وأما الجسم فقيل في ذلك بقولين:

أحدهما: أنه كان جسماً طويلاً مضطلعاً بحمل السلاح، قوياً على القتال، وقتل مَن عصى الله من شبه الرجال، الخونة الكفرة الظلمة الأنذال.

وقيل في ذلك: أنه لم يعنِ ولم يرد الجسم في نفسه، وإنما عنى الشجاعة التي هي مركبة في جسمه وقلبه، والعزيمة التي هي في حزمه، فكلا القولين حسن لا بأس به.

{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ}: أي علامة نبوته، {أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ (٢٤٧)} إلى آخر الآية:

روي أن هذا التابوت هو تابوت موسى عليه السلام فيه بقية بقيت وثبتت مما ترك آل موسى وآل هارون، مما تركوه وخلفوه بعد موتهم من الكتب والدلائل التي كانت مع موسى وهارون، فجعل الله تعالى من ذلك التابوت وما فيه دليلاً على نبوة من قام من أولي العزم،

فكانت الملائكة تحمله بين يديه، فإذا رآه الناس علموا أن ذلك نبي من أولي العزم والجهاد، وأن الله قد اصطفاه على جميع العباد.

ومعنى قوله: **{إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ (٢٤٩)}** قيل: معناه ولا من اغترف غرفة بيده، فقامت الألف مقام الواو، ولأن الله حرم طعمه فكيف بشرب غرفة باليد.

قال عز وجل: **{فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ}** وإنما أراد الله أن يبين لنبيه أنه لا ينصح ولا يؤمن بالله إلا القليل، **{فَلَمَّا جَاوَزَهُ}**: أي قطعه، **{هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ (٢٤٩)}**: هذا قول الأوباش من قوم طالوت عليه السلام حكى الله جبنهم وكفرهم ومعصيتهم وكذبهم من أول دهرهم إلى آخره، ليحذر أولياءه بعده أن يغتروا أو يقبلوا نفاق أعدائه إذا تشبهوا - في حسن القول والتمني- بأوليائه، كما تسمعون اليوم في عصرنا هذا من حسن كلام هؤلاء الأوباش، وتمنيهم للجهاد، وهم غير مفلحين ولا وامقين للرشاد، بل هم معرضون عن ذي العزة والأياد، ومقبلون على اللعب والمجون والفساد.

{قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)}: أي قال الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله، والظن قد يكون يقيناً في بعض القرآن، فأخبر عن صبر الموقنين في الجهاد، وعن جبن هؤلاء الرعاع الأوغاد، الجهلة الذين لا يعقلون من العباد.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)}** أي لولا دفاع الله الظالمين بأوليائه المؤمنين، وجهادهم مع الأئمة الطاهرين، لفسدت الأرض بالبدع التي تجبر بها الجبارون، والسير التي تسير بها الكفرة الجائرون، ولكن الله تفضل بذلك على العالمين، ليبين لهم دين الحق ويهلك دين المبطلين، فنسأل الله أن يبلغنا ما نأمل من نصر الدين، وإرغام هؤلاء الشياطين، ونسأله أن يستجيب دعاءنا فيما دعونا إليه، وأن يعيننا برحمته فيما عزمنا عليه، من نصر عباده المستضعفين، وذل من رام هلاك دينه من المشركين.

ومعنى قوله: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)}**: أي لو شاء لمنعهم من القتال، ولكنه يفعل ما أراد من قتال أهل الفساد، والأجر الذي أراده لمن صبر في الجهاد.

ومعنى قوله: **{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ (٢٥٤)}** أي لا بيع فيه ولا صحبة، **والخليل**: هو الصاحب، **والخلة**: هي الصحابة.

ومعنى قوله: **{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}**: فكذلك مولانا حي لا يموت، ولا يتغير سبحانه ولا يفوت.

والقيوم: هو الذي يقوّم الأمور بتدبيره، ويصلح الأسباب بحسن تقديره.

ومعنى قوله: **{لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}**: **فالسِّنَةُ**: هي قليل النوم ويسيره، والنوم الغامر هو من المنام كثيره، فنفى عن نفسه يسير النوم وقليله، كالذي نفى سبحانه من كثيره وجليله، ليعلم العباد أنه لا يشبه الأشياء في حال من الأحوال، وكذلك سيدنا ومولانا ذو العزة والجلال.

ومعنى قوله: **{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}** أي وسع علمه السموات والأرض، وأحاط بهما، ولم يضق علمه عن درك جمعها، قال الشاعر:

يحف بها بيض الوجوه وعصبة ... كراسي في الأحداث حين تنوب

أي علماء بالأحداث.

ومعنى قوله: **{وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا (٢٥٥)}** أي ولا يثقله سبحانه تدبيرهما ولزمهما، **ويؤود في لغة العرب**: هو يثقل ويتعب، فنفى عن نفسه سبحانه التعب، قال الشاعر فيما ذكرنا من ذلك:

على ابن أبي العاص دلاص ... أجاد المسدي نسجها فأزالها

يود ضعيف القوم حمل قتيرها ... ويضطلع الطرف الأشم اشتلالها

أي يثقل الضعيف حمل مساميرها.

ومعنى قول سيدنا عز وجل: **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (٢٥٦)}** أي لا يكره الله أحداً على الإيمان، ولا يجبر قلبه عليه، ولكنه يبين الرشد والهدى، ويفصله للناس من الضلال والردى، فمن تبع الحق فقد اهتدى، ومن اتبع الباطل فقد ضل واعتدى.

ومعنى قوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ}: أي فمن يتبرئ من كل من يطغى ويضل عن الحق، {وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}: أي بالدين الوثيق، **والعروة**: مثل مضروب وليس ثم عروة من حبل ولا حديد.

ومعنى {لَا انْفِصَامَ لَهَا}: أي لا انقطاع ولا انكسار لها، قال الشاعر:

إذا سورة تفصم الحديدا

ومعنى قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ (٢٥٨)}: أي ألم تعلم بخبر الذي حاج إبراهيم في ربه، يعني الملك الذي دعاه إبراهيم إلى الله عز وجل، وأخبره إبراهيم أن الله قد آتاه الملك، وأمره بالقيام ونزع الشرك، والذي آتاه الله الملك هو إبراهيم لأن الله لم يؤت عدوه ملك البلاد والعباد، ولكنه اغتصب ذلك بالحرب والفساد، وإنما حكم الله بالملك لأئمة الهدى، وأعلام البرية ومصابيح الدجى.

ومعنى قوله عز وجل: {إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} أي يحيي النطف بعد موتها، ثم يميت الحيوانات بعد حياتها، ليدله بالحياة على صانعها، ويزهده بالموت في الدنيا وحطامها، فلم يقبل عليه لعنة الله، ولم يرحم نفسه حتى قال لمكابرته: {قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} ثم أخرج رجلين من حبسه، فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال له إبراهيم خليل الله عليه السلام: {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ}، قال الله عز وجل: {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ (٢٥٨)}: أي انقطع وبُهِرَ وسكت، حتى لم يجب، **والبهت**: هو الصموت والابتهار والانقطاع، قال الشاعر:

وما هو إلا أن رآها فجآءة فأُبْهِتُ حتى ما أكاد أجيب

وروي أن عدو الله لما انقطع، قال: يا إبراهيم ليس إلى ما تطلب مني سبيل إلا بغلبة، فهل يستطيع ربك أن يقاتلني، أو هل يقدر عليّ، أو هل له جند ينتصر بهم مني، فأوحى الله إلى إبراهيم أن عِدْهُ عند طلوع الشمس غداً، فلما طلعت الشمس أحاط به الفراش وبجنوده، فجعل يدخل في آنافهم وآذانهم ويقتلهم، ثم دخلت في دماغه واحدة فقتلته.

ومعنى عز وجل: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا (٢٥٩)}: يريد عز وجل: أو هل رأيت يا محمد مثل الذي مر على قرية، يعني رسولاً من الرسل، كان نبياً من أنبياء بني

إسرائيل أخبر الله نبيه عليه السلام بعجيب خبره، ونبّأه بما لم ير قط ولم يعلم به من أمره، **{قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ** (٢٥٩)} الآية، قال: يا رب كيف تحيي هذه بعد موتها؟ أرني ذلك يا رب وأطلعني عليه، فأراه الله ما سأل في نفسه وحماره، ليكون ذلك أبين عنده في نظره واعتباره، قال الله عز وجل: **{فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ}**: أي لم يتغير، **{وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ}**: أي دلالة على الله للناس إذا رجعت إليهم بعد مائة سنة إلى ذرياتهم، **{وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا}**: روي أن الله أراه العظام وهي تجتمع وتلتئم ويلتف بعضها إلى بعض.

قال مولانا عز وجل: **{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (٢٥٩) **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** (٢٦٠)} أراد مولانا سؤال عبده أن يظهر إيمانه ليعلم الناس أنه لم يطلب ذلك لشك ولا جهل، وإنما طلبه ليطمئن قلبه من الشوق الذي كان به لرؤية الحياة بعد الموت، **{قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ}**: أي فاضممهن إليك واجمعهن واخلطهن بعد ذبحهن، **{ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** (٢٦٠)}.

ومعنى قوله: **{وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ واللُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (٢٦٥)}.

ومعنى قوله: **{وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ}**: أي وتثبيتاً لأنفسهم من الزلل، حتى يتثبتوا في مرضاة الله من الزلل إذا أنفقوا، وتقربوا إليه بالإنفاق وتصدقوا.

وأما الربوة: فهو المكان المرتفع من الأرض.

وأما الوابل: فهو الجود من المطر.

وأما الطل: فهو القطر الخفيف الذي يلين الأرض بوطله، قال الشاعر:

وليلـــةٍ ذاتِ نـــدى وطـــلٍّ فيهـا السُّـرَى مُـرٌّ كطعـم الخـلِّ

ومعنى قوله عز وجل: **{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ (٢٦٦)}**: هذا مثل ضربه الله لمن يكون في الدنيا قوياً على العمل بطاعة الله، فلا يعمل حتى يحضر أجله، فهو أحوج ما يكون إلى العمل الصالح، فلا يكتسب له أحد في ذلك الوقت عملاً صالحاً، فهو بمنزلة من كان له مال واسع وجنة من كل الثمرات، فإذا كبر وضعف أحرقت ضيعته وهو أحوج ما كان إليها، وله ذرية ضعفاء لا يقدرون على أن يكتسبوا له مثلها، **والإعصار**: هو عاصر الرياح.

ومعنى قوله عز وجل: **{وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ (٢٦٧)}** أي لا تقصدوا بالإخراج ما هو دون غيره من الطيبات، **{وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ (٢٦٧)}** أي ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا عليه، وتصبروا على أخذه، **والإغماض**: هو الصبر.

ومعنى قوله عز وجل: **{لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا (٢٧٣)}** أي لا تطلبون منهم أموالهم ملازمة وإلحاحاً وإجحافاً، قال الشاعر:

إذا لم أكن فيما سألتك ملحفاً

ومعنى قوله عز وجل: **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ (٢٧٥)}** قد كان سألني عن هذه المسالة أخي أبو محمد حيان بن محمد الخولاني رضي الله عنه رضى الأبرار، وسلم مهجته ووقاه عذاب النار، فأجبته في ذلك:

سألت عن قول مولانا الواحد الجليل وما ذكر في أهل الربا من القول: **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ (٢٧٥)}**: هذا مثل ضربه الله لمن يعمل بالربا بالمسوس وخبله، إذ لم ينتفع ويزدجر عن الحرام بما ركبه الله من عقله.

والمس: فهو الجنون، وإنما خاطبهم الله بما يعرفون، لأنهم إذا رأوا مجنوناً سموه مخبوطاً منقوصاً، وكان بذلك الاسم عندهم مخصوصاً.

ومعنى قوله: **{لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ}** فهؤلاء يقومون بأمر الربا وتدبيره، ولا يسعون ولا يجتهدون في أموره، إلا كما يقوم الخبل فيما لا يغنيه، ولا ينفعه في سبب من الأسباب ولا يعود عليه.

ومعنى قوله عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا (٢٧٥)} يريد عز وجل أنه ضرب لهم المثل بمن لا يعقل، لأنهم زعموا أن البيع الحلال مثل الحرام، ولم يفرقوا بزعمهم بين ما أحل وبين ما حرم، ولم يفصلوا بين من تحرى بالحلال وبين من ظلم، فشابهوا بذلك في الجهل من لا يعقل، ومن هو في الجنون أجهل من كل من يجهل.

ومعنى قوله عز وجل: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)} أي فقد غفر له ما سلف من ذنبه إذا تاب، وليس يريد أن له ما سلف من أموال الناس، وكيف يكون ذلك وهو يقول عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، يعني الذين امنوا باللسان، {اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا (٢٧٨)} إلى قوله: {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ}، أي فأعلموا بحرب من الله {وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ (٢٧٩)} فلم يحل لهم إلا رأس المال.

ومعنى قوله عز وجل: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ (٢٧٦)}، أي ويكثر الصدقات في الميزان، ويثيب عليها بأضعافها من الفضل والإحسان.

ومعنى قوله: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا}: فهو يدل على أنه بعد كثرته سيمتحق في الدنيا، ويوشك أن يؤخذ ممن اكتسبه حتى لا يبقى منه شيء، وقد شاهدنا صدق وعد الله في قوم تزين لهم الربا ثم امتحق، وذهب كله وبقي لهم عذابه ووزره، فنعوذ بالله من معاصي الله، ونهرب إليه، ونؤمن به ونطيعه ونتوكل عليه، ونبرأ إلى الله من كل من عصاه، ونتقرب إليه بمحبة من والاه، وبعداوة من عانده وأعرض عنه وعاداه.

ومعنى قوله عز وجل: {فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا (٢٨٢)} يعني سفه العقل، وليس يعني السفه الذي هو الكفر.

والضعف: قد يكون العي عن الكلام، وقد يكون ضعيفاً صغيراً في السن عن الإملال على الكاتب، فقال مولانا عز وجل: {فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ}.

ومعنى قوله: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ (٢٨٢)}: أي لا تضل إحداهما جعلناهما ثنتين حتى {تُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى}، إذا نسيت أو جحدت، ثم لم يرضَ بهما سبحانه مع عدالتهما، إلا أن يكون معهما رجل، وفي هذا ما يكفي أهل العقول حتى لا يركنوا إلى النساء ولا يثقوا بهن.

وروي عن النبي صلى الله عليه أنه كان يأمر بالحذر من الصالحة منهن فكيف بطالحتهن.

ومعنى قوله: {وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ (٢٨٢)} أي لا تملوا أن تكتبوه، قال الشاعر:

سَئمتُ من المطاعم كلَّ مُرٍّ ... من الباذنج والقطفِ السليقِ

ومعنى قوله: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ (٢٨٣)} الآية: فهذه الآية منسوخة نسخها أمر الله بالكتاب والشهود دلالة على ما هو أفضل منه، وليس نسخها بنسخ تحريم كغيرها.

ومعنى قوله عز وجل: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ (٢٨٥)} أي كل آمن بالله من أوليائه المؤمنين خاصة لا من غيرهم، لأنه لم يذكر في هذه الآية الرسول والمؤمنين وحدهم.

ومعنى قوله عز وجل: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا (٢٨٦)}إلى آخر السورة، مولانا عز وجل لا يؤاخذ أحداً بالنسيان، ولا يحمل أحداً ما لا يطيق، وإنما حكى تذلل أوليائه الأولين، وأخبرنا يا معاشر هؤلاء الآخرين، بما كان من تضرع سادتنا الصالحين، لنقتدي بفعلهم نحن يا معاشر الباقين، فنسأل الله أن يرحم ضعفنا، ويغفر لنا ذنوبنا، ويتجاوز عن سيئاتنا.

اللهم يا مولاي وسيدي قد علمت بمقصدي، واعتقادي وهمتي، واطلعتَ على باطني وظاهري، ورأيت سري وعلانيتي، فما كان صواباً فاكتبه، وما كان خطأً فاغفره، إنك أنت الغفور الرحيم، الواحد الأحد الحي القيوم.

اللهم إنك تعلم بكثرة خطأي وتقصيري، فإن لم ترحمني يا مولاي فمن يرحمني، وإن لم تعد بفضلك علي فمن يعود علي، وقد علمت يا مولاي أني لا أكره طاعتك، ولا أحب

معصيتك، ولا أريد مقاطعتك، وعلمت يا مولاي بنصحي لعبادك، ولطفي بهم، وتعطفي عليهم، ومودتي لهم، وعلمت بعداوة من عداني في طاعتك منهم.

اللهم فانصرنا على القوم الظالمين، واكشف أمري وأمرهم بجميع العالمين وصلى الله على محمد سيدنا خاتم النبيين، وعلى سادتنا أهل بيته الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تم الجزء الآخر من تفسير غريب الغريب من كتاب الله عز وجل.

قال الحسين بن القاسم صلوات الله عليه: بعد أن فرغت من تفسير الغريب رأيت في المنام رجلاً ينهاني عن الشعر، ولو كان لبعض المؤمنين، وكأنه وكد علي قليل ذلك وكثيره، بيتاً كان أو أقل، فكان ذلك من الله عز وجل خلاصاً من مؤونة الشعر حتى لا أشتغل بشيء منه، كما خلص نبيه صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً.

فرغ من هذا الجزء يوم السبت، في شهر جمادى الأخرى، من سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة سنة، من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

من سهم الخزانة الناصرية أعزها الله وأعلاها، وأيد مالكها ونصره، وقمع بعدله المفسدين، الناصر للحق المبين، أيده الله ونصره، وكبت عدوه.

وهذا دعا للبرية شامل

غفر الله لكاتبه، ولقارئه، وللناظر فيه، ولمن دعا لهم بالمغفرة، وحسن الخاتمة.

تم الكتاب

والحمد لله المنعم الوهاب

وصلى وسلم على من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب

محمد المصطفى لتبليغ الرسالة والكتاب

وعلى آله الهادين إلى منهاج الحق والصواب

الفهرس

الجزء الثاني ٥
من الغريب في تفسير القرآن ٥
تفسير غريب سورة الكهف مأخوذ من المصابيح ٧
غريب سورة بني إسرائيل (الإسراء)..... ١١
[كلام للإمام في الحث على أشعار الأئمة، والتحذير من أشعار غيرهم] ٢١
تفسير غريب سورة النحل ٣٠
غريب سورة الحجر ٤٤
تفسير غريب سورة إبراهيم ٥١
تفسير غريب سورة الرعد..... ٥٥
غريب سورة يوسف صلى الله عليه ٦٦
تفسير غريب سورة هود ٨٦
تفسير غريب سورة يونس عليه السلام ٩٩
تفسير غريب سورة برآءة (عن المهدي لدين الله صلوات الله عليه) ١٠٧
تفسير غريب سورة الأنفال ١٣١
الجزء الثالث ١٥١
من الغريب في تفسير القرآن ١٥١
تفسير غريب سورة الأعراف..... ١٥٣
[كلام للإمام المهدي(ع) حول نعيم البهائم في الآخرة]..... ١٧٨
تفسير غريب سورة الأنعام..... ١٨٤
تفسير غريب سورة المائدة ٢١٤
تفسير غريب سورة النساء..... ٢٣٣
تفسير غريب سورة آل عمران ٢٥٦

تفسير غريب سورة البقرة..... ٢٧٠
الفهرس ٢٩٧